

الرواية التاريخية والذات الكاتبة القرميّة^(١)

لسميحة خريس نموذجاً

د. حسن المجالي^(*) ود. حكمت النوايسة^(**)

الملخص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف حضور المؤلف في الرواية التاريخية أو الرواية التي تتكئ على التاريخ في أحداثها، ويقترح فرضية أن المؤلف/الروائي سيحضر في نصّه بصورة أو أخرى، ويسرّب رؤيته للحياة والكون بهذا الحضور، وعلى الناقد الباحث في هذا الأمر تجلية هذا الحضور بوصفه جزءاً من الممارسة النقدية الذاهبة في قراءة العمل الروائي قراءة ثقافية، ومن أجل هذا يقترح البحث مفاتيح للوقوف على رؤية الذات الكاتبة في الرواية التاريخية، من هذه المفاتيح المكان والشخصيات ومرجعيات اللغة، وسيحاول البحث الوصول إلى إجابة عن أسئلته من خلال التعريف بالرواية التاريخية، والتطبيق على رواية (القرمية) للروائية سميحة خريس، وهذه الرواية تغطي أحداث الثورة العربية الكبرى، وتستند إلى التاريخ الشفوي والمكتوب حول هذه الثورة، فضلاً عن استدخالها العنصر التخيلي كما سيتبين في البحث.

كلمات مفتاحية: الرواية التاريخية، الذات الكاتبة، سميحة خريس، القرمية، الفن الروائي.

(١) سميحة خريس، القرمية، ٢٠١١، منشورات وزارة الثقافة، عمّان.

(*) جامعة البلقاء التطبيقية.

(**) الجامعة الأردنية

Abstract

This research aims to explore the author's presence within historical narration (historical novel) or the novel that is based on history in its events, and it suggests the hypothesis that an author is present within his/her text in one way or another and provide with his/her vision toward life and universe through this presence, hence for a critic who researches this topic , he/she must explain this presence by as it is a part of critical practice when reading the novel work culturally , so the research suggests principles to explore the writer-self within the historical novel. Among these principles, space, characters, and language references and the research will attempt to answer its questions through identifying the historical novel with application on Al-Qurmiyyah novel for the novelist Samiha Khrais , and this novel covers the events of the great Arab revolution and is based on both the verbal and written history about the revolution in addition to including the imaginative element as will be shown through the research.

Key Words: Historical Novel / Writer-self / Samiha Khrais / Al-Qurmiyyah / Novel Art.

تقدمة

العلاقة بين الفن الروائي والتاريخ

العلاقة بين الفن الروائي والتاريخ لا تخلو من جدل، ولا تخلو من تفاوت في وجهات نظر الدارسين، لكنه جدل قد حيد المبدع والفنان في ذات الروائي إلى حد كبير، وتناول النص وقد عزله عن مرجعيته وخط في هذه المرجعية، وفي ما يأتي وجهة نظر قد يؤيدها كثيرون تتناول مثل هذه العلاقة، وتنتشر في أذهان كثيرين يحاكمون النص الروائي بوصفه وثيقة في التاريخ، وليس وثيقة تاريخية فنيّة، والنص الآتي المأخوذ من الكتب المؤسسة في النقد العربي الحديث للرواية العربية، يقول صاحبها النص:

"يجدر بنا أن نتريث قليلاً لنأمل الفروق بين مهمة المؤرخ ومهمة الفنان، فالمؤرخ ينشد الحقيقة، ومن ثم فهو يتسلح بمنهج التاريخ ذي الصفة الاستردادية، مسترشداً بمصادره، ومن بينها الفن، في محاولة إعادة تصوير الماضي، بقدر ما يستطيع من الدقة، ثم هو يحاول تفسير هذا الماضي من خلال الكشف عن العلاقة السببية بين الظواهر التاريخية. وينبغي على الفنان ألا يلوي عنق الحقيقة التاريخية في سبيل الإبداع الفني، فإن ذلك يعد تزييفاً للتاريخ، وينأى بالأثر الفني عن خاصية أولية تميزه وهي الصدق، فالصدق الفني ينبغي ألا يجور على الصدق التاريخي، دع عنك الآثار السلبية التي قد تؤثر في وجدان الإنسان... إن المؤرخ ينظر ببصرته نحو الماضي بهدف كشف الحقيقة، أما الروائي فهو ينظر ببصرته نحو الماضي بهدف تحقيق

التواصل الإنساني أو وحدة التجربة الإنسانية، ثم، هو ببصيرته، يحاول أن ينبيء عن رؤيته لغد يظهر الغيب^(١).

ولعلنا نلاحظ الصوت الوعظي الفوقي في النص، كما نلاحظ اليقينية التي ينطوي عليها، ونلاحظ أيضاً عزل الكتابة عن صاحبها، وفرض الوصاية عليه، بعبارات مثل (ينبغي) و(لا ينبغي)، وإذ نقرأ هذا النص، فإننا نلاحظ أن المطلوب من الروائي أن يستسلم للمدونة التاريخية، لكي يربط الماضي بالحاضر، هكذا، وأن لا يزيد أو ينقص في تلك الوقائع، وهنا تبدر إلى الأذهان أسئلة عديدة حول التاريخ نفسه، الذي لا يريد النقاد أن (يلوى عنقه) ومن هذه الأسئلة:

- هل الوثائق التاريخية صادقة؟
- وإذا كانت صادقة، فمن وجهة نظر من هي صادقة؟

ومن يقرأ التاريخ جيداً يعرف أن هناك الكثير من الثغرات التي تعتور كل واقعة، وأن هناك أنظاراً مختلفة في الواقعة الواحدة تبعاً لزاوية نظر المؤرخ، وموقعه من الحادثة، وموقفه منها، وما يؤثر في ذلك من أثر السلطة، أو أثر الميول الإيديولوجية، وأن لا حياد مطلق في كتابة التاريخ،

(١) قاسم، عبده، والهوري أحمد، ١٩٧٩، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار المعارف المصرية، ص ٨.

ولعلّ الرأي الذي ناقشناه هنا من الآراء التي تسري كثيرًا عند الدارسين الذين يرون الروائي منظمًا للأحداث حسب.

وإذا ما تجاوزنا هذا النظر الخاص بالروائي والتاريخ، وعدنا إلى مفهوم الرواية التاريخية، فإنّ هذا يثير في ذهن إشكال الرواية التاريخية: هل هي الرواية التي تكتب التاريخ؟ أم هي الرواية التي تأخذ مادّتها الحكائيّة من التاريخ؟ وهل ثمة ضوابط للأخذ من التاريخ؟ ومتى نسمّي الرواية بالرواية التاريخية؟ وهي أسئلة تثار، ولا تجد الإجابة في ظلّ النزاع القائم نحو عدم التمييز الروائي، ذلك أنّ هناك "قدرًا من التاريخ في أيّ رواية، وقدرًا من الرواية في أيّ تاريخ"^(١)، وأنّ العلاقة بين التاريخ بوصفه تدوينًا للوقائع والرواية بوصفها وقائع علاقة جدل، لكنّ الافتراق يبدأ بينهما عندما نعرّف الحدث في التاريخ، والحدث في الرواية؛ ذلك أنّ الحدث أو الواقعة في التاريخ يمتلك وثوقيّة، سواء أكان صحيحًا، أم مفترى، وتلك الوثوقيّة يمتلكها من كونه ذاهبًا إلى متلق يطلب تصديقه، أما الحدث في الرواية، فإنّه لا يذهب إلى ذلك، وقد لا ينشده، لأنّه يكتفي بذاته بوصفه رؤيا، وليس خبرًا، فالتاريخ يذهب إلى المطابقة^(٢)، والحدث الروائي يذهب إلى التخيل، وإلى نفي المطابقة إن

(١) قاسم، عبده قاسم، ٢٠٠٨، التاريخ والرواية: تفاضل أم تكامل، مقال في سلسلة أبحاث

ملتقى القاهرة الثالث للأبداع الروائي، ط١، القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، ص٣٤٩.

(٢) انظر: يقطين، سعيد، ٢٠٠٩م، الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، مجلة نزوى،

العدد الرابع والأربعون، <http://www.nizwa.com/articles.php?id=2462>

وُجِدت وفق الميثاق الروائي^(١)، وكثير من الروائيين يذهبون إلى نص عدم المطابقة؛ فمؤنس الرزاز يقول في رواية اعترافات كاتم صوت: "الشخصيات والأحداث في هذه الرواية، هي من نتاج الخيال. وإذا وجد أي شبه بين أشخاصها وبين أشخاص حقيقيين، أو بين أحداثها وبين أحداث حقيقية، فلن يكون ذلك سوى نتاج غرائب الصدفة الخالية من القصد"^(٢) وبالحس التاريخي نفسه يمكن أن نقرأ تقديم جمال ناجي روايته (عندما تشيخ الذئاب)، حيث يقول: "على الرغم من كل ما يود المشاركون في هذه الرواية قوله، سواء أكان صدقاً أم كذباً، أم دفاعاً عن النفس، فإن الحقيقة لن تكون حرة بالاهتمام إذا لم تكن قادرة على حماية نفسها"^(٣).

وهذان خطآن متناقضان في النظر السطحي الأولي، ومتناقضان في النظر العميق الذي يشكك بوثوقية التاريخ نفسه، لكننا ملزمون بتبني حدّ أولي للنظر في الواقعة الجمالية والواقعة البحثية، أي الرواية والعرض التاريخي.

هذا الحدّ الذي نفصل به بين العمل الروائي والعمل التاريخي، حدّ التوثيق والتخييل، لكن الأمر لا ينهي العلاقة بينهما، إذ إنّ الرواية لا تغرف

(١) انظر: النوايسة، حكمت، ٢٠١٤م، *جدل المعنى والمبنى في العمل الروائي*، منشورات وزارة الثقافة، عمان.

(٢) الرزاز، مؤنس، ١٩٩٢م، *اعترافات كاتم صوت*، ط٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص٦.

(٣) ناجي، جمال، ٢٠٠٨م، *عندما تشيخ الذئاب*، ط١ عمان وزارة الثقافة ص٦.

كلّ مادّتها من الخيال، وإن فعلت ذلك، فإنّ هناك تاريخاً ما، يقبع في الخلف، ويحرك دمي المخيال، هذا التاريخ قد يكون معيشاً معاصراً، وقد يكون قابعاً في الذاكرة، وقد يكون مزيجاً من الاثنين معاً، وقد يكون افتراضياً، بمعنى أنّه تخيلٌ لتاريخ آخر، يعتمد على حريّة المنشئ الأدبي في ما يكتب، وتحرّره من المحاكمة المستندة إلى الوثائق.

ثمة رأي يجدر الوقوف عنده لطرافته، وحمله كثيراً من الصديقّة، يقول فيصل دراج عن الرواية: "الوثيقة العربية الأساسية التي أعطت، ولا تزال، معرفة موضوعية... واكبت قرناً من الزمن، مبرهنة، في أطوارها المختلفة، عن موضوعية ما سجّله وعن صحّة ما توقّعتة"^(١).

وهذا الرأي يذهب إلى ما قامت به الرواية العربيّة عبر مسيرتها في مئة عام من تدوين للتاريخ (الموضوعي) للمجتمعات العربيّة، فقد انزوت الرواية بعيداً عن الأعين والسلطة لتدوّن الأحداث الجسام، والتحوّلات الجذرية في المجتمعات العربيّة، مستغلة الرأي الشائع القائل إنّ الأدب خيال، وإنّ الأحداث الروائية خيال لا علاقة له بالواقع، ومن هنا تصدّت الرواية للواقع العربي، فدوّنت كل المسكوت عنه في الإعلام والإشهار، سواء أكان إعلام السلطة، أم الإعلام الاجتماعي.

(١) درّاج، فيصل، ٢٠٠٨، الذاكرة القومية في الرواية العربيّة، ط١، بيروت مركز دراسات الوحدة العربيّة، ص ٢١.

وإذا ذهبنا إلى الرواية التاريخية التي تعتمد التاريخ؛ شخصياته ووقائعه مادة لها، فإننا أمام تساؤل: أين الروائي، وأين المؤرخ، وهنا نستطيع الوقوف على رأي لوكاش الذي يوضّح العلاقة بين المؤرخ والروائي في هذا المجال، يقول: "ما يهم في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدّت بهم إلى أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماماً في الواقع التاريخي، وإنه لقانون في التصوير الأدبي الذي يبدو أولاً متناقضاً، ومن ثمّ واضحاً تماماً، وهو أنه للكشف عن دوافع السلوك الاجتماعية والإنسانية هذه تكون الأحداث غير المهمة ظاهرياً، أي العلاقات الصغرى (في الخارج) أكثر ملاءمة من سلسلة أحداث التاريخ العالمي المهمة الكبرى"^(١).

ومع الخلفية الفكرية التي تقف وراء هذا الرأي، فإننا نلمح فيه ميلاً لوظيفة الأدب، أو تفسيراً للدور الوظيفي، وهو، كما هو هنا، تفسير الأحداث من وجهة نظر أخرى، وجهة نظر صانعيها الحقيقيين، ووجهة النظر هنا ليست الرأي الذي يحمله هؤلاء، وإنما السلوك الذي نستطيع من خلاله أن نتعرّف (الدوافع) التي تقف وراء السلوك الإنساني، فالجماليات هنا ليست مهمة بقدر أهمية التفسير، وحركة المجتمع، ولعلّ في المقولة الآتية ما يوضّح ذلك، يتساءل لوكاش:

(١) لوكاش، جورج، الرواية التاريخية، ترجمة د. صالح جواد الكاظم، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦، ص ٤٦.

"ما هو هدف الرواية التاريخية؟ أولاً، إنه تصوير ذلك النوع من المصير الفردي الذي يستطيع مباشرة وفي الوقت ذاته أن يعبر بشكل نموذجي عن مشاكل عصر ما"^(١).

ونفهم من هذا أن مهمة الرواية ملء الفراغ الاجتماعي في التاريخ، فالمؤرخ ليس معنياً بالصراع الاجتماعي العميق، وإنما هو معنيٌّ بالأحداث مباشرة: أسبابها ومسبباتها، وميول الجماعات والمجموعات بعامة في أحسن الأحوال، وأما الروائي، فهو معنيٌّ بالصراع الاجتماعي الذي يجعل الأبطال أبطالاً، ويجعل القوى المحركة للتاريخ تتمتع بتلك القابلية والقدرة.

وقد انتقد لوكاش بعض الروايات في زمنه لأنها تفتقر إلى عنصر الإقناع المبني على العلاقة بين السياق التاريخي، والصدق الموضوعي والفني في تصويره، وعلاقة مصائر الشخصيات في الرواية، فالبطل ينبغي أن يحمل هموم عصره ويجب أن يكون ملخصاً لهذه الهموم، وللسياق الذي يعيش فيه، كأنه تكثيف، أو حامل غير موجود في الكتب التاريخية، مهمته أن يقول التفاصيل، ويحمل التأويلات التي تقود إلى فهم حركة التاريخ من خلال الوقائع الصغرى المسكوت عنها، يقول:

"نستشهد بمثال نموذجي واحد: (فراند بيير كوبف) في رواية دوبلن (برلين_الكزاندير بلاتر) إن بيير كوبف هو عامل، ويجري عرض محيطه

(١) لوكاش، جورج، الرواية التاريخية، ترجمة د.صالح جواد الكاظم، دائرة الشؤون

الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦، ص٤١٩

بمنتهى الدقة، ولكن حين انتزعه دوبلن من حياة الطبقة العاملة، وحوّله إلى قوَّاد ومجرم ومن ثم، بعد أن أخذه عبر مغامرات مختلفة، أسبغ عليه في النهاية إيماناً صوفيّاً بالقضاء والقدر، فما علاقة كل هذا -بلغة علم النفس- بالطبقة العاملة الألمانية في فترة ما بعد الحرب أو بالشعب الألماني كلّ خلال هذه الفترة؟ واضح أنها ضئيلة جدّاً، وهذا لا يعني أن حالة أو مثال دوبلن الفردي غير ممكنة، ولا أنّها لا يمكن أن تتكرر في مثل هذا المحيط أو البيئة^(١).

فمن خلال النص السابق نرى التأكيد على الصلة بين الشخصية والتاريخ الذي تعيش فيه، وإن كنا نلمح ذلك لمحا، فإن النص الآتي سوف يكون صريحاً في ذلك، يقول:

"إن هذه الصلة غير المباشرة بين الحياة الفردية والأحداث التاريخية هي الشيء الأكثر حسماً من جميع الأشياء، وذلك أن الناس يعيشون التاريخ بشكل مباشر، والتاريخ هو انبعاثهم وانحطاطهم، سلسلة أفراحهم وأحزانهم، وإذا استطاع الروائي أن ينجح في خلق شخص ومصائر تظهر فيها على نحو مباشر المحتويات الاجتماعية الإنسانية المهمة، والمشاكل والحركات.. إلخ الخاصة بعصر ما فهو يستطيع عندئذٍ أن يطرح التاريخ (من تحت) من وجهة نظر الحياة الشعبيّة، ووظيفة الشخصيات التاريخيّة في الكلاسيكيات هي هذه:

(١) لوكاش، جورج، الرواية التاريخية، ترجمة د. صالح جواد الكاظم، دائرة الشؤون

الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦، ص ٤١٩

حين تكون مشاكل وحركات كهذه قد جعلت ملموسة أمامنا بحيث نستطيع أن نعيشها مباشرة، تتدخل الشخصية التاريخية لرفعها إلى مستوى من النموذجية التاريخية أعلى عن طريق تركيزها وتعميمها، وبهذه الطريقة لا يكون المرء سجيناً في العفوية البسيطة للحركات الشعبية^(١).

ويظهر هنا أنّ عنصر التخيل ضروري جداً لملء الفراغ، وحمل الرؤية التاريخية من خلال التركيز على (خلق) شخوص بمواضعات قادرة على حمل المحتوى الاجتماعي للتاريخ، ثمّ نلاحظ، أيضاً، الحرص على قدرة الشخصيات المطلوبة على أن تعمّم، وتكون قابلة لأن تكون معيشة مقنعة جذابة، أي نموذجية.

ولكي تكون الشخصية في الرواية التاريخية نموذجية فإنّه ينبّه إلى ضرورة تجاوز بعض الأخطار، يقول: "خطران يراوغان الشخصية في الرواية التاريخية، وهذان الخطران هما خطر الانفصال عن الواقع التاريخي، وخطر الإيغال في تبني مطالب الشعب، أو المفكرين بحيث يحملون شخصياتهم قيمهم ومثلهم العليا التي يسعون إليها"^(٢).

إنّها، بهذا التقييد، دعوة صريحة إلى الموضوعية، والديمقراطية، فعدم الانفصال عن الواقع يشير إلى أن تكون الشخصية مقنعة متّقة مع واقعها

(١) لوكاش، جورج، الرواية التاريخية، ترجمة د.صالح جواد الكاظم، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦، ص٤٢١.

(٢) نفسه، ص٤٢٢.

الذي يدركه الروائي، أو الذي يريد من القارئ أن يدركه، والإقناع هنا يأتي من كون المقدمات تقود إلى نتائج تتوافق معها، وهذه المقدمات والنتائج ينبغي أن تتحلّى بشيء من الديمقراطية التي تبعد النصّ عن التتظير أو التخطيب، وتبعد الشخصية عن الصناعة الإيديولوجية أو القيمة التي يؤمن بها الروائي أو المفكر.

إن كلّ ما سبق آت من دراسة أعمال روائية تحققت، ووضعت على محكّ القراءة، وهذا يعطي ما عرضه الباحث قيمة تستند إلى أنّ النقد الحقيقي هو النقد الذي يتكئ على النصوص، وليس النقد الذي يفترض أن تكون النصوص وفق ما يريد، لكنّ المعطيات النقدية السابقة لا تروي ظمأ الباحث عندما يطالع نصّاً روائياً جديداً من النصوص التي تعتمد المدونة التاريخية، مما يجعل الأنظار مفتوحة على الزيادة أو النقص أو النقد والمراجعة كون النقد لا يملك قوة الحقيقة أو المسلمة.

وبالعودة إلى مفهومين أساسيين في هذه الدراسة هما (الرواية) بوصفها عملاً فنياً تخييلياً، و(التاريخ) بوصفه وقائع مرّت والطرق إلى فحصها محدودة بالوثائق بأنواعها المختلفة، ومهما حاولنا أن نجعل الرواية المتكئة على التاريخ بعيدة عن وقائعته ووثائقيته، فإننا ملزمون بالإجابة عن عديد أسئلة تبدأ بأسباب اختيار الوثيقة أو الواقعة التاريخية متكاً في زمان كتابة الرواية، وأسباب اختيار الشخصيات المحددة في الرواية دون غيرها من الشخصيات التي تسكن المدونة التاريخية نفسها، وأسباب خلق شخصيات جديدة لم تكن

موجودة في تلك المدونة، وأسباب اختيار وقائع بعينها، ودون غيرها من تلك المدونة، وكل هذا يجعل الناقد مشدوداً على خيط أوله صدقيّة الوثيقة، وآخره الصدق الفني، أو التخيلي وأصالته.

إنّ كل ما سبق لحظة كتابة هذه الدراسة يمكن أن نسمّيه تاريخياً بصورة أو أخرى، لكنّ هناك تاريخاً استقرّ في أدراج الماضي، وهناك تاريخ لا نستطيع القطع باستقراره، والحديث هنا عن الزمن أو التاريخ في الزمن الممتدّ، فما حدث قبل القرن العشرين، غير ما حدث في القرن العشرين، وما حدث في القرن العشرين غير ما حدث في القرن الحادي والعشرين الذي نعيش فيه؛ ذلك أنّنا نقدر أن نحصر مصادر التاريخ، والمدونة التاريخية كلّما ابتعدنا عنها أو ابتعدت عنا في الزمان، وكلما اقتربت المدونة التاريخية أو الحدث التاريخي من زماننا الذي نعيش فيه، كانت قابلة لاحتمال ظهور معطيات جديدة لم نكن نعرفها، لأسباب كثيرة يعرفها المؤرّخون أهمّها ابتعاد المؤرّخ عن أسباب منع الرواية الحقيقية كالسلطة السياسية أو الأنواع الأخرى من السلطة كالدين أو المواضعات الاجتماعية.

وهذا ما يجعل الكتابة عن الرواية التاريخية التي تتخذ من التاريخ شبه الحي متكاً قريبة من المخاطرة؛ فهذا التاريخ يحتمل غير وجهة نظر وزاوية رؤيا، والأمر على أكثر من ذلك عادة في تاريخنا العربي إذا أراد العمل أن يؤرّخ لمشاريع ثوريّة كانت نتائجها ليس كما يشتهي الثوار على الأقل.

وإذا كان ليس مطلوباً، ولا ينبغي، من الروائي أن يكون مؤرّخاً كما سبق، فإنّ الخوض في القضية التاريخية في عمل روائي لا بدّ أن يعكس

وجهة نظر ما، يحمد أو يذم بها المؤلف وفقاً لمرجعيات التلقي التي لا يمكن تجاوزها، وهذا ما يجعل اختيار الباحثين لرواية (القرميّة) لسميحة خريس مغرية، ومحفوفة بالصعوبة في الوقت نفسه، فإذا عرفنا أنّ التاريخ المعالج من قبل الرواية التي بين أيدينا تاريخ معاصر، وأنّ بعض شخصياته لم تغادرنا منذ زمن طويل، وأنّ بعض الشخصيات ممتدة في مشروعها أو في وراثة المشروع، فإنّ الأمر يغدو أكثر صعوبة؛ لأنّ التاريخ الحقيقي لأيّ حدث يمكن الحصول على قراءة شبه دقيقة له بعد مرور مدة زمنية كافية عليه، ومنه ومن خلال قراءة متناقضاته بحياديّة بعيداً عن سلطة الورثة أو السلطة الوارثة لهذا التاريخ، والخوض في مثل هذا التاريخ قبل مرور تلك المدة وانتهاء احتمالات تأثيرها صعب أيّما صعوبة؛ لأنّ المحايدة المطلقة غير موجودة على الإطلاق، ولأنّ الإنسان الخالي من محدّدات وعيه أيضاً غير موجود، وأنّ الحقيقة في الجوانب الاجتماعية نسبيّة مكانيّة، يلعب المكان الذي يقف فيه الرائي دوراً مهماً في المشهد الذي يرى، والاستشراف الذي يعتقد.

ومن هنا أيضاً تكمن أهميّة رواية (القرميّة)، هذه الأهميّة التاريخيّة، أما الأهميّة الأدبيّة، فإنها تأتي من غير ذلك.

وقد اختار الباحثان في بحثهما هذا البحث في الرؤية الكاتبة/ الذات الكاتبة، نشداناً لنوع من التجديد في معالجة الرواية التاريخية، وبحثاً عن الروائي في نصّه، بوصفه منشئاً لهذا النص، أو هذه الواقعة الجمالية.

التاريخ والذات الكاتبة في رواية القرمية

في هذه الرواية تتخذ الكاتبة من الثورة العربية الكبرى مادة تاريخية، ومجتمعاً متحركاً، ووسطاً تتنفس فيه الرواية، غير أنها لم تلتزم بالسرد التاريخي؛ ففي الرواية متنان^(١) حكايتان: المتن الأول هو ما يمكن أن نحسبه على الواقعية التاريخية التي تمثل سيراً تاريخياً في مسيرة الثورة العربية الكبرى منذ إرهاباتها الأولى إلى تحققها الحركي بدخول الثوار إلى الأردن وما رافق ذلك من التفاف القبائل حول راية الثورة، وتردد بعض القبائل ثم اندماجها في الثورة، ثم تحرير الأردن إلى تحرير دمشق، ونهاية الثورة حركياً بما آلت إليه من نتائج هي ليست طموح جميع الثوار بما في ذلك قيادة الثورة، حيث كشف "الصديق" الإنجليزي عن خداعه وظهرت ملامح "سايكس بيكو".

أما المتن الثاني فهو القصة الحاملة، وهو قصة عقاب، وهي الجانب المتشابه مع العجائبي، ولا نقول الأسطوري؛ لأنّ تعبير العجائبي أفضل في تناول هذه القصة كما سنرى في السير في الرواية؛ ذلك أنّ هذا الاصطلاح

(١) فرّق النقاد بين المبنى الحكائي والتمن الحكائي فالتمن الحكائي هو القصة في تسلسلها الزمني الطبيعي أما المبنى الحكائي فهو القصة كما وردت في النص الرواية أو القصة الفنية. انظر، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة الخطيب، إبراهيم، ١٩٨٢م، بيروت، مؤسسة الأبحاث الجامعية، ص ١٨١. ولحمداني، حميد، ٢٠٠٠م، بنية النص السردي، ط ٣، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص ٢١.

يشير إلى أن الحدث يمسّ القوانين الطبيعية، ولا يمكن تفسيره بها، كأن يولد طفل آدمي من بيضة نعام^(١).

الشخصية العجائبيّة: عقاب

عقاب طفل جاء من بيضة نعامة فحُمِلَ إلى مضارب الحويطات حيث رعاه الحكيم الذي كان يعيش هناك، وتظهر مع عقاب صفات غرائبيّة، فضلاً عن ولادته العجائبيّة الأقرب إلى الخرافة، فقد ظلّته غيمة ورافقه في المسير، ومسح بيده بطن رملة المتعسّرة في الولادة فأنجبت بنتاً هي مزنة التي ستكون زوجه فيما بعد، واستطاع أن يروّض الكحيلة وهو طفل لا يدري ما الترويض، ثم تصير "الكحيلة" فرسه فيما بعد، ومزنة التي سهّل ولادتها وأصبحت زوجه جاءت بعد عقم طويل وكان سبب مجيئها كما تشير الرواية زيارة والدتها إلى "مزار أم جدية" حيث طافت والدتها سبعا حول "المقام" وارتمت فوق الصخرة المقدسة وحكّت ظهرها بعزم وقسوة في جسد الصخرة الأملس، بما يذكرنا بالخرافات في بعض السواحل الإفريقية حيث تمرّ النساء عند حجر مقدس على الشاطئ فيقذف الأطفال في أرحامهن.

والمتنان الحكائيّان جاءا متداخلين؛ فالثورة من خلال عقاب، وعقاب من خلال الثورة، بكل منعطفاتها، بدءاً بالمراسلات ثم تقدّم الثوار، فانضمام القبائل، فتحرير الأردن ثم تحرير سوريا حيث تنتهي الرواية.

(١) للتفريق بين الغرائبي والعجائبي ينظر: تودوروف، تزفيتان، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة: الصديق بوعلام، ١٩٩٤م، دار شرقيات، القاهرة، ص ٥٧.

وعلى مساحة النص، فإن عقاباً قد مثّل العنصر الأكثر ديناميكية من خلال ثنائية الاندماج والانفصام، فهو ثائر من حيث هو فارس بما في كلمة فارس من متطلبات الشجاعة والعفة والصدق والاندفاع، شجاع توحد مع فرسه في فهم الثورة، وهو مفارق للثوار عندما تصبح نتائج الثورة غنائم. وهو ثائر حتى النخاع عندما تتطلب الثورة ذلك الصنف من الرجال الثوار، غير أنه ثائر متوجس عندما يرى المطامع تسبق الأهداف الجليّة وتغطيها، وقد مثّل النزاع التام للحرية، غير أنه لم يكن صاحب موقف من الأتراك كما أنه لم يكن صاحب موقف من الإنجليز، وإنما كان صاحب موقف من الظلم، وصاحب موقف أسطوري في عشق الأرض.

وهو ثائر لكنه غير سياسي، وليس له علاقة بالسياسة، وإن كان الأميز بين أقرانه في تلقيه المعرفة والحكمة على يد الحكيم الذي تعهّد تربيته.

وهو غير عادي في هذا المجتمع الذي شكل مادة الثورة، وزوجه "مزنة" غير عادية أيضاً من حيث ولادتها، ومن حيث محبتها له، وقد جاء التنامي مع الأسطورة في ولادتها ليخدم غرائبية ولادتها، لتوافق لا عادية عقاب.

وهنا نقف على تفسير، أو تأويل اجترّاح شخصيّة لم تكن موجودة في الواقعة التاريخية، وصنعها التخيل الروائي؛ فعقاب شخصيّة ورقية يملكها الروائي، ويحملها الرؤية التي يريد في خضم شخصيات واقعية لا يستطيع أن يحملها فوق طاقتها لأسباب كثيرة، منها ما يتعالق مع الصدق الفني تماشياً مع

السياق الثقافي والحضاري التاريخي الذي يحتضن زمن الثورة، ومنها ما يتعلق بما حول هذه الشخصيات من إشكالات.

ومن هنا وفي هذا الحامل الغرائبي للرواية تفارق الرواية التاريخية التسجيلية إلى التاريخية الناقدة؛ لأن الرؤية التي تفرض السياق العام للمشهد الروائي يمكن الوصول إليها من الزاوية التأويلية.

والرؤيا الكاتبة للنص الروائي يمكن الوقوف عليها من خلال عناصر المكان والشخصيات والوعي بالواقعة التاريخية، الثورة، حيث تحمل هذه العناصر من الطاقة التأويلية ما لم تحمله العناصر الأخرى في الرواية.

أما المكان، فإننا به نستطيع الوقوف على مَرشَح الرؤيا الكاتبة بمقاربة تلك القطع الوصفية التي اندمج فيها الشعري بالتسجيلي وارتفع فيها خطاب الرواية إلى مستوى الشعر كما في وصف البتراء حيث جاء على لسان الراوي:

"استولت البتراء على روحها شيئاً فشيئاً، والحجر يشع بقوته في المكان فيسلبها جسدها إلى حقل غامض من السحر، شعرت بتوتر أنفاسها... وخدر غريب يزحف فوق فخذيها... وسطحت، إلى أي زمان عادت عندما وقفت بها... الأصيلة في مواجهة الخزنة، تلك التحفة العبقريّة التي قدت من الصخر وعبرت القرون كأنما هي حكاية، قبضت روحها وابتلعت المكان... أي ألفة

مخفية تستشعرها! تدرك أي زرع ينبت على استحياء بين الحصى الحمراء والخضراء والبنفسجية... تعرف الدرب مرشوم بالليلك الأسود المذهل^(١). وربما يكون الأمر أكثر وضوحاً في تلك القطعة التي امتزج فيها الوصفي بالشعري بالرؤيوي، تلك القطعة التي تصف البحيرة المقدسة على لسان الحكيم حيث يقول:

"هنا على مرمى النظر، على حد القلب وفي وهج خاطر قبل بحر الملح هذا... كانت بحيرة من الفردوس تسقي العطاشى، مأوها عذب مقطر، تتطوي على سر الحياة وتمتلك طلاسما وتفتح بجود كنز عطاياها، والناس يحجّون إليها من كل فج عميق، يحملون وزر أيامهم، وتقال خطاياهم وحمولة الحزن الذي ناءوا به دهرًا، يقتربون من البحيرة التي سقطت من الفردوس رحمة للعالمين..."^(٢).

إذ نجد في هذا المقطع وهو طويل، تداخل الوصفي بالوعظي بالتناصي الذي أخذ من الكتب الدينية خطابها (الجملة والمفردة والتركيب والموسيقى الداخلية) وهو صوت الحكيم، والحكيم يمثل مرجعية الوعي لعقاب، وفق ذلك، الرؤيا الكاتبة التي تتحاز إلى المكان، وتتكشف من خلال وقوفها المباغت حيناً، والمراوغ حيناً والمخطط له أحياناً، كما في المقطعين السابقين، وكما في فضاء القصة الحاملة الأول (بيضة النعامة) والصقر في السماء، إذ الانحياز

(١) خريس، سميحة، مصدر سابق، ص ٤٤.

(٢) خريس، المصدر السابق، ص ١٣٦.

للمكان لا يمثل إقليمًا، أو انحيازًا إقليميًا بقدر ما يمثل مؤنثًا للرؤيا، إذا ما أضيف إلى ارتفاع شعرية اللغة في وصفها غرائبية البطل في القصة الحاملة وفي ذلك تأويل سنقف عليه فيما بعد.

أما العنصر الثاني الذي يمكن الوقوف من خلاله على الرؤيا الكاتبة، فهو مجتمع الرواية الذي انقسم إلى مجتمع (موقعن) وتمثله الشخصيات التي ظهرت من حملة راية الثورة مثل الشيخ عوده، وصبحي العمري، وحمد الجازي، والحلي، وسالم الزويري والأمير زيد، وحسن شاه، وعبدالقادر الجزائري، ونسيب البكري، وجعفر العسكري وغيرهم وهي شخصيات حقيقية أسهمت في الثورة العربية ومثلت أهم رجالاتها. والقسم الثاني هو الشخصيات الروائية الخيالية ويمثلها الحكيم وعقاب ومزنة، وما يميز هذه الشخصيات، إضافة إلى لا عاديته، أنها جاءت لتشكل القصة الحاملة وهي منطلق الرؤيا الكاتبة حيث تمثل هذه الشخصيات عنصر الصفاء والنقاء ليس في مجتمع الرواية وإنما في زاوية الرؤيا؛ فهي الضمير العربي النقي الصادق الملخص في عقاب، وهي أيقونة الثورة.

أما عنصر الوعي بالواقعة التاريخية، وهي هنا الثورة العربية الكبرى، فإننا نستطيع الوقوف عليه من خلال قراءة الشخصيات في الخطين المتداخلين، خط التاريخ التسجيلي والخط المخيالي؛ إذ إن هذين الخطين المتداخلين يرسمان رؤيا ناقدة لسجل مهم من تاريخ الأمة العربية، والشخصيات في الخط المخيالي قد سبق الوقوف عليها.

أما الشخصيات في الخط التسجيلي-التاريخي- فإنها جاءت في بنيتين مختلفتين انخرطتا في جسم الثورة العربية الكبرى: البنية الأولى هي بنية التعاطف اللامحدود مع الثورة، والاندماج فيها بشعور طاغ من الفرح، يمثلها العرب الذين أرادوا أن يخلصوا من ظلم الأتراك وبنوا دولة عربية اليد والوجه واللسان، متسلحين ببراعة البدو في قبول المساعدة في ذلك حتى من الإنجليز الذين لم يشكّلوا في ذلك الوقت عدوّاً طامعاً، وإنما صديق أراد أن يمدّ يد المساعدة، ويمثل هذه البنية العرب في الشرق العربي من بدو ومدنيين.

والبنية الثانية هي بنية التعاطف الواعي مع الثورة التي أرادت الثورة وانضمت إلى صفوفها، لكنها بحكم وعيها السياسي ودرايتها بالاستعمار الغربي كانت تتوجس من المساعدات البريطانية، وترى في البريطانيين عدوّاً لا يختلف كثيراً عن الأتراك، ويمثل هذه البنية الأمير فيصل الذي كان متوجساً وقابله البريطانيون بالتوجس نفسه، وعبدالقادر الجزائري، هذا الفتى الذي هو حفيد عبدالقادر الجزائري الثائر المعروف، ويحمل اسمه، حيث جاء للانضمام للثورة محملاً بوعيه وخبرته في معرفة الاستعمار الغربي ممثلاً بالاستعمار الفرنسي، وربما كان هذا التيار ذا رؤيا صافية لأنه امتلك المسافة الكافية للرؤية الحيادية غير المثقلة بظلم الأتراك، ذلك الظلم الذي جعل الشياطين تبدو أكثر ألفة واحتمالاً منهم.

ووجود هذين التيارين في مادّة الثورة يعكس شمولية الثورة وقدرتها على استيعاب العرب برؤاهم المختلفة إضافة إلى ما يترشح من ذلك من

اتفاقهم على تحرير الأرض العربية والإنسان العربي وإطلاق طاقاته، وقيام الدولة العربية الموحدة بقيادة الشريف الحسين بن علي.

وقد نجح النصّ في التدليل على شمولية الثورة من حيث مادتها (البشر) فظهر البدوي والأمّي والمتقف والعسكري الهارب من جيش الأتراك، والحضريّ المنتفض على الأتراك بعدما ضاعفوا الظلم والتجهيل.

ويمكن أن نضيف إلى هذه العناصر (المكان، والشخصيات والوعي بالواقعة والمحاكاة) عنصر التناص الموفق الذي ظهر على شكل افتتاحيات معزولة في الفضاء البصري للمقاطع التي شكلت الرواية، ويمكن لهذه الافتتاحيات أن تشكل نصّاً موازياً من حيث هي اقتباس، ومتداخلاً من حيث هي مؤشرات رؤيا (بعد نصيّة).

وعوداً على ما سبق من تفضيل استخدام تعبير (لا عادي) حول قصّة عقاب ومزنة فإننا نرى أنّ في هذا الاستخدام فائدة في التأويل؛ فالقصّة الحاملة للاعاديّة هي كما نرى الولادة غير العادية للثورة الطموح، وعقاب إذا كان الوجه الأكثر صفاء ونقاء للثورة، فإنه عاش غريباً، ومات غريباً، لكنه أورك وامتد نسله بولادة مزنة لعقاب الابن الذي تزامن مع تلاشي عقاب الأب في التراب حيث كان الموت ولادة غير عاديّة ألقت بظلالها على الطبيعة:

"راحت الراية تخفق، والقلب يخفق وهو يهبط بجلال إلى تراب الأرض صانعاً من عجينته المقدسة دماً ولحماً وطيناً، نشجت السماء، وزمجر الرعد، وأضاء البرق، والغمامة تنفلش ناثرة بهاءها فوق جفاف الأرض"^(١).

(١) خريس، سميحة، مصدر سابق، ص ١٨١.

وإذا كانت الثورة قد انتهت فيزيائياً إلى ما انتهت إليه، فإنّ الثورة من حيث هي رؤيا لم تنته بموت عقاب، وإنما بدأت منعطفاً جديداً هو أكثر خصباً وعطاءً، حيث كان الموت طريق الحياة، وحيث انزعت الثورة في الأرض:

"تبدّد عقاب طرفاً طرفاً، وكلما قطع شوطاً ترك منه شيئاً، هنا كف، هنا ساق، هنا عين... كأن الفرس موكولة بأن تزرع القلب في الأرض، (الجفر)^(١).

أما القرمية، فهي الحب الممتد في الأوصال، وهي الأرض، كل الأرض المحبوبة، وهي دمشق التي لها جدائل المحبوبة وأنفاسها، وهي غير ذلك إذ إنها كلّ ذلك، نسق الحياة الممتد في الأرض المتجذّر فيها، لا يزيده موت الأغصان إلا تجددًا وقوّة.

(١) خريس، سميحة، مصدر سابق، ص ١٨٠.

المراجع

- (١) سميحة خريس، القرمية، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠١١م.
- (٢) قاسم، عبده، والهوري أحمد، ١٩٧٩م، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دار المعارف المصرية.
- (٣) قاسم، عبده قاسم، ٢٠٠٨م، التاريخ والرواية: تفاضل أم تكامل، مقال في سلسلة أبحاث ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي، ط١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- (٤) يقطين، سعيد، ٢٠٠٩م، الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، مجلة نزوى، العدد الرابع والأربعون، <http://www.nizwa.com/articles.php?id=2462>
- (٥) النوايسة، حكمت، ٢٠١٤م، جدل المعنى والمبنى في العمل الروائي، منشورات وزارة الثقافة، عمان.
- (٦) الرزاز، مؤنس، ١٩٩٢م، اعترافات كاتم صوت، ط٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (٧) ناجي، جمال، ٢٠٠٨م، عندما تشيخ الذئاب، ط١، عمّان، وزارة الثقافة.
- (٨) درّاج، فيصل، ٢٠٠٨م، الذاكرة القومية في الرواية العربية، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- (٩) لوكاش، جورج، **الرواية التاريخية**، ترجمة: كاظم، صالح جواد، ١٩٨٦م، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢.
- (١٠) **نظرية المنهج الشكلي**، ترجمة الخطيب، إبراهيم، ١٩٨٢م، بيروت، مؤسسة الأبحاث الجامعية.
- (١١) لحمداني، حميد، ٢٠٠٠م، **بنية النص السردى**، ط٣، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- (١٢) تودوروف، تزفيتان، **مدخل إلى الأدب العجائبي**، ترجمة: الصديق بوعلّام، ١٩٩٤م، دار شرقيات، القاهرة.

References

1. Samiha Khurais, Al-Qurmyyah, Ministry of Culture's Publications, Amman, 2011.
2. Qasim, Abdo Qasim, 2008, History and Novel: Derivation or Integration, An Article in the Series of The Third Cairo Forum For Novel Creativity.
3. Yaqteen, Saieed, 2009, The Historical Novel and Literary Genre Issues, The Journal of Nezwa, No. 44th, <http://www.nizwa.com/articles.php?id=2462>.
4. Al-Nawaiseh, Hikmat, 2014, Meaning and Building Argument in Novel Art, Ministry of Culture's Publications, Amman.
5. ArRazzaz, Mu'nis, 1992, Silencer's Acknowledges, 2nd Ed. Beirut, Arabic Institution for Studies and Publishing.
6. Qasim Abdo, and Al-Howwari Ahmad, 1979, the Historical Novel on the Modern Arabic Literature, Egyptian Knowledge Press.
7. Naji, Jamal, 2008, When Wolves Get Old, 1st Ed. Ministry of Culture, Amman.
8. Darraj, Faysal, 2008, The National Memory in The Arabic Novel, 1st Ed. Beirut, Arab Unity Studies Center.
9. Lucash, George, Historical Novel, Translator: Kadhém, Saleh Jawad, 1986, General Cultural Affairs Unit, Baghdad, 2nd Ed.
10. Formalism Approach Theory, Translator: Al-Khateeb, Ibrahim, 1982, Beirut, Universal Research Foundation.
11. Lhmidani, Hmaid, 2000, Narrative Text Structure, 3rd Ed. Casablanca, Arab Cultural Center.
12. Todurof, Tezvetan, Introduction to Miraculous Literature, Translator: Al-Siddiq BoAllam, 1994, Sharqyyat Press, Cairo.

ألفاظ "الخوف" في القرآن الكريم ودلالاتها

د. جميل محمد جبريل عدوان (*)

الملخص

ركّز البحث على إبراز المعاني التي اشتملت عليها ألفاظ الخوف في القرآن الكريم من خلال أصواتها المتنوعة. وقد حاول البحث استقصاء جميع الألفاظ التي وردت بمعنى لفظ "الخوف" في القرآن الكريم، فكانت (١٠) عشرة ألفاظ، وهي: (الخشية، الحذر، الرهبة، الفرع، الوجل، الرعب، الجزع، الروع، الفرق، الهلع).

وبيّن البحث أن اختيار هذه الألفاظ في مواضعها اختيار معجز؛ إذ أوحى هذه الألفاظ معاني عظيمة ودلالات كبيرة في سياقاتها الخاصة والعامة. فقد اختير مكان وموضع كل لفظة من الآية أو العبارة أو الجملة، بحيث لا يمكن لأي لفظة أخرى أن تسدّ مسدّها.

(*) جامعة الأقصى - غزة - فلسطين

Abstract

The words of "Fear" in the Holy Quran and its implications

The research focused on highlighting the meanings that included the words of Fear in the Holy Quran. The research has attempted to investigate all the words that came in the sense of the word "Fear" in the Holy Quran. They were ten words; like: (Fear, Caution, panic, difference).

Research has shown that the choice of these words in their places is a miraculous choice, as these words hinted at great meanings and great connotations in their private and public contexts. The place and location of each word, phrase or phrase was chosen so that no other word could be blocked.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد.

تركزت عناية القرآن الكريم على إذكاء حرارة الكلمة عند العرب، وتوهج العبارة في خطابهم، وبرع البيان القرآني في تحقيق موسيقى اللفظ في جملة، وتناغم الحروف في تركيبه، وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعه، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات، فاختر لكل حالة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن يستبدل بها غيرها؛ فجاء كل لفظ متناسباً مع صورته الذهنية ودلالته السمعية.

وكان من الفضيلة الصوتية للقرآن أن استوعب جميع مظاهر الدلالة في مجالاتها الواسعة، وتمرس في استيفاء وجوه التعبير عنها بمختلف الصور الناطقة، وقد يكون من غير الممكن استحضار جميع الصيغ في استعمالات منها، وقد يعبر كل نموذج منها عن مظهر فني، ليقاس مثله عليه، وشبيهه به، وبذلك يتأتى للباحث والمتلقي إلقاء الضوء الكاشف على أبعاد دلالة القرآن الصوتية، في تشعب جوانبها، وعظمة انطلاقتها، مما يكون معجماً لغوياً خاصاً بمفرداتها، وقاموساً صوتياً حافلاً بإمكاناتها^(١).

سيهتم هذا البحث بإبراز بعض مظاهر الدلالة في مجالات قد تكون متقابلة، أو متناظرة، أو متضادة، أو متوافقة، وهي بمجموعها تكون أبعاد الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، وهو بعنوان:

(١) د. محمد الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ: ١/١٦٥.

ألفاظُ الخوفِ في القرآنِ الكريمِ ودلالاتُها وقد جاء البحثُ في مقدمة ومبحثين اثنين:

الأول: ألفاظُ الخوفِ في القرآنِ الكريمِ.

الثاني: دلالاتُ ألفاظِ الخوفِ في القرآنِ الكريمِ.

ثم انتهى البحثُ بخاتمة، ثم ذكر للمصادر والمراجع التي رجع إليها الباحث، ثم فهرس للموضوعات.

والله تعالى الموفق

المبحث الأول: الخوف وألفاظه في القرآن الكريم

استعمل القرآن الكريم مجموعة من الألفاظ الدالة على معنى الخوف، منها ما جاء صريحاً، ومنها ما جاء في معنى الخوف، حسب الآتي:

أولاً: الألفاظ الصريحة

وردت لفظة "خاف" ومشتقاتها في القرآن الكريم (١١٨) مرة وثمانية عشر مرة، في (٤) أربع صيغ مختلفة، وهي:

- الماضي، وقد ورد في (٧) سبع صيغ، وهي: (خاف، خافوا، خافت، خِفتم، خِفْتُ، خِفْتُكُمْ، خِفْتُ)، وقد وردت (١٧) سبع عشرة مرة:

- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢].
- وقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةَ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٩].
- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٣].
- وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦].
- وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

- وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]
- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]
- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]
- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]
- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨]
- وقوله تعالى: ﴿وَإِني خِفْتُ الْمَوْلَىٰ مِنْ وَرَآئِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: ٥]
- وقوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١]
- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصاص: ٧]

- الأمر، وقد ورد بلفظة واحدة، وهي: (خافون)، وقد وردت مرة واحدة فقط:

- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

- النهي، وقد ورد بعدة ألفاظ، وهي: (فلا تخافوهم، لا تخف، لا تخافا، لا تخافي)، وقد وردت (١٣) ثلاث عشرة مرة، مثل:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾

[آل عمران: ١٧٥]

- وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]

- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٧٦]

- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾

[القصص: ٧]

- المضارع، مثل: (أخاف، يخاف، نخاف، يخافا، يخافه، يخافون، تخافون، يخوف، نخوفهم، تخافن، يخوفونك): وقد وردت (٥٤) أربعاً وخمسين مرة، مثل:

- قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]

- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾

[طه: ١١٢]

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]

- وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]
- وقوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]
- وقوله تعالى: ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوِلَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٦]
- وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادِ فَاتَّقُوا﴾ [الزمر: ١٦]
- وقوله تعالى: ﴿وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَاثْبُدْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]
- وقوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]
- المصدر، مثل: (خوف، الخوف، خوفاً، تخوفاً، خيفة، خيفته، كخيفتكم): وقد وردت (٣٣) ثلاثاً وثلاثين مرة، مثل:
- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]
- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأحزاب: ١٩]

- وقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾
[السجدة: ١٦]
- وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
[النحل: ٤٧]
- وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾: [طه: ٤٧]
- وقوله تعالى: ﴿وَيُسيِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنَ خِيفَتِهِ﴾
[الرعد: ١٣]
- وقوله تعالى: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]

ثانياً: الألفاظ غير الصريحة

وردت عدة ألفاظ تحمل معنى "الخوف" في القرآن الكريم، وقد استقصى الباحث عشرة ألفاظ، وهي: (الخشية، الحذر، الرهبة، الفزع، الوجل، الرعب، الجزع، الروع، الفرق، الهلع)، وتدلّ دلالة واضحة على معنى الخوف. وقد تكرر ورودها في القرآن الكريم (٢٤٣) متنين وثلاثاً وأربعين مرة. وقد رتبها الباحث حسب عدد مرات ورودها في القرآن الكريم، وهي:

أولاً: لفظة "الخشية" ومشتقاتها

وردت في القرآن الكريم (٤٤) أربعاً وأربعين مرة، في (٤) أربع صيغ مختلفة، وهي:

- الماضي، مثل: (خشي، خشيت، فخشينا): وقد وردت (٦) ست مرات،

في مثل:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ۖ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١]
- وقوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [طه: ٩٤]
- وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]

- المضارع، مثل: (يخشى، تخشى، يخشاها، تخشون، يخشون، يخشونه، أتخشونهم، تخشوه): وقد وردت (٢٢) اثنتين وعشرين مرة، في مثل:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]
- وقوله تعالى: ﴿وَيَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]
- وقوله تعالى: ﴿وَيَجْرَهُنَّ يُخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ [التوبة: ٢٤]
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]
- وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

- وقوله تعالى: ﴿أَخْشَوْهُمْ فَعَلَّاهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[التوبة: ١٣]

- الأمر، مثل: (واخشوا، واخشون، واخشوني، فاخشوهم، فلا تخشوا، فلا تخشوهم): وقد وردت (٨) ثماني مرات، في مثل:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣]
- وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٣]
- وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِي وَلَا تُتَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]
- وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]
- وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤]
- وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِي وَلَا تُتَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]

- المصدر، مثل: (خشية، أشد خشية، خشيته)، وقد وردت (٨) ثماني مرات، في مثل:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]

- وقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾
[النساء: ٧٧]
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾
[الأنبياء: ٢٨]

ثانياً: لفظة "الحذر" ومشتقاتها

وردت في القرآن الكريم (٢٠) عشرين مرة، في (٤) أربع صيغ مختلفة، وهي:

- المضارع، مثل: (يحذر، يحذرون، ويحذركم، تحذرون): وقد وردت (٧) سبع مرات، في مثل:

- قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٤]
- وقوله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]
- وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]
- وقوله تعالى: ﴿أَسْتَهْزِئُوا بِآيَاتِ اللَّهِ مَخْرُجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤]

- الأمر، مثل: (فليحذر، واحذروا، فاحذروا، فاحذروه، فاحذرهم، فاحذروهم): وقد وردت (٧) سبع مرات، في مثل:

- قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]
- وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٩٢]
- وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١]
- وقوله تعالى: ﴿وَعَلِّمُوا أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]
- وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]
- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]

- المصدر، مثل: (حذرهم، حذروهم، حذر الموت)، وقد وردت (٥) خمس مرات، في مثل:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]

- وقوله تعالى: ﴿فَلْيَصْلُواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]

- وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْلَبَ عَلَيْهِمْ فِيءًا إِذْ أَنِمْ مِّنَ الصَّوْعِ حِذْرًا لِّمَوْتٍ﴾ [البقرة: ١٩]

- الاسم: (حاذرون)، وقد وردت مرة واحدة فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦]

ثالثاً: لفظة "الرهبنة" ومشتقاتها

وردت في القرآن الكريم (٨) ثماني مرات، في (٤) أربع صيغ مختلفة، وهي:

- الماضي: (واسترهبوهم): وقد وردت مرة واحدة فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرٰهَبُوهُم﴾ [الأعراف: ١١٦]

- المضارع، مثل: (يرهبون، ترهبون): وقد وردت مرتين فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرٰهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]
- وقوله تعالى: ﴿تُرٰهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

- الأمر: (فارهبون): وقد وردت مرتين فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي فَارٰهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠، النحل: ٥١]

- المصدر، مثل: (رهباً، الرهب، رهبة)، وقد وردت (٣) ثلاث مرات، في:
- قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا^١ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ^٢﴾ [الأنبياء: ٩٠]

- وقوله تعالى: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهَبِ^٣﴾ [القصص: ٣٢]

- وقوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً^٤ فِي^٥﴾ [الحشر: ١٣]

رابعاً: لفظة "الفرع" ومشتقاتها

- وردت في القرآن الكريم (٦) ستّ مرات، في صيغتين مختلفتين، وهما:
- الماضي، مثل: (ففرع، فزعوا، فُزِعَ): وقد وردت (٤) أربع مرات، في مثل:

- قوله تعالى: ﴿فَفَزَعَ^١ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ^٢ وَكُلُّ أَتَوٍّ^٣ دَاخِرِينَ^٤﴾ [النمل: ٨٧]

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ^٥﴾ [سبأ: ٥١]

- قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فُزِعَ^٦ عَنْ قُلُوبِهِمْ^٧﴾ [سبأ: ٢٣]

- المصدر، مثل: (الفرع، فزع)، وقد وردت مرتين فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ^١ الْأَكْبَرُ^٢ وَتَتَلَقَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ^٣

- هَذَا يَوْمُكُمْ^٤ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ^٥﴾ [الأنبياء: ١٠٣]

- وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ فِرْعَ^٦ يَوْمَئِذٍ^٧ آمِنُونَ^٨﴾ [النمل: ٨٩]

خامساً: لفظة "الوجل" ومشتقاتها

وردت في القرآن الكريم (٥) خمس مرات، في (٣) ثلاث صيغ مختلفة، وهي:

- الماضي، مثل: (وجلّت): وقد وردت مرتين فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢، والحج: ٣٥]

- الأمر: (لا توجل): وقد وردت مرة واحدة فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]

- الاسم، مثل: (وجلون، وجلة)، وقد وردت مرتين فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢]
- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

سادساً: لفظة "الرعب" ومشتقاتها

وردت في القرآن الكريم (٥) خمس مرات، في صيغتين فقط، وهما:

- المصدر: (رعباً): وقد وردت مرة واحدة فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾

[الكهف: ١٨]

- الاسم: (الرُّعب)، وقد وردت (٤) أربع مرات، في مثل:

- قوله تعالى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]

سابعاً: لفظة "الجزع" ومشتقاتها

وردت في القرآن الكريم مرتين فقط، في صيغتين فقط، وهما:

- الماضي: (أجزعنا)، وقد وردت مرة واحدة فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]

- الاسم: (جزوعاً)، وقد وردت مرة واحدة فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠]

ثامناً: لفظة "الرَّوع"

وردت في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، في صيغة واحدة فقط، وهي:

- الاسم: (الرَّوع)، وقد وردت مرة واحدة فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]

تاسعاً: لفظة "الفرق"

وردت في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، في صيغة واحدة فقط، وهي:

- المضارع: (يفرقون): وقد وردت مرة واحدة فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَئِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]

عاشرًا: لفظة "الهلع"

وردت في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، في صيغة واحدة فقط، وهي:

- الاسم: (هلوعاً): وقد وردت مرة واحدة فقط، في:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]

المبحث الثاني: دلالات ألفاظ "الخوف" في القرآن الكريم

أولاً: لفظة "خاف" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

يقول ابن فارس: **خَوَفَ: الْخَاءُ وَالْوَاوُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى الذُّعْرِ وَالْفَزَعِ. يُقَالُ: خِفْتُ الشَّيْءَ خَوْفًا وَخِيفَةً. وَالْيَاءُ مُبْدَلَةٌ مِنْ وَאוٍ لِمَكَانِ الْكُسْرَةِ. وَيُقَالُ: خَاوَفَنِي فَلَانٌ فَخَفْتُهُ، أَيْ: كُنْتُ أَشَدَّ خَوْفًا مِنْهُ^(١). وَالْخَوْفُ: الْفَزَعُ، خَافَهُ يَخَافُهُ خَوْفًا وَخِيفَةً وَمَخَافَةً^(٢).**

ب. المعنى الاصطلاحي

الخوف: توقع مكروه أو فوت محبوب. فحذر النفس يكون من أمور ظاهرها يضره. وهو غمٌ يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء، أو توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء توقع محبوب كذلك. وضده: الأمن، ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية^(٣).

(١) أبو الحسين أحمد بن زكريا ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد

هارون، دار الفكر، بدون طبعة، ١٩٧٩م: ٢/٢٣٠.

(٢) جمال الدين محمد ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٩٩٤م،

٩٩/٩.

(٣) علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب

العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٣٢٨.

ج. الدلالة الصوتية للكلمة

لعلنا نجد هذه الدلالات اللغوية حاضرة في لفظة "خاف" ومشتقاتها. فحرف "الخاء" من صفاته: التفخيم، والاستعلاء، والاحتكاك. وهذه الصفات جميعاً توحى بعظم الخوف الذي يمكن أن يعتري الإنسان في لحظة من اللحظات.

أما صوت "الألف" الممدودة الخارجة من الجوف فتوحى بطول زمن الخوف والرغبة التي يشعر بها الإنسان. كما أن هذه الغلظة والفخامة والجهر تشنّد بإضافة "الألف" بعد "الخاء"، فتكون دلالة الكلمة على الخوف أعظم، ويكون استعلاء حرف "الخاء" في أعلى مراتبه ودرجاته، كما قرّر ذلك علماء الأصوات والتجويد^(١).

ثم حرف "الفاء"، وهو من حروف الترقيق والرخاوة والهمس، ولكن المجاورة بينه وبين الحرفين المفخّمين قبله (الخاء، والألف) جعلته يوحى أيضاً بالقوة والفخامة. إذ إنّ اجتماع هاتين الصفتين "الجهر" و"الهمس"؛ فيتغلب الجهر على الهمس؛ مما يوحى بالقوة التي نشعر بها في هذه الألفاظ، وكما يقول المخزومي: "فإذا اجتمع صوت مجهور وآخر مهموس، فقد اجتمع صوتان مختلفان، لكل منهما طبيعة خاصة، والجمع بين هذين الصوتين يقتضي عضو النطق أن يعطي كل صوت منهما حقه، وفي ذلك عسر لا يخفى، فإذا تألفت كلمة وقد تجاور فيها صوتان: أحدهما مجهور، والآخر

(١) عطية قابل نصر: غاية المرید في علم التجويد، ط٧، القاهرة، ١/١٥٨.

مهموس، فما يزال أحدهما يؤثر في الآخر حتى يصيرا مجهورين معاً، أو مهموسين معاً^(١).

د. أثر الدلالة الصوتية في المعنى

والذي يظهر أن الأصوات المستعلية تغلبت على الأصوات الرخوة المستقلة، فأخذت بها إلى دائرة الشدة والاستعلاء في هذه اللفظة؛ فنرى صوت "الخاء" وهو يوحى بهذه الفخامة والاستعلاء في الترقب والخوف؛ فإذا انضاف إليه صوت "الألف" التي تتبع ما قبلها في فخامته وغلظته وشدته؛ فتعطي دلالة أعمق وأقوى في هذا الحذر والخوف. وعلى ذلك يكون "الخوف" تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات. وقد يحصل لأكثر الخلق، وإن كانت مراتبه متفاوتة جداً، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل^(٢).

ملحوظة مهمة

الملاحظ أن صيغة المضارع هي الأكثر وروداً في آيات القرآن الكريم. والذي يتبين للباحث أن ذلك يعود لأمرين، منها:
أ. قد يعتري اللفظة ضعف في التفخيم والتغليظ؛ وذلك باجتماع أمرين في الكلمة: الأول: كسر حرف "الخاء"، والثاني: حذف حرف من الكلمة؛ فتضعف

(١) مهدي المخزومي: في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ص ٨.

(٢) أبو هلال الحسن بن مهران العسكري: معجم الفروق اللغوية، حققه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، بدون طبعة، القاهرة، مصر، ص ١٥٠.

بنية الكلمة، وذلك في صيغة الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]

ب. وقد يعترى اللفظة ضعفٌ بحذف حرف من الكلمة، فتضعف بنيتها وهيئتها، وهذا يكون في صيغة الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]

ج. وقد يعترى اللفظة ضعفٌ بكسر حرف "الخاء"؛ فتضعف بنيتها وهيئتها، وذلك في صيغة المصدر، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ [طه: ٤٧]

لكن الواضح من السياق القرآني الفريد أنه تمّ تعويض هذا النقص وهذا الضعف بإضافة ألفاظ ذات دلالات سياقية قوية، مثل: (فألقيه، إنا، فأوجس)، فأعطت للمعنى السياقي إضافة نوعية رائعة وقوية.

ثانياً: لفظة "الخشية" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

يقول ابن فارس: خَشِيَ: الْخَاءُ وَالشَّيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ وَدُعْرٍ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَجَازُ. فَالْخَشْيَةُ: الْخَوْفُ، وَرَجُلٌ خَشِيَانٌ، وَخَاشَانِي فَلَانٌ فَخَشِيَتُهُ، أَي: كُنْتُ أَشَدَّ خَشْيَةً مِنْهُ. وَيُقَالُ: هَذَا الْمَكَانُ أَخْشَى مِنْ ذَلِكَ،

أَي: أَشَدُّ خَوْفًا^(١). والخَشْيَةُ: الخَوْف، خَشِيَ الرجل يَخْشَى خَشْيَةً، أَي: خاف، قال ابن سيده: خَشِيَهُ يَخْشَاهُ خَشْيًا وَخَشْيَةً وَخَشَاءً وَمَخْشَاءً وَمَخْشِيَةً وَخَشِيَانًا^(٢).

ب. المعنى الاصطلاحي

الخشية: تألم القلب لتوقع مكروه مستقبلاً، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته. ومنه: خشية الأنبياء، ذكره ابن الكمال. وقال الراغب: الخشوع والضراعة، وأكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك روي: إذا خشع القلب؛ خشعت الجوارح^(٣). والخَشْيَةُ أصلها: طمأنينة في القلب، تبعث على التوقي والخوف^(٤).

ج. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من أصول ثلاثة: الخاء، والشين، والياء. فحرف "الخاء" ذكرت صفاته الصوتية ودلالاتها، أما "الشين"، فحرف مستقل مهموس رخو، فإذا اجتمع مع الحرف المغلظ المستعلي القوي قبله "الخاء"؛ فإنهما يتنازعا القوة والضعف، حتى يغلب أحدهما الآخر، ولعل وقوع حرف "الياء" بعدهما

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ١٨٤/٢-١٨٥.

(٢) لسان العرب: ٢٢٨/١٤.

(٣) التعريفات: ص ٣١٤.

(٤) عبدالرحمن بن محمد القمّاش: الحاوي في تفسير القرآن الكريم: وَيُسَمَّى (جَنَّةُ الْمُشْتَقِّ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ الْخُلَاقِ)، ٦٢/٧٠.

وهو حرف مستقل ضعيف - رَجَّح كفة حرف "الشين"، فغلبت صفة الضعف والاستفال على دلالة الكلمة بأكملها.

د. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

لعل الصفة الجامعة بين الأحرف الثلاثة: الخاء، والشين، والياء، هي صفة الرخاوة؛ لذا نجد أن دلالة كلمة "الخشية" توحى بالرخاوة والرقّة والعذوبة؛ فاللفظة من أعمال القلوب؛ والقلوب بحاجة إلى رقة وهمس ورخاوة ورهافة. وهي خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون على علم بما يُخشى منه، ولذلك خصّ بها العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وهي حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته، وخوف الحجب عنه^(١).

هـ. الفرق بين الخوف والخشية

الملاحظ أن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات. وهو يحصل لأكثر الخلق وإن كانت مراتبه متفاوتة جداً، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل.

أما الخشية؛ فهي حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب، فهي خوف خاص، وقد يطلقون عليها الخوف^(٢).

(١) التعريفات: ص ٣١٤.

(٢) معجم الفروق اللغوية للعسكري: ص ١٥٠.

ثالثاً: لفظة "الحذر" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

يقول ابن فارس: حَذَرَ: الْحَاءُ وَالذَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مِنَ التَّحَرُّزِ وَالتَّيَقُّظِ. يُقَالُ: حَذَرَ يَحْذِرُ حَذَرًا. وَرَجُلٌ حَذِرٌ وَحَذُورٌ وَحَذَرِيَانِ: مُتَيَقِّظٌ مُتَحَرِّزٌ. وَحَذَارٍ، بِمَعْنَى احْذَرِ. وَحَذِرُونَ: خَائِفُونَ. وَالْمَحْذُورَةُ: الْفَزَعُ^(١). وَالْحِذْرُ وَالْحَذَرُ وَاحِدٌ، كَالشَّبَّهِ وَالشَّبَّهِ^(٢).

ب. المعنى الاصطلاحي

الحذر: احتراز عن مخيف^(٣). وهو: الاحتراس والاستعداد لدفع المكروه بحسبه^(٤). وَالْحَذَرُ: هُوَ تَوَقِّي الْمَكْرُوهِ^(٥).

ج. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من ثلاثة أصول: الحاء، والذال، والراء. أما "الحاء"؛ فهو صوت مهموس رخو مستقل، وهذه الصفات توحى بالخفة والرقّة والضعف.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٣٧/٢.

(٢) أحمد بن محمد بن المهدي الشاذلي أبو العباس الفاسي: تفسير البحر المديد، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ٤٥٢/١.

(٣) التعريفات: ٢١٧/١.

(٤) جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ٢٨٠/١.

(٥) محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، بدون طبعة، تونس، ١٩٨٤م، ١١٧/٥.

فإذا اجتمع معها حرف "الذال"؛ وهو صوت رخو مستقل؛ فيوحي بزيادة الخفة والرقّة. أما حرف "الراء"؛ فهو صوت مهموس رخو، ولكن فيه تكرار؛ مما يضيف على الكلمة دلالات جديدة، منها تكرار عملية الترقب والتأهب والاحتراز.

د. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

يبدو أن دلالة لفظة "الحذر" تشير إلى الترقب والاحتراز والتأهب، مع الخفة والرقّة وعدم لفت الأنظار، مع تكرار هذه الأمور بين الفينة والأخرى. وهذه هي الدلالة التي نستشعرها من هذه اللفظة بأصواتها الثلاثة: فحرف "الحاء" المهموس الضعيف وهو يصدر من الحلق؛ ليشعرنا بالغصة في الحلق في انتظار أمر ما، يُضاف إليه حرف "الذال" الرخو الضعيف؛ ليوحي الضعف والمسكنة التي تتمك الشخص الحذر، ثم يُختم بصوت "الراء" الذي يوحي بالاضطراب. وهو ما عبّر عنه الجرائري بقوله: "الاحتراس والاستعداد لدفع المكروه بحسبه"^(١).

هـ. الفرق بين الخوف والحذر

إن الخوف توقع الضرر المشكوك في وقوعه، ومن يتيقن الضرر لم يكن خائفاً له. وكذلك الرجاء لا يكون إلا مع الشك، ومن تيقن النفع لم يكن راجياً له.

أما الحذر؛ فهو توقّي الضرر، سواء كان مظنوناً أم متيقناً. والحذر يدفع الضرر، والخوف لا يدفعه، ولهذا يقال: خذ حذرك، ولا يقال: خذ خوفك^(٢).

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) معجم الفروق اللغوية للعسكري: ص ٢٢٦.

رابعاً: لفظة "الرَّهبة" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

يقول ابن فارس: رَهَبَ: الرَّاءُ وَالْهَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ، وَالْآخَرُ عَلَى دِقَّةٍ وَخَفَةٍ.

فَالْأَوَّلُ: الرَّهْبَةُ: تَقُولُ: رَهَبْتُ الشَّيْءَ رُهْبًا وَرَهَبًا وَرَهْبَةً. وَالتَّرْهُّبُ: التَّعَبُّدُ. وَمِنْ الْبَابِ: الْإِرْهَابُ، وَهُوَ قَدْغُ الْإِبِلِ مِنَ الْحَوْضِ وَذِيَادُهَا.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الرَّهْبُ: النَّاقَةُ الْمَهْزُوءَةُ. وَالرَّهَابُ: الرَّقَاقُ مِنَ النَّصَالِ: وَاحِدُهَا: رَهَبٌ. وَالرَّهَابُ: عَظُمَ فِي الصَّدْرِ مُشْرِفٌ عَلَى الْبَطْنِ مِثْلُ اللِّسَانِ^(١).

وفيه ثلاث لغات: فتح الراء والهاء: "الرَّهَب"، وفتح الراء وإسكان الهاء: "الرَّهْب"، وضم الراء وإسكان الهاء: "الرُّهْب"^(٢).

ب. المعنى الاصطلاحي

الرَّهْبَةُ والرَّهَبُ: مخافة مع تحرُّزٍ واضطرابٍ، تقول: رهبت الشيء رُهْبًا ورَهَبًا ورهبةً^(٣). والرَّهْبَةُ: الخوف، مأخوذ من الرَّهَابَةِ، وهي عظم في الصدر

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٤٧/٢.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بدون طبعة، لبنان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ١٣٦٢، والحاوي في تفسير القرآن الكريم: ١٩١/٢١.

(٣) التعريفات: ٣٧٥/١.

يؤثر فيه الخوف^(١). والرَّهَبُ بِالتَّحْرِيكِ: الْخَوْفُ الْمُقْتَرِنُ بِالِاضْطِرَابِ، كَمَا قَالَ الرَّاعِبُ^(٢).

ج. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من ثلاثة أصول: الراء، والهاء، والباء. أما صوت الراء؛ فقد سبق التعريف به، وأما حرف الهاء؛ فهو صوت مهموس رخو مستقل، ويوحي بالضعف والوهن الذي يعتري النفس حين الشعور بهذا الخوف، وأما حرف "الباء"؛ فهو صوت مجهور شديد، ومجيئه في نهاية الكلمة يوحي بقوة وشدة تأثير الخوف على النفس حين يبلغ منتهاه.

د. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

لعلّ هذه الإحياءات المتعددة في هذه اللفظة "الرَّهبة" توحى باضطراب معيّن، من خلال تكرار حرف "الراء"، ورخاوة وهمس -وهو حديث النفس- من خلال حرف "الهاء"، وشدة وجهر في نهاية المطاف حين يبلغ الخوف منتهاه من خلال حرف "الباء". وهذه المعاني كلها نجدها حاضرة في هذه اللفظة.

وهذا التصوير في حركة حرف "الراء" وهو يضطرب ويتردد ليلتقي مع حرف "الهاء" المهموس الضعيف، يصلان معاً إلى صوت "الباء" المضطرب

(١) الحاوي في تفسير القرآن الكريم: ٩١/٤٨.

(٢) المرجع السابق: ١٢٤/٣١٦.

المقلقل غير المستقر؛ ليعبروا جميعاً عن هذه الصورة المهزوزة الضعيفة الرهيبة.

هـ. الفرق بين الخوف والرهيبة

الخوف: هو توقع الوعيد، وهو سوط الله يقوم به الشاردين من بابـه، ويسير بهم إلى صراطه، حتى يستقيم به أمر من كان مغلوباً على رشدته، ومن علامته: قصر الأمل وطول البكاء.

أما الرهيبة؛ فهي انصباب إلى وجهة الهرب، رهب وهرب، مثل: جبذ وجذب، فصاحبها يهرب أبداً لتوقع العقوبة، ومن علاماتها: حركة القلب إلى الانقباض من داخله، وهربه وإزعاجه عن انبساطه، حتى إنه يكاد أن يبلغ الرهابة في الباطن، مع ظهور الكمد والكآبة على الظاهر^(١) والرهيبة: طول الخوف، واستمراره، ومن ثم قيل للراهب: راهب؛ لأنه يديم الخوف^(٢).

خامساً: لفظة "الفرع" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

يقول ابن فارس: فَرَغَ: الْفَاءُ وَالزَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ:

أَحَدُهُمَا: الذُّعْرُ. يُقَالُ: فَرَغَ يَفْرِغُ فَرَغًا، إِذَا ذُعِرَ، وَأَفْرَعْتُهُ أَنَا، وَهَذَا مَفْرَغُ الْقَوْمِ، إِذَا فَرَغُوا إِلَيْهِ فِيمَا يَدْهَمُهُمْ. وَالْمَفْرَعَةُ: الْمَكَانُ يَلْتَجِي إِلَيْهِ الْفَرِغُ.

(١) معجم الفروق اللغوية للعسكري: ص ٢٦٢.

(٢) موقع المكتبة الشاملة: كتاب الفرق، معجم رائع في الفروق الدقيقة بين الكلمات،

ص ٢٠٨.

وَالْآخَرُ: الْإِغَاثَةُ. يَقُولُونَ: أَفْزَعْتُهُ إِذْ رَعَبْتَهُ، وَأَفْزَعْتُهُ إِذَا أَعْتَتَهُ. وَفَزَعْتُ إِلَيْهِ فَأَفْزَعَنِي، أَي لَجَأْتُ إِلَيْهِ فَزَعًا فَأَغَاثَنِي^(١).

ب. المعنى الاصطلاحي

الفرع: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع^(٢).

ج. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من ثلاثة أصول: الفاء، والزاي، والعين. أما "الفاء"؛ فهو صوت رخو مهموس، يوحي بالضعف الذي يعتري النفس ويتملكها. فإذا اجتمع معها حرف "الزاي"؛ وهو رخو مستقل رخو أيضاً؛ فيوحي بشدة الضعف الذي يعتري النفس ويؤثر فيها. أما حرف "العين"؛ فهو صوت متوسط بين الشدة والرخاوة؛ مما يضيف على الكلمة دلالات جديدة، منها المتوسط في الشدة مع الاضطراب وعدم الاستقرار.

د. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

لعلّ هذه الإحياءات المتعددة في هذه اللفظة توحى بالهمس والضعف الذي نشعر به من خلال صفات صوت "الفاء"، والرخاوة والهمس -وهو حديث النفس- من خلال حرف "الزاي"، والمتوسط بين الشدة والجهر في نهاية

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٥٠١/٤.

(٢) التعريفات: ص ٥٥٥.

المطاف حين يبلغ خوف منتهاه من خلال حرف "العين". وهذه المعاني كلها نجدها حاضرة في هذه اللفظة متعددة صفات الأصوات ومخارجها.

هـ. الفرق بين الخوف والفرع

الفرع: انقباض ونفار يعرض للإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع. وهو الخوف الشديد، ومنه قوله تعالى: {لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} [الأنبياء: ١٠٣]، وهو الخوف من دخول النار وعذابها. فلا خوف أشد منه ولا أعظم^(١).

سادساً: لفظة "الوجل" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

وجل: الوجل: الْفَزَعُ وَالْخَوْفُ، وَجَلَّ وَجَلًّا، بِالْفَتْحِ. وَفِي الْحَدِيثِ: "وَعَظَنَّا مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ"^(٢). والوجل: استشعار الخوف. يقال: وَجَلَّ يَوْجَلُّ وَجَلًّا: خاف وفرع، فهو وَجَلٌّ. والوجل: الفرع والخوف^(٣).

ب. المعنى الاصطلاحي

الوجل إنما يكون في القلب، وهو الخوف مع التعظيم، ولا يكون إلا لله عز وجل. ووجل القلب من أخص صفات المؤمنين؛ وإنما يكون عند ذكر الله

(١) معجم الفروق اللغوية للعسكري: ص ٢٧٤.

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة: وجل، ٧٢٢/١١.

(٣) الحاوي في تفسير القرآن الكريم: ٣٠٣/١.

تعالى؛ سواء كان المؤمن ذاكرًا لله تعالى أم ذكر الله تعالى عنده، إذ ليس كل من ذكر الله تعالى أو ذكر عنده لأن قلبه، واقتصر جلده، وفاضت عيناه، وانتابته حالة من الخوف والرغبة، والتعظيم والإجلال والافتقار، ومع ذلك الرغبة والحب والرجاء، وخالط ذلك كله الرضا والسكينة والأمن والطمأنينة وسيطرت عليه المراقبة، والنظر في العواقب، وكان دائم الفكر في الموت، والقبر والحساب، والجنة والنار؛ فتلك بعض معاني الوجل، وهي حالة قلبية ونفسية تتحقق للمؤمن عند ذكر الله عز وجل^(١).

ج. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من ثلاثة أصول: الواو، والجيم، واللام. أما "الواو"؛ فهو صوت رخو مستقل، فيوحي بالركة والضعف. فإذا اجتمع معها حرف "الجيم"؛ وهو صوت شديد مضطرب مقلقل؛ فيوحي بشدة الاضطراب وعدم الثبات على الأمر، وهو عكس السكينة والهدوء. أما حرف "اللام"؛ فهو صوت منحرف متوسط الرخاوة؛ مما يضيفي على الكلمة دلالات جديدة، منها الترقب والتأهب والاحتراز والاضطراب.

د. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

من خلال تتبع صفات أصوات هذه اللفظة؛ نجد أن تحمل دلالات عظيمة، فالواو وهو يخرج من الشفتين؛ ليوحي بشكل الفم وهو يستدير ليرسم لنا لوحة

(١) الآلوسي: روح المعاني، المكتبة التوفيقية، تحقيق: فؤاد بن سراج عبدالغفار، ٤٦٥/٥، بتصرف.

فنية تعبّر عن خوفها ووجلها وترقبها، فإذا انضاف إليه صوت "الجيم"؛ اكتمل وجه آخر من اللوحة الفنية، وهو التقلقل والاضطراب، ثم يختم بصوت "اللام" لتكتمل اللوحة بصورة الانحراف والتشتت الذهني؛ لتصبح دلالات اللفظة جميعاً: عدم السكينة، والاحتراز، والاضطراب مع الخفة والرقّة، والتشتت، وعدم لفت الأنظار. وهذه هي الدلالة المطلوبة من هذه اللفظة.

هـ. الفرق بين الخوف والوجل

الخوف خلاف الطمأنينة، وجل الرجل يوجل ورجلاً: إذا قلق ولم يطمئن، ويقال: أنا من هذا على وجل، ومن ذلك على طمأنينة، ولا يقال: على خوف في هذا الموضع، وفي القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، أي: إذا ذكرت عظمة الله وقدرته؛ لم تطمئن قلوبهم إلى ما قدموه من الطاعة، وظنوا أنهم مقصرون؛ فاضطربوا من ذلك، وقلقوا^(١).

سابعاً: لفظة "الرُعْب" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

رَعَبَ: الرَاءُ وَالْعَيْنُ وَالْبَاءُ أَصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا الْخَوْفُ، وَالثَّانِي الْمَلْءُ، وَالْآخِرُ الْقَطْعُ. فَالْأَوَّلُ الرَّعْبُ وَهُوَ الْخَوْفُ، رَعْبَتُهُ رَعْبًا، وَالِاسْمُ الرَّعْبُ. وَيُقَالُ: إِنَّ الرَّعْبَ رُقِيَّةٌ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَرْعِبُونَ ذَا السَّحْرِ بِكَلَامٍ، أَيْ يُفْزِعُونَهُ.

(١) معجم الفروق اللغوية للعسكري: ص ١٥٦.

وَفَاعِلُهُ رَاعِبٌ وَرَعَابٌ. وَالْأَصْلُ الْآخِرُ قَوْلُهُمْ: سَيْلٌ رَاعِبٌ، إِذَا مَلَأَ الْوَادِي. وَرَعَبْتُ الْحَوْضَ إِذَا مَلَأْتَهُ. وَالثَّلَاثُ قَوْلُهُمْ لِلشَّيْءِ الْمَقْطَعِ: مَرَعَبٌ. وَيُقَالُ لِلْقِطْعَةِ مِنَ السَّنَامِ: رُعْبُوبَةٌ. وَتُسَمَّى الشُّطْبَةُ مِنَ النَّسَاءِ رُعْبُوبَةً: تَشْبِيهًا لَهَا بِقِطْعَةِ السَّنَامِ. وَيُقَالُ: سَنَامٌ مَرْعُوبٌ إِذَا كَانَ يَقْطُرُ دَسَمًا^(١).

ب. المعنى الاصطلاحي

الرعب: الانقطاع عن امتلاء الخوف ولتصور الامتلاء منه، قيل: رعبت الحوض ملأته وباعتبار القطع، قيل: رعبت السنام قطعته^(٢). والرعب: الخوف الذي يحصل في القلب، وأصل الرعب: الملاء، يقال: سيل راعب إذا ملأ الأودية والأنهار، وإنما سمي الفرع رعباً؛ لأنه يملأ القلب خوفاً^(٣).

ج. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من ثلاثة أصول: الراء، والعين، والباء. أما "الراء"؛ فهو صوت رخو دائر بين التفخيم والترقيق، ولكنه في هذه اللفظة مفخم دائماً كونه مضموماً. فإذا اجتمع معها حرف "العين"؛ وهو مجهور مستقل؛ فيوحي بتقل هذه اللفظة وجهرها. أما حرف "الباء"؛ فهو صوت مستقل ومقلقل ومضطرب؛ مما يضيف على الكلمة دلالات جديدة، منها الرخاوة والاستفال مع الاضطراب وعدم الاستقرار.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٠٩/٢-٤١٠.

(٢) التعريفات: ص ٣٦٧.

(٣) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي الرازي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ٢٧/٩.

د. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

لعل اجتماع ثلاث الصفات في هذه اللفظة يوحي بالخوف الشديد الذي يعترى الشخص؛ فصوت الرءاء المفخم المضطرب حين يمتلئ الفم بصداه يُشعر بالرهبة والشدة، حتى إذا انضاف إليه صوت العين -وهو يمثل البحة والغصة في الحلق- ليعطي مزيداً من الرهبة والشدة، فإذا ختم بصوت الباء -وهو صوت انفجاري مقلقل- شعرنا بعظم هذه الرهبة وقوتها وعظمتها المتكونة من هذه المخارج الثلاثة: اللسان، والحلق، والشفيتين؛ لتصدر لفظة "الرعب" بكل ما تحمله من دلالات ومعانٍ، وهو ما نستشعره في قول الله: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ [الكهف: ١٨].

هـ. الفرق بين الفرع والرعب

الْفَرْعُ: الخَوْفُ، وقيل: هُوَ الخَوْفُ الذي يَمْلَأُ الصَّدْرَ وَالْقَلْبَ، أما الرُّعبُ: فهو أَشَدُّ الخَوْفِ^(١). يُقال: نَزَلَ الرُّعبُ فِي قَلْبِهِ، وَمَلَأَ صَدْرُهُ رُعبًا، وَبَاتَ الخَوْفُ مِلءَ ضُلُوعِهِ، وَكَادَ يَنْشَقُّ صَدْرُهُ مِنَ الرُّعبِ^(٢).

ثامناً: لفظة "الجزع" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

جَزَعَ: الْجَبِمْ وَالزَّيَّ وَالْعَيْنُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا النَّاظِرُ، وَالْآخَرُ جَوْهَرٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ. فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَيَقُولُونَ جَزَعْتُ الرَّمْلَةَ إِذَا قَطَعْتُهَا؛ وَمِنْهُ: جَزَعُ الْوَادِي،

(١) تاج العروس: ٥٠٤/٢.

(٢) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد: ص ١٩٥.

وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَقْطَعُهُ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ إِلَى الْجَانِبِ؛ وَيُقَالُ: هُوَ مُنْعَطَفُهُ. فَإِنْ كَانَ كَذَا فَلِأَنَّهُ انْقَطَعَ عَنِ السَّيْتِ وَأَفْجَعَجَ. وَالْجَزَعُ: نَقِيضُ الصَّبْرِ، وَهُوَ انْقِطَاعُ الْمُنَّةِ عَنْ حَمَلٍ مَا نَزَلَ^(١). وَالْجَزَعُ بِالْجِيمِ وَالزَّي: الْخَوْفُ^(٢). وَالْجَزَعُ: الْخَوْفُ، وَالْفَزَعُ، وَعَدَمُ الصَّبْرِ، وَالْحَزَنُ^(٣). وَفِي الْحَدِيثِ: (كَلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا)، أَي: صَوْتًا يَفْزَعُ مِنْهُ، وَيَخَافُ. وَأَصْلُهُ: مِنَ الْجَزَعِ^(٤).

ب. المعنى الاصطلاحي

الجزع محرّكاً: حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه، فهو أبلغ من الحزن؛ لأن الحزن عامٌّ، وأصل الجزع: قطع الحبل من نصفه ولتصور الانقطاع فيه^(٥). وهو خلاف الصبر. والجزع إظهار ما يلحق المصاب من المضض والغم^(٦). ومن الجزع قول الله: ﴿يَأْسَفَى عَلَى﴾ [يوسف: ٨٤]، معناه: يا جزعا على يوسف^(٧).

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٥٣/١.

(٢) محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون طبعة، ٤٩٦/٢٠.

(٣) إبراهيم بن إسحق الحربي، أبو إسحق: غريب الحديث، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ، ١٩٦/٤.

(٤) أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون طبعة، ١٧١/٢.

(٥) التعريفات: ص ٢٤٢.

(٦) معجم الفروق اللغوية للعسكري: ص ١٣٨.

(٧) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ١٨٨/١.

ج. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من ثلاثة أصول: الجيم، والزاي، والعين. أما "الجيم"؛ فهو صوت شديد، يوحي بثقل هذه اللفظة وشدتها على النفس. فإذا اجتمع معها حرف "الزاي"؛ وهو رخو مستفل؛ فيوحي بالضعف الذي يعتري النفس ويؤثر فيها. أما حرف "العين"؛ فهو صوت متوسط بين الشدة والرخاوة؛ مما يضفي على الكلمة دلالات جديدة، منها التوسط في الشدة مع الاضطراب وعدم الاستقرار.

د. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

الاستهلال بصوت الجيم - وهو حرف لساني - في لفظة "جزع" يوحي بالشدة والجهر في إظهار الخوف من أول وهلة، ثم إذا انضاف إليه رخاوة صوت "الزاي" ورقته؛ أشعر بارتخاء الأعصاب نتيجة هذا الخوف، ثم يُضفي صوت "العين" بجهره وشدته انكشاف هذا الخوف وافتضاح أمره وظهور علاماته على الوجه والعينين وتلغم اللسان وعجزه عن الكلام؛ فتتكون صورة رائعة من العجز التام عن التصرف والحديث، وهذا المعنى نجده حاضرًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ﴾ [المعارج: ١٩-٢٠].

تاسعًا: لفظة "الرَّوع" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

رَوَعَ: الرَاءُ وَالْوَاوُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى فَزَعٍ أَوْ مُسْتَقَرٍّ فَزَعَ. يُقَالُ: رَوَعْتُ فُلَانًا وَرُعْتُهُ: أَفْزَعْتُهُ. وَالرَّوْعُ مِنَ الرِّجَالِ: ذُو الْجِسْمِ وَالْجَهَارَةِ،

كَأَنَّهُ مِنْ ذَلِكَ يَرُوعُ مَنْ يَرَاهُ. وَالرَّوْعَاءُ مِنَ الْإِبِلِ: الْحَدِيدَةُ الْفُؤَادِ، كَأَنَّهَا تَرْتَاغُ مِنْ الشَّيْءِ. وَهِيَ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي تَرُوعُ النَّاسَ، كَالرَّجُلِ الْأَرُوعِ.

وَأَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي أَوْمَأْنَا إِلَيْهِ فِي مُسْتَقَرِّ الرَّوْعِ، فَهُوَ الرَّوْعُ. يُقَالُ: وَقَعَ ذَلِكَ فِي رُوعِي. وَفِي الْحَدِيثِ^(١): "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: إِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ"^(٢).

ب. المعنى الاصطلاحي

والرَّوْعُ: إصابة الرُّوع (القلب). واستعمل فيما أُلقي فيه من الفزع، يقال: رعته وروَّعته، ورِيع فلان: فزع. والأرُوع: الذي يروع بحسنه، كأنه يُفزع. ويقال: "أَفْرَخَ رَوْعًا"، وأُلْقِيَ فِي رُوعِي، أي: فِي خَلْدِي. و"الرَّوْعُ": الْقَلْبُ وَالْعَقْلُ. و"الرَّوْعُ": الْفَزَعُ^(٣). يقال: نَاقَةٌ لَا تَشْرَبُ إِلَّا مِنَ الرَّوْعِ، أي: الْخَوْفِ^(٤).

ج. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من ثلاثة أصول: الراء، والواو، والعين. أما "الراء"؛ فهو صوت رخو دائر بين التفخيم والترقيق، ولكنه في هذه اللفظة مفخم دائماً كونه مفتوحاً أو مضموماً. فإذا اجتمع معها حرف "الواو"؛ وهو رخو مستقل؛ فيوحي بالضعف الذي يعتري النفس ويؤثر فيها. أما حرف "العين"؛ فهو

(١) حديث حسن صحيح. انظر: صحيح الترغيب والترهيب للألباني، ١٤٤/٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٥٩/٢-٤٦٠.

(٣) الحاوي في تفسير القرآن الكريم: ٣٧١/١.

(٤) تاج العروس: ١١٣/١٣.

صوت متوسط بين الشدة والرخاوة؛ مما يضيف على الكلمة دلالات جديدة، منها التوسط في الشدة مع الاضطراب وعدم الاستقرار، مع قوة التأثير والخوف الذي يشعر به الإنسان.

د. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

استهلكت لفظة "روح" بصوت "الراء" الذي يوحي بالاضطراب وعدم الاستقرار الذي يعتل في النفس خوفاً من مكروهه، فإذا انضاف إليه صوت "الواو" وهو يصور شكل الفم مستديراً ليدل على الرهبة والبهت من هول المشهد، حتى إذا ختم بصوت "العين" ببحته وغصته في الحلق؛ تشكلت صورة حية ناطقة بهول المشهد وأحاسيس النفس ومشاعرها حيال هذا الخوف والرعب. وهذا ما شعر به جيداً في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤].

عاشراً: لفظة "الفرق" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

فَرَقَ: الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزٍ وَتَرْيِيلٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ^(١). والفرق: الْفَزَعُ وَالذُّعْرُ مِنَ الشَّيْءِ^(٢). والفرق بالتحريك: الخوف والفزع، يقال: فرق يفرق فرقاً، ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه: (أبالله تفرقني)، أي: تخوفني^(٣).

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/٤٩٣-٤٩٦.

(٢) لسان العرب: ٨/٢٥١.

(٣) غريب الحديث: ٣/٤٣٨.

ب. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من ثلاثة أصول: الفاء، والراء، والقاف. أما "الفاء"؛ فهو صوت رخو مستقل مهموس، يوحي بالضعف الذي يعتري الإنسان حال الخوف. فإذا اجتمع معها صوت "الراء"؛ وهو صوت رخو دائر بين التفخيم والترقيق، ولكنه في هذه اللفظة مفخم دائماً كونه مفتوحاً؛ فيوحي بعظم وشدة الضعف. فإذا اجتمع معها حرف "القاف"؛ وهو رخو مستقل مفخم؛ فيضيف على الكلمة دلالات جديدة، منها عظم وقوة التأثير والخوف الذي يشعر به الإنسان.

ج. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

لعلّ في اجتماع ثلاثة الأصوات في هذه اللفظة "فرق" يوحي بالهمس والخفة التي نجدها في صوت "الفاء"؛ فالخوف محبوس في النفس، وتضطرب هذه النفس وتختلف مع صوت "الراء"، فإذا انضاف إليهما صوت "القاف" بشدته وجهره وغلظته؛ أشعرنا بشدة الخوف والاضطراب في نفس الشخص. وهذا ما نلمسه جلياً في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦].

حادي عشر: لفظة "الهلع" ومشتقاتها

أ. المعنى اللغوي

هَلَعَ: الْهَاءُ وَاللَّامُ وَالْعَيْنُ: يَذُلُّ عَلَى سُرْعَةٍ وَحِدَةٍ. وَنَاقَةٌ هَلَوَاعٌ: حَدِيدَةٌ سَرِيعَةٌ. وَنَعَامَةٌ هَالَعٌ كَذَلِكَ. وَمِنْهُ الْهَلَعُ فِي الْإِنْسَانِ: شِبْهُ الْحَرَصِ. وَرَجُلٌ هَلَعٌ وَهَلُوْعٌ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: رَجُلٌ هُلَعَةٌ يَهْلَعُ وَيَجْزَعُ سَرِيعًا. وَيُقَالُ: مَا لَهُ هَلَعٌ

وَلَا هِلْعَةً، أَيَّ جَدِّي وَلَا عَنَاقٍ، وَسُمِّيَا بِذَلِكَ لِنَزَقِهِمَا^(١). والهلـع: الحرص، وقيل: الجزع، وقلة الصبر، وقيل: هو أسوأ الجزع وأفحشه، هلـع يهلـع هلـعاً وهلوعاً؛ فهو هلـعٌ وهلوعٌ^(٢).

ب. الدلالة الصوتية للكلمة

تتكون الكلمة من ثلاثة أصول: الهاء، واللام، والعين. أما "الهاء"؛ فهو صوت رخو مستقل مهموس، يوحي بالضعف الذي يعتري الإنسان حال الخوف. فإذا اجتمع معها صوت "اللام"؛ وهو صوت رخو مستقل؛ فيوحي بمزيد من الضعف والهوان. فإذا اجتمع معها حرف "العين"؛ فهو صوت متوسط بين الشدة والرخاوة؛ مما يضيفي على الكلمة دلالات جديدة، منها التوسط في الشدة مع الاضطراب وعدم الاستقرار، مع قوة التأثير والخوف الذي يشعر به الإنسان.

ج. أثر الدلالة الصوتية على المعنى

يوحي الهمس والرخاوة في صوت "الهاء" بالحالة النفسية الضعيفة التي يعاني منها الشخص الخائف المهلوع، فإذا انضاف إليها صوت اللام زاد هذا الضعف والشعور بالعجز، ثم يضيف صوت "العين" ببخته وغصته في الحلق صورة تملك الخوف والفرع على النفس. وهذا ما نشعر به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩].

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٦/٦٢.

(٢) لسان العرب: ٨/٣٧٤.

د. بين الهلع والجزع والفرع

الهلع: الحرص. وقيل: الجزع، وقلة الصبر، وهو أسوأ الجزع^(١). والهلع: الجزع الفاحش الذي يظهر فيه الخضوع والانقياد^(٢). فالفرع مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هدة وما أشبه ذلك، وهو انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل، وقيل: الهلوع على ما فسره الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١]، ولا يسمى هلوًا حتى تجمع فيه هذه الخصال^(٣).

(١) أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد

هنداوي، دار الكتب العلمية، بدون طبعة، بيروت، ٢٠٠٠م، ١/١٢٤.

(٢) خزائن الأدب: ٣٨/٦.

(٣) كتاب الفرق: ص ٢٠٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد؛

فإن كل لفظ في القرآن الكريم اختير مكانه وموضعه من الآية أو العبارة أو الجملة، بحيث لا يسدّ غيره مسدّه بدهاءة، فقد اختار القرآن اللفظ المناسب في الموقع المناسب من عدة وجوه، وبمختلف الدلالات، إلا أن استتباط ذلك صوتيًا يوحى باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق، وإشارة أدقّ، بحيث يتعذر على أية جهة فنية استبدال ذلك بغيره، إذ لا يؤدي غيره المراد الواعي منه، وذلك معلم من معالم الإعجاز البياني في القرآن.

ولقد كان اختيار اللفظ المناسب للصوت المناسب حقلاً يانعاً في القرآن لا للدلالة الصوتية فحسب، بل لجملة من الدلالات الإيحائية واللغوية، وتلك ميزة القرآن الكريم في تخير الألفاظ.

وقد رأينا في هذا البحث دلالات كبيرة وعظيمة أفادت ألفاظ وأصوات حروفها، إما بأصوات الحروف منفردة أو مركبة. وأعطت هذه الدلالات الجو النفسي والحركي الذي تحتاجه لفظة "الخوف" ومشتقاتها.

كما رأينا توارد الآيات ذات الدلالات المشتركة بألفاظ متنوعة، لتعطي إحياءات مختلفة ومتنوعة، إذ إن لكل آية بألفاظها دلالة تختلف عن الآية الأخرى بما أوحى به في سياق آخر، وبألفاظ أخرى.

فقد رأينا الألفاظ: (الخشية، الحذر، الرهبة، الفرع، الوجل، والرعب،
الجزع، الروع، الفرق، الهلع) بسياقاتها المختلفة قد أعطت دلالات وإيحاءات
متنوعة، أعطت في مجموعها المعاني والدلالات التي توحى بها لفظة
"الخوف" ومشتقاتها.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.
٢. إبراهيم اليازجي (ت ١٣٢٤هـ): نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مطبعة المعارف، بدون طبعة، مصر، ١٩٠٥م.
٣. إبراهيم أنيس (ت ١٣٩٧هـ): الأصوات اللغوية، مطبعة الأنجلو المصرية، ط٤، القاهرة، ١٩٨١م.
٤. إبراهيم أنيس (ت ١٣٩٧هـ): دلالة الألفاظ، مطبعة الأنجلو المصرية، بدون طبعة، القاهرة، ١٩٧٦م.
٥. إبراهيم بن إسحق الحربي، أبو إسحق (ت ٢٨٥هـ): غريب الحديث، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ.
٦. أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بدون طبعة، بيروت، ٢٠٠٠م.
٧. أبو الحسين أحمد بن زكريا ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بدون طبعة، ١٩٧٩م.
٨. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ): الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٩. أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ): كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون طبعة.

١٠. أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.
١١. أبو هلال الحسن بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ): **الفروق اللغوية**، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، بدون طبعة، القاهرة.
١٢. أحمد بن محمد بن المهدي الشاذلي أبو العباس الفاسي (ت ١٢٢٤هـ): **تفسير البحر المديد**، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
١٣. الإمام العلامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي الرازي (ت ٦٠٦هـ): **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
١٤. جابر بن موسى بن عبدالقادر بن جابر أبو بكر الجزائري (معاصر): **أيسر التفاسير لكلام عليّ الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
١٥. جمال الدين محمد ابن منظور (ت ٧١١هـ): **لسان العرب**، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٩٩٤م.
١٦. شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ): **روح المعاني**، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٧. عبدالرحمن بن محمد القمّاش (معاصر): الحاوي في تفسير القرآن الكريم: ويسمّى (جَنَّةُ الْمُشْتَقِّ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ)، بدون طبعة.
١٨. عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، إميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأخيرة، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٩. عطية قابل نصر (معاصر): غاية المريد في علم التجويد، ط٤، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٢٠. علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ): التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢١. محمد الصغير (معاصر): الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٢. محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر، بدون طبعة، تونس، ١٩٨٤م.
٢٣. محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ): التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ.

٢٤. محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون طبعة.
٢٥. محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ): صحيح التَّرجيب والترَّهيب، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
٢٦. مهدي المخزومي: في النحو العربي - قواعد وتطبيق، بدون طبعة وسنة نشر.
٢٧. موقع المكتبة الشاملة: كتاب الفرق، معجم رائع في الفروق الدقيقة بين الكلمات.

21. Muhammad Alsughayyir Mu Alsawt Allaghwi Fayy Alqurraa Dar Almu Alarbi T Bayrut.
22. Muhammad Altahir Ibn Ashur Tuhh Tahrir Almaana Alsadid Watanwiyyar Alaql Aljudayyid Mann Tafsir Alkitab Almajid Altahrir Walatanwyyyar Aldar Altawnasiyyah Lalanshir Baddun Tab Tunus.
23. Muhammad Bin Ahmad Bin Muhammad Alkalbi Algharnatiyy Tuhh Altashil Laalum Altanzil Tahqiq Alduktur Abdullah Alkhalidi Sharikah Dar Alarqam Bin Abi Alarqam T Bayrut.
24. Muhammad Bin Muhammad Bin Abdulrazzaq Alhusayni Abualfaydh Almulaqqab Bumratdhi Alzubaydiyy Tuhh Taj Alarus Mann Jawahir Alqamus Tahqiq Majmu Mann Almuhiqqin Dar Alhidayah Baddun Tab.
25. Muhammad Nasir Aldeen Alalbaniyy Tuhh Sahih Altarghib Wualtarhiyyab Muktabih Alma Lalanshir Walatuziyya T Alriyadh Almamlakah Alarabiyyah Alsu.
26. Mahdi Almakhzumi Fayy Alnahw Alarbi Qawa Wuttubiyaq Baddun Tab Wasnah Nashr.
27. Muqi Almuhtabih Alshamilah Kitab Alfirq Muajam Raei Fayy Alfuruq Aldaqqah Bayn Alkalmat.

12. Ahmad Bin Muhammad Bin Almahdi Alshathili Abualabbas Alfasi Tuhh Tafsir Albahr Almadid Dar Alkatib Alalamiyyah T Bayrut.
13. Alimam Alalamah Fakhr Aldeen Muhammad Bin Omar Altamimiyy Alshafi Alrazi Tuhh Mafatih Alghayyab Dar Alkatib Alalamiyyah T Bayrut.
14. Jabir Bin Musa Bin Abdulqadir Bin Jabir Abubakr Aljzaeie Mu Aysar Altafasir Laklam Alali Alkabir Muktabih Alolum Walihkam T Almadinah Almunawwarah Almamlakah Alarabiyyah Alsu.
15. Jamal Aldibn Muhammad Ibn Manthur Tuhh Lisan Alarab Dar Sadir T Bayrut.
16. Shihab Aldeen Mahmud Bin Abdullah Alhusayni Alalwiss Tuhh Rawh Almu Tahqiq Ali Abdulbari Atyah Dar Alkatib Alalamiyyah T Bayrut.
17. Abdulrahman Bin Muhammad Alqimash Mu Alhawi Fayy Tafsir Alqurraa Alkarim Waysami9 Jannah Almushtaq Fayy Tafsir Kalam Almalak Alkhallaq Baddun Tab.
18. Abdulqadir Bin Omar Albaghdadiyy Tuhh Khizanah Aladab Wilb Labab Lisan Alarab Tahqiq Muhammad Nabil Turayfiyy Imil Badia Alyaaqub Dar Alkatib Alalamiyyah Altab Alakhirah Bayrut.
19. Atyah Qabil Nasr Mu Ghayah Almuryid Fayy Alam Altajwid T Alqahirah.
20. Ali Bin Muhammad Bin Ali Aljarjaniyy Tuhh Altaaeafat Tahqiq Ibrahim Alabyariyy Dar Alkitab Alarbi T Bayrut.

List of references and sources

1. Alquran Alkarim.
2. Ibrahim Alyaziji Tuhh Naj Alraei Wushar Alwarid Fayy Almutaradif Walamtawarid Matba Alma Baddun Tab Misr.
3. Ibrahim Anis T Alaswat Allaghwiyyah Matba Alanjalw Almisriyyah T Alqahirah.
4. Ibrahim Anis Tuhh Dallalah Alalfath Matba Alanjalw Almisriyyah Baddun Tab Alqahirah.
5. Ibrahim Bin Ishaq Alharbi Abuishaq Tuhh Gharib Alhiddith Tahqiq D Sulayman Ibrahim Muhammad Alayid Jami Amm Alqura T Makkah Almukrimah.
6. Abualhusn Ali Bin Ismael Ibn Saydah Tuhh Almuhammad Walumhiyyat Alaatham Tahqiq Abdulhamid Hindawiyy Dar Alkatib Alalamiyyah Baddun Tab Bayrut.
7. Abualhusayn Ahmad Bin Zakariyya Ibn Faris Tuhh Maqayis Allughah Tahqiq Abdulsalam Muhammad Harun Dar Alfikr Baddun Tab M.
8. Abubakr Muhammad Bin Alqasim Alanbariyy Tuhh Alzahir Fayy Mu Kalimat Alnas Tahqiq D Hatim Salih Aldhamin Ma Alrisalah T Bayrut.
9. Abuabdurahman Alkhalil Bin Ahmad Alfarahidiyy Tuhh Kitab Alayn Tahqiq D Mahdi Almakhzumi Widd Ibrahim Alsamuraei Dar Wumkutibah Alhilal Baddun Tab.
10. Abumuhammad Abdulhaqq Bin Atyah Alandalsiyy Tuhh Almuhrir Alwjjiz Fayy Tafsir Alkitab Alaziz Tahqiq Abdulsalam Abdulshafi Muhammad Dar Alkatib Alalamiyyah T Bayrut..
11. Abuhilal Alhusn Bin Mahran Alaskariyy T Nahw H Alfuruq Allaghwiyyah Haqqah Wualq Olayyah Muhammad Ibrahim Salim Dar Alalam Walithqafih Lalanshir Walatuziyya Baddun Tab Alqahirah.

العلاقات الإسنادية في القراءات القرآنية المتواترة

بين القواعدية والأفضلية

د. أسماء الخشاشنة

الملخص

يهدف البحث إلى المقارنة بين التراكيب اللغوية وبيان الأفضلية القواعدية في القراءات المتواترة من خلال دراسة وصفية تحليلية، وبيان مدى ارتباط قواعد العربية المعيارية بالأداءات اللغوية في القراءات. وتأتي أهمية هذا البحث من أن القراءات القرآنية تختلف عن غيرها من الشواهد في الدرس اللغوي، لتدخل العاملين الديني واللغوي فيها، واشتملت الدراسة على مدخل نبين فيه معنى القراءات، والتعريف بالإسناد بأنواعه. ثم مادة البحث، وهي تطبيق مبدأ نظرية الأفضلية القواعدية على الجملة الفعلية بنوعيتها: المبنية للمعلوم، والمبنية للمجهول. وفي الخاتمة اتضح أن القرآن الكريم وسع معظم التراكيب النحوية واستعمالاتها في كلام العرب، إلا أنه فضل بعضها قواعدياً على بعض نظراً لتحقيق مبدأ الأفضلية القواعدية فيها.

Abstract

Predicate relations in Holy Quranic Readings in terms of Structuralism and preference

The aim of this study is to compare between the linguistic structures and to show the optimal structure among the ‘*mutawâtir*’ readings (readings transmitted by so many trustworthy persons as to be beyond doubt) through an analytical descriptive study. Actually, the importance of this study lies in the fact that Holy Quranic readings are different from other peculiar readings in the linguistic subject due to the effect of both religious and linguistic aspects. By and large, this study includes an introduction to readings definition, also it clarifies predicate and its various types. Then, Applying the optimality theory on both the active and passive sentence. In conclusion, the findings of this study show that the Holy Quran encompasses most of the syntactical structures as well as its uses in Arab speaking, yet the Holy Quran prefers some syntactical structures according to the structural preference concept.

المقدمة

كان اهتمام النحاة بالقراءات القرآنية جلياً، فهي مادة لغوية متكاملة أسهمت في التقعيد النحوي واللغوي، وتعد كذلك من أهم مظاهر سعة الكلام بتعدد الأنماط للقراءة الواحدة، ورغم ذلك نجد النحاة قللوا من أهمية الشواهد القرآنية بالنسبة للشواهد الشعرية، وربما يعود السبب إلى شروط القراءات المتواترة المعروفة.

ودرس اللغويون علوم القرآن الكريم، وأهمها القراءات بنوعها المتواترة والشاذة ضمن محاورها الصوتية، والصرفية، والنحوية، ثم الدلالية. واعتمدوا عليها في التقعيد اللغوي، وهذا ما دفع الباحثة إلى دراسة الأنماط اللغوية والنحوية الواردة في القراءات المتواترة، وبيان التفاضل فيما بينها قواعدياً، تحت مسمى الأفضلية القواعدية.

ومما يجدر ذكره أن العلماء الأجلاء القدماء منهم والمحدثين قدّموا جهوداً سخية في دراسة القراءات القرآنية. فمن القدماء -مثلاً- ابن جني في كتابه "المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، وابن خالويه في كتابه "الحجة في القراءات السبع"، وابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر".

ومن المحدثين الدكتور يحيى العبابنة في رسالته الموسومة بـ "منهج أبي الأندلسي في اختياراته من القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة المعاصر" وثمة دراسات أخرى مثل دراسة محمد أحمد الجمل في رسالته الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة.

بيد أنّ الباحثة لم تجد دراسةً تتعلق بتطبيق نظرية الأفضلية القواعدية على القراءات المتواترة، فأملت أن تكون هذه الدراسة نقطةً مضيئةً في هذا المجال.

وكان هدف الدراسة الحالية المقارنة بين التراكيب اللغوية، وبيان الأفضلية القواعدية في القراءات المتواترة من خلال دراسة وصفية تحليلية، ومدى ارتباط قواعد العربية المعيارية بالأداءات اللغوية في القراءات، بمعنى آخر أننا نجد للآية القرآنية غير قراءة، ولكل قراءة من هذه القراءات تفسيرٌ ومعنى، ثم يُرجح نمط من الأنماط قواعدياً يعاضده في ذلك المعنى والتفسير.

وتهدف الباحثة أيضاً إلى التعريف بالقراءات المتواترة، والوصول إلى الأفضلية اللغوية، وتطبيق ذلك على تراكيب موجودة في القراءات المتواترة، والكشف عن صيغ اختيارية (بديلة)، والحكم عليها بترتيب تفضلي. ومقياس التفضيل هنا ضربان هما: الاستعمالية والقواعدية، وهو عمل مرتبط بالجانب التداولي الاستعمالي للغة، بالإضافة للقواعد.

واتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة، إذ قامت بجمع شواهد قرآنية متواترة من مصادرها، ثم عرضت الأنماط التركيبية للقراءة على مجموعة من العناصر القواعدية للباب النحوي، فإذا ما تحققت هذه العناصر، فإن النمط يكون قد حقق المثالية القواعدية، فهي مسألة معيارية تقوم على التفاضل بين الأداءات والأنماط الكلامية التي تمثل حالةً واحدةً. أما إذا فقد التركيبُ بعضَ العناصر فإن درجة الأفضلية تنقص، وتزول إذا اختل عنصر منها.

القراءات القرآنية

تُعدّ القراءات القرآنية مصدراً أصيلاً من مصادر التراث النحوي؛ لكونها في أفصح اللغات وأوثقها، لذا فقد تعدّدت المستويات والأداءات التركيبية فيها مما أدّى إلى تعدد الاختيارات والأنماط اللغوية في النص القرآني، وقد تكون هذه الأنماط متساوية في الفصاحة إلا أنّ بعضها أقرب ما يكون للمثالية القواعدية والاستعمالية أكثر من غيره.

وتعرّف بأنّها: علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل^(١) ويعرفها الزرقاني بأنّها: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها^(٢) من تخفيف وتشديد وتشكيل.

الإسناد وأنواعه

الإسناد من أبرز علامات الاسم التي تميزه عن قسمي الكلام: الفعل والحرف. فالاسم هو ركن الإسناد الذي لا يستقيم كلامٌ دونه، فالكلام العربي أو التراكيب النحوية لا تكون دون وجود اسم، فقد يستغنى التركيب عن الفعل نحو: محمد في الجامعة، أو الحرف نحو: محمد يدرس، أو عن الفعل والحرف معاً نحو: محمد شجاع.

(١) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين (٨٣٣هـ، ١٩٢٤م)، مدار الكتب

العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ٨

(٢) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (٩٠٥هـ، ١٥٠٥م) الإتيقان في علوم

القرآن، ج ١، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٧م، ١/ ٢٤٤

وركنا الإسناد هما: المسند والمسند إليه، ويكون في الجملتين الاسمية والفعلية، وهو ما يسمى في الجملة الاسمية الإسناد الاسمي ويكون المبتدأ أو ما يحل محله في حال النسخ مع النواسخ، هو المسند إليه. وفي الفعلية الإسناد الفعلي، ويكون الخبر أو ما يحل محله في حال النسخ هو المسند، وكذا الفعل هو المسند، والفاعل أو ما ينوب عنه مع الفعل المبني للمجهول هو المسند إليه، وكذلك فاعل المشتقات العاملة عمل الأفعال والمصادر. وقد تستغني الجملة عن أحد ركني الإسناد، ويسمى في هذه الحالة "الحذف"، أي حذف المسند أو المسند إليه، وهو حذف ظاهري ولا تقبل القواعدية أن يكون قريناً، بل لا بدّ من تقدير، وقد تناولت الدراسات البلاغية أغراض هذا الحذف، وتناول الدرس النحوي رصد حالاته بين كونه واجباً أم جائزاً، وكذا الترتيب بين ركني الإسناد فقد يتقدم أحدهما على الآخر وجوباً أو جوازاً. مما أدى بالنحاة إلى الاتساع في التقديرات وفرض الاحتمالات عن الاختصار على أحدهما في الجملة ظهوراً.

والنشاط الذهني لهذه العملية لم يكن ضرباً من الخيال أو تمادياً في التقدير والاحتمال، وله في كتاب الله العزيز شواهد. وقد نصّ على ذلك الأزهري مستدلاً بشاهدين ذكر فيهما الجواب^(١).

(١) انظر: الأزهري، خالد بن عبدالله بن أبي بكر (٩٠٥هـ، ٤٩٩م)، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ج٢، دار الكتب العلمية ط١، بيروت، ٢٠٠٠م / ٤٠٠. وانظر: ابن هشام، جمال الدين عبدالله بن يوسف (٧٦١هـ، ٣٥٩م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج١، تحقيق: مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، ط٦، دمشق، ١٩٨٥م. ٧٧٦/١.

وأتناول في هذا البحث الإسناد الفعلي، وفيه:

- الجملة الفعلية مع بناء الفعل للمعلوم وأتناول فيه الفاعل
- الجملة الفعلية مع بناء الفعل للمجهول وأتناول فيه نائب الفاعل

أولاً: الجملة الفعلية المبنية للمعلوم

الفاعل اسم صريح ظاهر أو مضمر بارز أو مستتر أو ما في تأويله أسند إليه فعل مقدم عليه تام متصرف أو جامد أو ما في تأويله^(١). وله أحكام مشهورة منها: أنه مرفوع؛ لأنه عمدة إذ لا يستغني الكلام عنه، وقد يجر لفظاً بإضافة المصدر نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ [البقرة: ٢٥١] أو بحرف الجر الزائد نحو قوله تعالى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] وقوله تعالى ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩].

ومنها: أنه ما يقع بعد المسند؛ إذ لو تقدم دخل في باب الابتداء، وأنه عمدة لا بد منه ظاهراً أو مستتراً. ولا يجوز حذفه على الصحيح عند جمهور النحاة، بينما يصح حذف فعله جوازاً وأحياناً وجوباً في نحو "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ" [التوبة: ٦] وغير ذلك من أحكام تتعلق بإفراد فعله وتذكيره وتأنيته ورتبته مع المفعول به ونحو ذلك^(٢).

(١) الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح (٣٩٢).

(٢) وهذه الأحكام لها تفاصيل بابها كتب النحو انظر: الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح (٣٩٠-٤٢٠).

ومن جملة هذه الأحكام المتعلقة بالفاعل وفعله والمفعول به يخرج لنا ما نتناوله في هذا المطلب وتدعمه القراءات المتواترة لنتبين من خلاله مدى الأفضلية القواعدية في ترجيح إحدى القراءتين^(١).

فبالنظر في كتاب الكشف وتناول مكي لقراءات هذا المبحث نجد نصّه على أنّ "ذلك هو الاختيار"، و"هو ما عليه الوجه في العربية"، وغير ذلك من الألفاظ. وأتناول في هذا المبحث ما قرئ رفعاً على الفاعلية ونصباً على المفعولية في القراءات المتواترة، وأستطيع أنّ أقسم ما قرئ على هذا النحو إلى نقطتين رئيسيتين:

الأولى: ما اختلفت القراءة فيه مع اتحاد بنية العامل

الثانية: ما اختلفت القراءة فيه لاختلاف بنية العامل

أولاً: اختلاف القراءة مع اتحاد بنية العامل

إنّ الفعل المضارع المبدوء بالتاء إمّا أن يكون دالّاً على الغائبة المؤنثة نحو: هند تقرأ. فالفاعل ضمير مستتر تقديره: هي. ومنه قوله تعالى

(١) وتؤكد الباحثة أنّ القول بالترجيح أو الأفضلية لإحدى القراءتين قواعدياً لا مساس له إطلاقاً بالقراءة الثانية فما اعتقده "كل من عند ربنا" (آل عمران: ٧) أنّ المتواتر قرآن يتعبده ونعوذ بالله من أن نكون من المتجرئين على كلام رب العالمين ولكن ذلك لطبيعة البحث والتناول الأكاديمي فحسب؛ ولأنّ الجميع مقرّون بأنّ كتاب الله فيه الفصيح والأفصح وهو رأس الفصاحة وقمتها.

﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: ٤٠]. واستتار الفاعل فيها جوازاً. وإما أن يكون دالاً على المخاطب المفرد المذكر نحو: أنت تقرأ. فالفاعل ضمير مستتر تقدير: أنت. ومنه قوله تعالى ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ (التوبة: ٤٠) واستتر الفاعل هنا وجوباً. وهذا الافتراض السياقي تؤكد القراءات المتواترة مع كون السياق نفسه يحتمل أن يكون الكلام للمخاطب المذكر المفرد أو التاء تاء التأنيث واللفظ بعدها فاعل وذلك كقوله تعالى ﴿وَلِتَسْتَثَيِّنَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥).

قرأه نافع بالتاء ونصب "السبيل" وقرأ أبو بكر وحزمة والكسائي بالياء، ورفع "السبيل"، وقرأه الباقون بالتاء ورفع "السبيل". والشاهد هنا في قراءة نافع والجمهور أمّا قراءة أبي بكر وحزمة والكسائي فواضحة في إسناد الفعل إلى السبيل مع تذكير السبيل؛ لأنه من الألفاظ التي تُذكر وتؤنث، قال تعالى ﴿يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنَّ يَرَوْا سَبِيلَ﴾ (الاعراف: ١٤٦) ﴿وَقُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ (يوسف: ١٠٨) فأنت^(١) ففي قراءة نافع جعل الفعل خطاباً للنبي

(١) هكذا استدل مكي على التذكير والتأنيث، وخالف ابن هشام في كون الثانية شاهداً على التأنيث وجعل شاهد التأنيث قراءة الجمهور "ولتستبين سبيل" بالرفع: إذ الإشارة قد لا تكون إلى السبيل. والتقدير: هذه دعوتي أو هذه طريقي. انظر شرح قصيد بانة سعاد. انظر ابن هشام، جمال الدين عبدالله بن يوسف، (٧٦١هـ، ١٣٥٩م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٤ ج، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١/١٧٧

صلّى الله عليه وسلّم، وهو الفاعل، و"السبيل" مفعول به وقراءة الأكثرين على جعل التاء للتأنيث ورفع "السبيل" على الفاعلية وهي عند مكي الاختيار؛ لأنها أبين في المعنى، وعليها أكثر القراء^(١).

وترى الباحثة أنّ مبدأ الأفضلية هو الذي يرجح قراءة الأكثرين، بجعل الفعل لازماً وإسناده إلى السبيل دون الحاجة إلى تقدير فاعل مستتر وجوباً، فإبراز الفاعل وظهوره أولى من استتاره وما لا يحتاج إلى تقدير أولى ممّا يحتاج إلى تقدير، وإلا فمن ناحية السياق والمعنى فقراءة نافع أقرب للسياق، فالآية السابقة تخاطب الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام: ٥٤) والآية التالية كذلك ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾ (الأنعام: ٦٦). بل إن سياق الآيات قبل ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ (الأنعام: ٥٠) ﴿وَأَنْذَرِيهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ (الأنعام: ٥١) ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ﴾ (الأنعام: ٥٦) ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عَلَّمْتُ﴾ (الأنعام: ٥٨) ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ (الأنعام: ٥٧) وبين هذه الآيات الكريمات موطن الشاهد وكذلك تفصل الآيات "وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ" (الأنعام: ٥٥) فبجعل آية الشاهد

(١) القيسي، أبي محمد مكي بن أبي طالب، (٤٣٧هـ، ١٠٤٥م)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج ٢، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٩٨٤م ١/٤٣٣-٤٣٤.

معتزلة للسياق نحتاج إلى تقدير متعلق بالفعل من ظرف "عندك" أو جار ومجرور "لك" وعندها ترجح قراءة نافع؛ لعدم الحاجة لتقدير متعلق من ناحية؛ ولأن الفاعل المستتر وجوباً موجوداً حكماً.

ومن الجدير بالذكر أن خفاء العلامة الإعرابية على المعمول ساعد المعربين على إعمال نشاطهم الذهني في التخريج على الفاعلية أو المفعولية وبدا ذلك جلياً في اختلافهم في إعراب الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (الشورى: ٢٦) وأيضاً في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ (الملك: ١٤) رغم وجود أدلة ترجح توجيهها على الآخر، إلا أنهم أقرّوا التوجيهين على الفاعلية في الأولى فالمستجيب هم أهل الإيمان وفي الثانية فالعالم هو الخالق سبحانه وتعالى وعلى المفعولية في آية الشورى فالمستجيب هو الله تعالى وفي آية الملك فالعالم هو المخلوق يعلم خالقه -جلّ وعلا-.

ثانياً: اختلاف بنية العامل

اختلاف بنية الفعل تؤثر على الاسم الواقع بعده وهذا ما أكدته القراءات المتواترة فيما قرئ رفعاً على الفاعلية ونصباً على المفعولية وكان له صور منها:

أولاً: اختلاف بنية الفعل بين الدلالة على الغياب أو الخطاب

الفعل المضارع المبدوء بالياء للدلالة على المفرد المذكر ظاهراً نحو: يقول محمد. أو مستتراً تقديره هو نحو: محمدٌ يقول. والمبدوء بالتاء للمخاطب

المفرد المذكر كما سبق، فجاء في المتواتر تنوع الفعل بين الخطاب والغياب فاختلقت معه قراءة الاسم الواقع بين الرفع على الفاعلية والنصب على المفعولية ولذلك شواهد عدة في القرآن الكريم.

قوله تعالى في سورة المائدة ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (المائدة: ١١٢)

قراءة الكسائي بالتاء ونصب "ربك"، وقرأ الباكون بالياء ورفع "ربك"^(١). وحجة من قرأ بالتاء أنه أجراه على مخاطبة الحواريين لعيسى -عليه السلام- ، وفيه معنى التعظيم للرب جلّ ذكره..، على أن يستفهم عيسى عن استطاعته؛ إذ هو الله تعالى مستطيع لذلك، فإنما معناه: هل تفعل ذلك (على معنى: افعل ذلك) والتقدير^(٢). هل تستطيع سؤال ربك في إنزال مائدة علينا.....ولا بد من إضمار السؤال، إذ لا يجوز أن يقال: هل تستطيع أن يفعل غيرك كذا، فـ"أن" مفعول بالمصدر المحذوف..... على معنى افعل ذلك^(٣)

وحجة من قرأ بالياء أنه على معنى: هل يفعل ربك ذلك؛ لأنهم لم يشكوا في استطاعة الباري على ذلك، لأنهم كانوا مؤمنين....ولذلك قالوا "وتطمئن قلوبنا" ويرى القيسي أن الاختيار ما عليه الجماعة من الياء، ورفع "ربك" على المعنى^(٤).

(١) القيسي، الكشف (٤٢٢/١)

(٢) التصويب من الباحثة، فهي بالكتاب: وقد، وهو خطأ بين

(٣) القيسي: الكشف ٤٢٢/١

(٤) السابق ٤٢٢/١، ٤٢٣

فالمتمأل يجد قراءة النصب على معنى: سل ربك إنزال مائدة. وقراءة الرفع على معنى هل يجيبنا ربنا بإنزال مائدة. وإذا احتكنا إلى مبدأ الأفضلية القواعدية نجد أنَّ قراءة الرفع حققت مبدأ الأفضلية القواعدية لخلوها من التقدير الواجب للسؤال المتعلق به الاسم المنسوب "ربك" ما يسمّى بوجوب تقدير حذف المضاف وإحلال المضاف إليه محله لاستقامة الكلام، بالإضافة إلى استتار المسند إليه وجوباً، وأيضاً خطاب عيسى عليه السلام لهم ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (المائدة: ١١٢). فلا حاجة لمطالبتهم بالتقوى حال طلبهم منه السؤال.

ومن شواهد قوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (آية ٤٥) قرأه ابن عامر بتاء مضمومة، وكسر الميم "تسمع" ونصب "الصم" على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، لتقدم لفظ الخطاب له في قوله تعالى "إنما أنذركم بالوحي" فلمّا أضيف^(١) الفعل إلى النبي في "أنذركم" أضيف إليه في تسمع و"نصب" الفعل بتعدي الفعل إليهم، فجرى الكلام الآخر على سنن أوله بإضافة الفعل إلى النبي فيهما وجعل الفعل رباعياً من "أسمع" فتعدّى إلى مفعولين "الصم" و"الدعاء"

وقرأ الباقر "ولا يسمع" بياء مفتوحة، وفتح الميم، ورفع الصم، أضافوا الفعل إلى "الصم" فارتفعوا بفعلهم؛ لأنه نفي السمع عنهم، كما تقول: لا يقوم زيد، فترفعه لنفيك القيام عنه، وتعدّيه إلى مفعول، لأنه ثلاثي، والمفعول

(١) واضح أنَّ قصد مكّي بالإضافة هو الإسناد، وإلا فالفعل لا يضاف بالإضافة من خواص الأسماء فلا تكون إلا بين اسمين

"الدعاء"، ورفع هذا النوع، إنما هو على سبيل الإخبار عنهم، كما تخبر عن الفاعل، وفيه اختلاف؛ لأنهم لم يفعلوا شيئاً، فليسوا بفاعلين على الحقيقة، وفي هذه القراءة، معنى الذم والتفريع لهم لتركهم استماع ما يجب لهم استماعه والقبول له، والياء الاختيار؛ لأن الجماعة على ذلك^(١)

وهكذا نجد أنّ تغيير بنية الفعل بين الغياب والخطاب تغير عليه إسناده إلى ظاهر أو مستتر وبتحقيق مبدأ الأفضلية نجد قراءة الجمهور ترجح على قراءة ابن عامر^(٢) قواعدياً وسياًقاً أيضاً. وبيان ذلك أنّ ظهور المسند إليه دون استتاره وعدم الحاجة إلى تقديره، وسياًقاً لأنه من الراجح أنّ العبارة تذييل من إخبار المولى عز وجل عن إعراض المعرضين؛ لأنّهم صمّ كما ذكر في أكثر من موضع "صمّ بكمّ عمي"، فلا ينتفعون بإنذار النبيّ صلى الله عليه وسلم

(١) القيسي، الكشف ١١٠/٢، وابن الجزري شمس الدين أبو الخير (٨٣٣هـ، ١٩٢٤م)، النشر في القراءات العشر، ج ٢، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى. ٣١٠/٢. وابن خالويه الحسين بن أحمد أبو عبدالله، (٣٧٠هـ، ٩٨٠م)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، ط ٤، بيروت، ١٩٨٠. ٢٤، وانظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، (٥٩٧هـ، ١٢٠٠م)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٣ م ٣٤٥/٥. الأحمد بن عبيد الله بن إدريس، (٢٠٤هـ، ٨٢٠م)، المختار في معاني قراءات أهل الأمصار، ج ٢، قدّم له الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن معاضة الشهري، الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٧ م. ٧٠.

(٢) من العبارات المشهورة عند النحاة والمفسرين: "ولا تكون قراءة الأكثرين مرجوحة".

﴿تَمَّا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الرعد: ١٩) وليس الخطاب استكمالاً لخطاب النبي الكريم ولا طلباً منه لإخبارهم أنه ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ فيحسن الوقف على ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ﴾ (الأنبياء: ٤٥) والابتداء "وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ" لبيان سياق الآيات وليس إجراء الكلام الأخير على سنن الأول وتوحيد الخطاب للنبي صلوات الله وسلامه عليه

ثانياً: اختلاف بنية الفعل بين التعدّي واللزوم

الفعل اللازم هو ما اكتفى بمرفوعه ولم يحتج إلى مفعول نحو "مات الظالم"، "هلك المفسدون". قال تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ﴾ (الإسراء: ٨١) والمتعدّي هو ما لم يكتف بفاعله وتطلب مفعولاً واحداً نحو: "أكل محمد الطعام" أو أكثر نحو: "أعطى محمد أخاه هدية"، "أنبأ محمد أخاه الخبر صادقاً".

وهناك وسائل لتعدية اللازم أو زيادة التعدّي من واحد لأكثر فـ "مات" لازم و"أمات" متعدّد، و"فهم" متعدّد لواحد، و"فهم" متعدّد لاثنتين، ومنها زيادة الهمزة فـ "سمع" غير "أسمع" وهكذا.

وبالنظر في القراءات المتواترة نجد شواهد لهذا التغيير الذي يطرأ على بنية الفعل فيحوله من حال إلى حال وسنعرض من ذلك شواهد منها:

ومنه قوله تعالى ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً﴾ (الأنفال: ١١) قرأه نافع بضم الياء والتخفيف (يُغَشِّيكُم)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء

والتخفيف، وبألف بعد الشين (يُغشَاكُمْ) وقرأه الباقون بضم الياء، وفتح الغين، والتشديد من غير ألف (يُغَشِّكُمْ)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع "النعاس" وقرأ بالنصب الباقون.

وحجة من قرأ بألف ورفع "النعاس" أنه أضاف الفعل إلى "النعاس" فرفعه به، ودليله قوله تعالى ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى﴾ (آل عمران: ١٥٤) في قراءة من قرأه بالياء أو التاء، فأضاف الفعل إلى "النعاس" أو إلى "الأمنة"، والأمنة هي النعاس. فأخبر أن النعاس هو الذي يغشى القوم.

وحجة من ضم الياء وشدد أو خفف أنه أضاف الفعل إلى الله؛ لتقدم ذكره في قوله تعالى ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٢٦) فصب "النعاس" لتعدي الفعل إليه، وقوى ذلك أن بعده "وينزل عليكم" فأضاف الفعل إلى الله جلّ ذكره، وكذلك الإغشاء يضاف إلى الله، ليتشاكل الكلام، والتشديد والتخفيف لغتان بمعنى، قال الله جلّ ذكره ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ (يس: ٩) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ (النجم: ٥٤)، وقال ﴿كَأَنَّمَا أَعُوشَتِ أَوْجُوهُهُمْ﴾ (يونس: ٢٧). والاختيار هو ضم الياء والتشديد، ونصب النعاس، لأن الأكثر عليه.^(١)

وهكذا نجد أن تغير بنية الفعل بين التجرد (غشى) والزيادة (أغشى) - غشّى) أو التعدي لواحد "﴿فَغَشَّاهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيَهُمْ﴾ (طه: ٧٨) أو التعدي لاثنتين "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ" (الأعراف: ٥٤) ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ (النجم: ٥٤) ترتب عليه تغيير المسند إليه، وتدخلت القرائن السياقية للترجيح بين القراءات

(١) القيسي: الكشف ١/ ٤٨٩

والإسناد إلى ضمير الله -جلّ وعلا- أو إلى النعاس فتشاكل الكلام وتماثل المعطوفات يصرف الإسناد إلى الله عز وجل.

وبالنظر إلى الأفضلية القواعدية نجد أنّ رفع النعاس على الفاعلية من ناحية الرتبة تقدّم المفعول به على الفاعل وجوباً؛ لأنّه ضمير متصل والفاعل اسم ظاهر، وقراءة نصب النعاس التزمت أصل الترتيب من الفعل، فالفاعل المستتر، فالمفعول الأول، فالمفعول الثاني. والتقدير: إذ أغشى أو غشى الله المؤمنين النعاس. ومن ناحية إظهار المسند إليه أو إضماره فهو ظاهر في قراءة الرفع ومضمر في قراءة النصب. وبتطبيق نظرية الأفضلية نجد أنّ قراءة الرفع أقرب للمثالية النحوية.

وقوله تعالى حكاية عن فرعون في شأن موسى -عليه السلام- ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦). قرأ نافع وأبو عمرو وحفص بضم الياء، وكسر الهاء، ونصب "الفساد"، نسبوا الفعل إلى موسى -عليه السلام- فهو فاعل الإظهار، وانتصب "الفساد" بـ "يظهر" والفاعل ضمير في "يظهر"، وهو موسى، على معنى: أنّ فرعون قال أخاف أن يظهر موسى الفساد في الأرض، ولما كان التبديل مضافاً إلى موسى "أنّ يبديل" وجب أن يكون الإظهار "أن يظهر" أيضاً مضافاً إليه، لينفق الفعلان، في المعنى - فيكونان إلى موسى وهو الاختيار، لصحة معناه وللمطابقة بين الفعلين. وقرأ الباقر بفتح الياء والهاء، ورفع "الفساد"، أضافوا الفعل إلى "الفساد" فرفعوه به لأنّه فاعل بظهوره، ولأنّ التبديل إذا وقع في الدين ظهر الفساد في الأرض، فحمل الكلام الثاني على معنى الأول.^(١)

(١) القيسي، الكشف ٢/٢٤٣، والأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، (٧٤٥هـ، ١٣٤٤م)،

البحر المحيط في التفسير، ج ٨، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر،

١٩٩٩م، ٩/٢٥١.

وترى الباحثة أنّ هناك فرقاً بين الفعلين فنسبة التبديل إلى موسى غير نسبة الفساد إليه، فالمعنى -والله أعلم- إنني أخاف أن يبدّل دينكم إذا اتبعتموه ومع هذا التبديل في الدين يكون خوفي من ظهور الفساد في الأرض باتباع هذا الدين الجديد الذي يدعوكم إليه. فالفساد يظهر من تغيير الدين وليس من موسى -عليه السلام- لكي ينسب إظهاره إليه، فنسبة الإظهار إلى موسى على قراءة النصب على سبيل المجاز العقلي، فالإسراف والإفساد والعلو والتجبر مما نسب إلى فرعون في كتاب الله، أمّا تُهم فرعون لموسى فتدور رحاها بين التكذيب والسحر. وعلى طريقة مكّي القيسي في الترجيح ترجح قراءة الرفع بأنّها قراءة الأكثرين^(١) وكما هو معلوم: أنّ قراءة الأكثرين تكون مرجوحة.

وبمبدأ الأفضليّة القواعديّة نجد أنّ ترجيح النصب بتمائل المعطوفات " يبدّل - يظهر " واتحاد الكلام ووصله دون استئنافه بنسبة الفعلين إلى موسى -عليه السلام- فيتحد الفاعل في الجملتين، فإنّ قراءة الرفع خالية من التقدير، والفاعل فيها اسم ظاهر، وإسناد الفعل إلى الفاعل بمعنى نسبة الظهور إلى الفساد موجودة في متشابه النظم قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (الروم ٤١)

(١) ومما يشار إليه أنّ القيسي عندما عرض آية سورة الطور "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم" (آية ٢١) ووازن بين قراءة الجمهور "واتبعتهم" وقراءة أبي عمرو "وأتبعناهم" قال: ولولا الجماعة لكانت القراءة الأولى "وأتبعناهم" أحبّ إلي لصحة معناها. القيسي، الكشف ٢/٢٩٠.

المطلب الثاني:

الجملة الفعلية التي يكون المسند فيها فعلاً مبنياً للمجهول أو لما لم يُسمَّ فاعله على الأدق في الاصطلاح، فأتناول فيه نائب الفاعل.

ينوب عن الفاعل عند بناء الفعل للمجهول أحد أربعة أشياء هي: المفعول به، والجار والمجرور، والمصدر المتصرف المختص، الظرف المتصرف المختص، سواء كان زمانياً أو مكانياً. ولا ينوب غير المفعول به مع وجوده عند جمهور البصريين وأجاز الكوفيون نيابة غيره مطلقاً^(١).

ولا يدخل في باب النيابة إلا عند بناء الفعل للمجهول أو لما لم يُسمَّ فاعله سواء كان ماضياً أم مضارعاً ولا يبنى الأمر للمجهول.^(٢) ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ (الأنعام: ٨) نجد لفظة "ملك" جاءت مرفوعة على النيابة عن الفاعل؛ لأننا أسندنا إليها فعلاً مبنياً للمجهول، "أنزل" وجاءت منصوبة على المفعولية لإسناد الفعل لضمير المتكلم - جلّ وعلا؛ لأنه مبني للمعلوم.

وبالنظر إلى القراءات المتواترة نجد الحرف الواحد قرئ رفعاً على النيابة ونصباً على المفعولية بناءً على تغيير بنية الفعل بين المعلوم

(١) للنائب عن الفاعل أحكام ومسائل مطروحة في كتب النحو. انظر على سبيل المثال الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح (٤٢١-٤٣٥).

(٢) انظر: صور تغيير صورة الفاعل وما يتعلق بها في السابق (٤٣٦-٤٤٠).

والمجهول، ولذلك شواهد كثيرة في المتواتر، نختار منها بضعة شواهد لبيان مدى تحقق الأفضلية القواعدية في الترجيح بين القراءات (١).

قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ (التوبة: ١٠٩) قرأهما نافع وابن عامر بضم الهمزة وكسر السين الأولى ورفع "البنيان" على ما لم يسم فاعله "أُسَّسَ بنيانه" فأضاف الفعل إلى "البنيان" فارتفع به. وقد أجمعوا على الضم في قوله تعالى ﴿لَمَسَّجِدٌ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ﴾ (التوبة: ١٠٨)، فأضاف الفعل إلى المسجد، ففي "أُسَّسَ" ضمير والمسجد هو البنيان بعينه، فلذلك حَسُنَ رفع البنيان. وقرأ الباقون بفتح الهمزة والسين ونصب "البنيان"، أضافوا الفعل إلى "مَنْ" في قوله تعالى "أَفَمَنْ"، و"خيرٌ أَمْ مَنْ" ففي الفعلين ضمير "مَنْ" وهو صاحب البنيان. ويقوي ذلك أنه قد أضيف البنيان إلى ضمير، هو الهاء في "بنيانه" وهو صاحب "البنيان"، فكما أضيف "البنيان" إلى "مَنْ" كذلك يجب أن يضاف الفعل إليه (٢).

(١) وذلك لأن من الشواهد ما لا يحتمل التحليل القواعدي لبيان الأفضلية فتكون القراءتان بمعنى أو ما فيهما هو تغيير البنية كقوله تعالى "إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً" (التوبة: ٦٦) قرأ إن يُعَفَّ عن طائفة منكم تُعَذِّبْ طَائِفَةً "فتغيير الصيغة لم يؤثر في معرفة الفاعل على الحقيقة فهو بمثابة "خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ" (الأنبياء: ٣٧).

(٢) القيسي، الكشف ٥٠٧/١، ابن الجزي، النشر ٢٧١/٢، ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع ١٥٤. والقيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، (٤٣٧هـ، ١٠٤٥م)، تفسير مشكل إعراب القرآن، ٢ج، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م. ٩٩

فتغيير بنية الفعل في الآية الكريمة تغير معه ضبط البنين رفعاً ونصباً وتغير معه الإسناد، إلا أن البحث يرى -والله أعلم- أن قراءة الأكثرين هي الأرجح سياقياً وقواعدياً، الآيات ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٨﴾ أَقَمْنَا أُسُسَ بُيُوتِهِ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِّنْ أُسُسِ بُيُوتِهِ وَعَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ يَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٠).

فالمتمأمل لسياق الآيات يجد أنها بدأت في الحديث عن فئة من المنافقين أسسوا مسجداً ضراراً لمحاربة الله ورسوله ثم توجيه الخطاب للنبي صلوات الله وسلامه عليه بعدم الصلاة في هذا المسجد الضرار، وملازمة المسجد الذي أسسه هو وأصحابه الكرام على تقوى الله عز وجل، ثم تلا ذلك بيان الفرق بين المسجدين بحال المؤسسين وأن هؤلاء المنافقين لن ينفعهم ما قاموا به. فالكلام في الآية الكريمة عن المؤسس لا المؤسس بدلالة التذييل في الآية الكريمة "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" فليس هناك قرينة للربط بين بنية الفعل في آية الشاهد والآية السابقة لها إذ آية الشاهد عن منشئ البنين والسابقة لها عن البنين ذاته فناسب ذلك تغيير بنية الفعل في الآيتين. فمن ثم فلا استحسان للاحتجاج باستحسان الرفع بإجماعهم على البناء للمجهول في قوله تعالى "أَبَدًا"

لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ" إذ لا مجال لتغيير الصيغة في هذا الموضع بخلاف موضع الشاهد لوجود الضمير العائد على "مَنْ" في "بنيانه" وإلا لوجب في هذه الآية أيضاً البناء للمعلوم إن لم يكن هناك ضمير يضاف إليه البنيان فلا يُقال: أَمِنَ أُسْسَ البنيان على تقوى. بل الأولى في حمل الضمير أن يحمل على المسند إليه (الفاعل) لا على "مَنْ" لأنه أقرب مذكور: فلمّا بني الفعل للمجهول في قراءة نافع وابن عامر تعين عود الضمير على الموصول "مَنْ".

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الحديد: ٨). قرأه أبو عمرو بضم الهمزة، وكسر الخاء "أَخَذَ"، ورفع الميثاق على ما لم "يسم" فاعله، وارتفع "الميثاق" بقيامه مقام الفاعل لـ "أَخَذَ" والفاعل هو الله جلّ ذكره، وهو الذي أخذ الميثاق على خلقه^(١).

والكلام مفهوم لتقدّم ذكر الله، لكن الفاعل حذف لدلالة الكلام عليه، وقام الميثاق مقامه، ورد الفعل إلى بناء ما لم يُسمّ فاعله. وقرأ الباقر بفتح الهمزة والخاء، "أَخَذَ" ونصب "الميثاق" وهو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه، أضافوا الفعل إلى فاعله، وهو الله جلّ ذكره. لتقدم ذكره في قوله "وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ"

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (الاعراف: ١٧٢) وهي مشهورة بآية الميثاق.

بِاللَّهِ"، فانتصب الميثاق بوقوع الفعل عليه، وهو "أَخَذَ" والتقدير: وقد أخذ الله ميثاقكم^(١) ثم أضمر الاسم لتقدم ذكره.

وعلى هذا فالقراءتان بمعنى، فالفاعل في الحقيقة هو الله -جلّ وعلا- سواء كان محذوفاً للدلالة عليه وسبق ذكره على قراءة الرفع، أو ضميراً مستتراً لتقدم ذكره على قراءة النصب.

ومن ناحية الأفضلية القواعدية تفضل قراءة النصب بالاستتار الذي هو في حكم المذكور، بخلاف قراءة الرفع التي بها حذف للفاعل وقيام المفعول به مقامه والتي توهم باحتمالية تقدير فاعل آخر وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، بقرينة الحال. والله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (فصلت: ١٩) قرأ نافع بالنون ونصب "الأعداء" على الإخبار من الله جلّ ذكره عن نفسه، رده على قوله ﴿وَنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَأُولَٰئِكَ﴾ (فصلت: ١٨) فعطف مخبراً عن نفسه على مخبر عن نفسه، وهو هو، فذلك أحسن في

(١) هذا ما عليه عامة المفسرين من عود الضمير على الله عز وجلّ، وجعل جملة والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم" اعتراضية أو حالية وإن كانت الباحثة لا تستبعد احتمال عود الضمير على رسولنا الكريم، ويكون المراد بالميثاق البيعة المشار إليها في سورة الفتح ﴿إِنَّ الْذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (الفتح ١٠) وخاصة أن سياق الآيات في الحث على الاتفاق بمقتضى الإيمان وذكر الفرق بين من أنفق وقاتل قبل الفتح وبعده - والله أعلم.

مطابقة الكلام، وبناء آخره على أوله ونصب "الأعداء" بوقوع الفعل عليهم، وهو "الحشر" ^(١).

وقرأ الباقيون بياء مضمومة، على لفظ الغيبة، على ما لم يُسمَّ فاعله ورفع "الأعداء" لقيامهم مقام الفاعل، فحمل الكلام على المعنى، لأنَّ غيرهم من الملائكة يحشرهم كما قال: "احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا" (الصافات: ٢٢)، ويقوي ذلك أنَّ بعده فعلاً لم يُسمَّ فاعله أيضاً، وهو قوله "فهم يوزعون" ^(٢) فجرى الفعلان على سنن واحدة، فذلك أليق. وهو الاختيار؛ لأنَّ عليه الجماعة ^(٣).
وبالنظر إلى الأفضلية القواعدية، نجد أنَّ قراءة الجمهور بالبناء للمجهول أقوى بمتشابهه النظم إذ الحشر تارة ينسب إلى الله عز وجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجر: ٢٥) ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٧) وتارة ينسب للملائكة ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (الصافات: ٢٢) ومن ثمَّ عند الحكاية يستخدم البناء للمجهول، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

(١) وفي ذلك نظر؛ لأنَّ قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ متعلق بما قبله في شأن قصة ثمود ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذْنَاهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (فصلت ١٧) ثم استأنف الكلام بذكر مآل الظالمين في الآخرة "ويَوْمَ يُحْشَرُونَ".

(٢) وأيضاً فإنَّ تنوع المعطوفات بين الغيبة والتكلم والمعلوم والمجهول مستساغ في كتاب الله ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه: ١٠٢).

(٣) القيسي، الكشف ٢/٢٤٨.

وقوله تعالى ﴿وُنَزِّلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٥) قرأ ابن كثير بنونين والرفع ومخففاً "نُزِّلُ ونُصِبُ" الملائكة جعله من "أنزل" وأجراه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، فنصب الملائكة بوقوع الإنزال عليهم. وقرأ الباقون بنون واحدة والتشديد ورفع "الملائكة" على ما لم يُسمَّ جعلوه فعلاً لم يُسمَّ فاعلوه من "نَزَلَ" فرفعوا "الملائكة" به، إذ قامت مقام الفاعل، ودليله قوله "تنزيلاً" فهو مصدر "نَزَلَ".^(١)

في الآية الكريمة تغيرت صيغة الفعل من المضارع المعلوم إلى الماضي المجهول، ومن المتعدي بالهمزة إلى المتعدي بالتضعيف، والتعبير بالفعليين "أنزل" و"نَزَلَ" شائع في كتاب الله، وكما يقال: الفعلان بمعنى، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران: ٣) ثم قال: ﴿مِّن قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (آل عمران: ٤) وقال ﴿كَتَبَ أَنزَلَهُ﴾ (إبراهيم: ١)، إلا أن القرائن الحالية والمقالية ترجح قراءة الجمهور^(٢). فقريئة

(١) القيسي، الكشف ١٤٥/٢. وانظر: الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (٣١١هـ - ٩٢٣م)، ومعاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٩٨٨م. ٢٧٠/٢. و: ابن خالويه، الحجة ٢٤١، والأندلسي، البحر المحيط ١٠٥/٨، وابن الجزري، النشر ٣٢٠/٢.

(٢) مع الإقرار بأن قراءة ابن كثير فيها تماثل المعطوفات فيعطف مضارع على مضارع ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَنُزِّلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٥).

الحال بقوله تعالى في متشابه النظم ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ﴾
 (النحل: ٢) وقرينة المقال فيما ذكره مكي من المصدر المؤكد للفعل "تنزيلاً"
 مصدر "نَزَلَ" وليس "إنزالاً" مصدر "أنزل". وإن كان للنحاة مخارج وتأويلات
 لما اختلفت فيه صيغة المصدر عن فعله من حمله على اسم المصدر تارة أو
 جعله مصدراً سماعياً آخر نحو: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح ١٧)
 إلا أن الحمل على الأصل أولى.

وفي الختام خلُصت الدراسة إلى ما يلي:

١. العربية لغة معربة حيّة لا تتسم بالثبات فهي متطورة، لذا ثمة صراع بين الأنماط اللغويّة على البقاء مما أدى إلى هيمنة نمط على آخر تراجع إلى درجة أقل في الاستعمال، ليصار إلى تصنيفه في قائمة المتبقي أو الضرورة في اللغة.
٢. تمتلك اللغة مقياسين للتفاضل هما: القواعدية والاستعمالية، وتمتاز بوفرة أنماطها ومنها الأنماط النحوية الواردة في الأنماط القرآنية في القراءات المتواترة والشاذة أيضاً فهي متعلقة بالقيود.
٣. إنّ تعدد الأنماط اللغويّة والنحويّة في القراءات القرآنية تدل على أنّ هذه الأنماط اللغويّة كانت مستعملة بلغة من لغات وأنّ تفضيل قراءة على أخرى يعني أنّها حققت شروط الأفضلية القواعدية والاستعمالية، وفقدان أهم العناصر لا يعني أنّ النمط غير سليم أو صحيح، بل هو أقلّ أفضلية.
٤. أنّ الاختلاف في القراءات إنّما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضادّ وتناقض، وقد وسع القرآن الكريم معظم التراكيب النحويّة واستعمالاتها في كلام العرب، إلا أنّه فضّل بعضها قواعدياً على بعض نظراً لتحقيق مبدأ الأفضلية القواعدية فيها.

المصادر والمراجع

١. ابن الجزري شمس الدين أبو الخير (٨٣٣هـ، ١٩٢٤م)، النشر في القراءات العشر، ج٢، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
٢. ابن الجزري شمس الدين أبو الخير (٨٣٣هـ، ١٩٢٤م)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ج١، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
٣. ابن خالويه الحسين بن أحمد أبو عبدالله (٣٧٠ هـ، ٩٨٠م)، الحجة في القراءات السبع، ج١، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، ط٤، بيروت، ١٩٨٠م.
٤. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري (٧٧٤هـ، ١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، ج٣، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م.
٥. ابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي (٧١١، ١٣١١م)، لسان العرب، ج١٥، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.
٦. ابن هشام، جمال الدين عبدالله بن يوسف (٧٦١هـ، ١٣٥٩م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج٤، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٧. ابن هشام، جمال الدين عبدالله بن يوسف (٧٦١هـ، ١٣٥٩م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج١، تحقيق: مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، ط٦، دمشق، ١٩٨٥م.

٨. الأحمد بن عبيدالله بن إدريس (٢٠٤هـ، ٨٢٠م)، المختار في معاني قراءات أهل الأمصار، ج٢، قدّم له الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن معاضة الشهري، الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٧م.
٩. الأزهري، خالد بن عبدالله بن أبي بكر (٩٠٥هـ، ٤٩٩م)، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ج٢، دار الكتب العلمية ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٠. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (٧٤٥هـ، ١٣٤٤م)، البحر المحيط في التفسير، ج٨، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٩م.
١١. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ، ١٢٠٠م)، زاد المسير في علم التفسير، ج٩، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.
١٢. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (٣١١هـ — ٩٢٣م) معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م.
١٣. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (٩٠٥هـ، ١٥٠٥م) الاتقان في علوم القرآن، ج٤، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٧م.
١٤. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، (٤٣٧هـ، ١٠٤٥م) تفسير مشكل إعراب القرآن، ج٢، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت، ١٩٨٤م.
١٥. القيسي، أبي محمد مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ، ١٠٤٥م)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج٢، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ط٣، ١٩٨٤م.

9. ALazhari,Khaled Bin Abdullah bin Abi Baker. (1499 AD,905AH). Sharah al Tasreeh ala Altawdeeh aw Altasreeh bemadmoon Altawdeeh fe Alnaho.2 volumes.1st Edition.Dar AlKuton ALelmaih. Beirut.2000 AD
10. Al Andalusi, Abū Ḥayyān Mohammed bin Yousef. (1344 AD,745AH). Al-Bahr al-Muheet fee Al-Tafseer.8 volumes,ed.Sudqi Mohammed Jameel. Dar Alfiker: Beirut 1999 AD
11. Ibn Al-Jawzi ,Jamal Aldeen. (1200 AD,597AH) Zad al-Masir fi Alam al-Tafsir. 9 volumes, ed.Abdalrazizq Mahdi..1st Edition.Dar ALKitab Al-Arabi: Beirut 1993 AD
12. AL-Zajaj,Ibrahim bin Alsari bin Sahel. (923 AD,311AH). Maani Al-Qurʿān wa rāboh.1st Edition. Alam ALKutob: Beirut. 1988 AD
13. Alsouti,Abdulrahman Jalal ALdeen bin Abi Baker. (1505 AD,905AH). Alitqan fee Uloom AlQuran.4 volumes. Alasrieh Library.Beirut.1987 AD
14. Al-Qaysī ,Makkī Abo Mohammed Makki bn Taleb. (1045 AD,437AH). Tafseer Mushkel Arab ALQuraan.2nd Edition.2 volumes, ed.Hatem Saleh Aldamen. Muassaset Alrsesaleh:Beirut 1984 AD
15. Al-Qaysī ,Makkī Abo Mohammed Makki bn Taleb. (1045 AD,437AH). Al-kashf an wujū Al-qirāāt ala-sab wa-ilalihā wa-ḥujajihā.3rd Edition.2 volumes,ed.:Muhie Aldeen Ramadan. Muassaset Alrsesaleh:Beirut 1984 AD

Sources and References

1. Ibn ALJarzi,shams Aldeen Abu ALkhair.(1924 AD-833 AH). Alnasher fe Alqirrat Alasher. 2Volumes,ed.Ali Mohammed ALdabaa.Almutbaah Altejareih ALKubra.
2. Ibn ALJarzi,shams Aldeen. (1924 AD-833 AH).Munjed Almuqreen wa Mrshed Altalebeen. 1st Edition. Dar Alkitob Alelmeiah.Beirut,1999 AD.
3. Ibn Khalwiya, Alhussein bin Ahmed Abo Abdullah.(980AD, 370 AH).Al-Hijja fe Alqiraat Alssab.4th Edition.Dar Alshorouq, Beirut,1980 AD.
4. Ibin Katheer, Abo Alfedaa Isamil bin Omar Albasri. (1372 AD, 774 AH). Tafsser Alquran aladeem.3 volumes,ed.Sami b.Mohammed Salameh.2nd Edition. Dar Taiabeh for Publication 1999 AD.
5. Ibin ManẓourAlansari,Mohammed bin Mukrm b.Ali.(711AH-1311AD).Lesan Alarab.15 Volumes.Dar Sader:Beirut 1993 AD.
6. Ibn Hisham, Jamal Aldeen Abdullah bin Yousef. (1359 AD,761AH) Awḍaḥ Al-masālik ilá Alfiyat Ibn Mālik. 4 volumes.,ed.Yousef ALSheik Mohammed Albaqai. Dar Alfiker printing and Publication.
7. Ibn Hisham, Jamal Aldeen Abdullah bin Yousef. (1359 AD,761AH). Maghni al-Labeeb an Kutob Alaareeb.1 volume.ed. Mazen Almubarak/Mohammed Ali Hamdallah.6th Edition.Dar Alfiker, Damascus 1985AD.
8. AlAhmed,Bin Obeidallah bin Idris(820 AD,204AH). ALmukhtar fee Maani Qraat Ahel Alamsar, .ed.Alshaikh Dr. Abdoalrhman bin Maadaeh Alshahri. ALrashid Libray:ALRiyadh.2007 AD.

الترابط النصي بالضمائر "في حضرة الغياب"

د. عالية محمود يعقوب صالح (*)

ملخص

يعتمد الترابط النصي في "في حضرة الغياب" الضمائر مقومات أساسية؛ لتحقيق الاتساق، والانسجام في البنية التشكيلية، والدلالية؛ لاقتران دورها بتحديد المرجع، والتعبير عن الذاتية، وتوزيع المعلومات الدلالية ونوعها، وفق مبادئ محددة، ومقدمة داخل الجملة في ترتيبها، وطريقة تلفظها.

والضمائر أسماء غير صريحة، تحتاج في توضيح دلالتها إلى مرجع.

قام خطاب "في حضرة الغياب" في جلّه على الضمائر المتعددة: حضوراً، وغياباً، وخفاءً، وظهوراً، وعدداً، محققاً بذلك أسطرة للخطاب، وعبوراً وتعبيراً عن حالة إنسانية فردية، وقومية، وكونية. أما عن المنهج المتبع في مقارنة النص فقد اتبعت هذه المقاربة المنهج الوصفي التطبيقي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الضمائر، الغياب، الحضور، الأسطورة، الخطاب.

(*) جامعة عمان الأهلية.

*Grammatical Cohesion and Pronouns in Mahmoud
Darwish's "In the Presence of Absence"*

Abstract

Textual cohesion is rooted in the use of pronouns to achieve structural and semiotic uniformity and consistency since pronouns are traditionally associated with the establishment of referents and designation of signifieds. Darwish's *In the Presence of Absence* destabilises pronoun referents to create unusual horizons of meaning on the individual, nationalistic and human levels. The study adopts a descriptive analytical approach in the examination of the texts.

Keywords: Pronouns. Absence Presence Discourse Mythology.

تقديم

يتشكل النص "في حضرة الغياب"^(١) من عشرين فصلاً، غير معنون، ومرقم بالأرقام اللاتينية، ويقوم على استحضار أزمنة متعددة سابقة على زمن الكتابة: الطفولة، والهجرة، والعودة، والسجن في فلسطين، والرحيل، واتفاقيات السلام...، ولاحقة: استباقية تستحضر الموت والجنائز والتأبين.

يستوطن درويش غلاف النص وتتولى الضمائر خطاب النص، يحضر الموت المتوقع موضوعاً لخطاب الفصل الأول، يقدمه مخاطب يتوجه بخطابه إلى أنت، ويفصح المخاطب عن ذاته بظهوره في الضمير أنا، وتتخرط أنا في نحن للتعبير عن التوحد في الجماعة. ويحكم الموت نظرة الذات المبدعة المكتوية بحرقه الكتابة ومرارة المنفى والتشريد.

واجه درويش الموت في "الجدارية" وتجاوز معه، وطلب منه أن يمهلته حتى يعد نفسه، ويكمل ما ابتدأه من أعمال.

أما في نصه "في حضرة الغياب" فإن درويش يستسلم لحقيقة الموت الجسدي/ المادي، وبعد العدة للرحيل، لأنه توصل في "الجدارية" إلى أن الموت صيرورة: "سأصير يوماً ما أريد، طائراً وأسلّ من عدمي وجودي"، وفي موقع آخر ستكون صيرورته في زهر يشربه على مهل، فالمادة لا تفنى

(١) درويش، محمود، في حضرة الغياب، دار رياض الريس للكتاب والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م. محمود درويش شاعر المقاومة الفلسطينية (١٩٤٢-٢٠٠٨).

ولا تستحدث ولكن تنتقل من حال إلى حال، هذه المادة الجسدية/ الجسد، أما الروح... فيكتب تأبينه، ووداع الآخرين لجنائزه، وهو في هذا الموقف يستعيد تجربة مالك بن الربيع، الشاعر الذي كتب مشاهد جنازته قبل الرحيل، عندما استشعر دنو أجله.

لقد استبق درويش نصه ببيت مالك بن الربيع:

يقولون: لا تبعد، وهم يدفنونني وأين مكان البُعد إلا مكانيا؟

وهذا البيت يجعل المتلقي يستحضر القصيدة كلها، ليعرف مقدار التقاطع بين النصين، مقدار الحضور والغياب في مواجهة الموت.

بيت "مالك بن الربيع" يقدم العبارة التي يُلقن بها الميّت، العبارة الموجعة التي تتألف واقع الحال "لا تبعد" وهو يرى أن لا بُعد أبعد من المكان الذي سيدفن فيه.

وهذا حال درويش الذي لن يتمكن مشيعوه من دفنه في مسقط رأسه في البروة، لأن البروة غائبة ومحيت عن وجه الجغرافيا وحضرت وحلت محلها مستعمرة. فالدفن لن يكون قرباً من الرحم الأولى التي خرج منها الشاعر، وإنما هو بعاد ما بعده بُعاد.

وأمام هذا البعاد تستوقفنا كثافة الضمائر المتنوعة في نص "في حضرة الغياب" فنحاول تبين دلالتها والمعنى المتحقق منها. وستقتصر المعالجة على الفصل الأول والثامن، الفصل الأول لمعالجته فكرة الموت، الموت الحقيقة الوجودية الكبرى للأحياء، وذروة الحياة، وقمة اكتمالها، والصيرورة الطبيعية

لدورة الحياة على وجه الأرض، والاختبار الحقيقي لقيمة الإنسان. والفصل الثامن لأنه يكتب أسطورة قوم، وشعب، وجماعة تصارع أسطورة غزاة عملوا على احتلال الأرض وتفريغها من سكانها بالإبادة والتشريد، هذا الفصل يكتب الموت المسلط على الجماعة بفعل الغزاة، الموت الذي يأتي قبل اكتمال الدور والتجربة في الحياة؛ فيؤدي إلى صيرورة غير طبيعية، تحدث خلافاً مريعاً في التوازن الكوني الظاهر والملموس، فتخلق ظواهر كونية تتراءى ولا تُلمس، ظواهر أسطورية.

الضمائر

الضمير وحدة لغوية يحكمها التركيب والدلالة. والضمير فرع من فروع الاسم، لا يقوم بمفرده، فلا بد من تعلقه، فهو نائب الاسم الظاهر، وخلف له، فـ"الأسماء المضمرة ثوان لها، وأخلاف منها، ومعوضة عنها، فلم تقو قوة ما هي تابعة له، ومعتاضة منه"^(١).

والاسم في اللغة: الكلمة الدالة على معنى في نفسها، وينقسم إلى صريح، يقوم بنفسه دون إحالة أو إنابة، وغير صريح، كالضمائر، فهي لا تشير إلى ما تدل عليه إلا بالإحالة، كما لا تدل على مسمى. وإذا أريد لها أن تدل عليه "فتقلب دلالتها من وظيفية إلى معجمية، كان ذلك بواسطة المرجع،

(١) ابن جني، (٣٩٢هـ/١٠٠٢م) تح: النجار، محمد علي، الخصائص، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٩، ج ٢، ص ١٩٤.

فدلالتها على مسمى لا تأتي إلّا بمعونة الاسم^(١)؛ لتؤدي دوراً في علاقة الربط، بعودة إلى مرجع لتغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه؛ ما يؤدي إلى تماسك أطراف القول ليجعله واضح الوظيفة غير معرض للبس والإبهام.

ويلتزم الاسم الظاهر موضعاً يختلف عن مواضع الضمير الذي يتعلق، والضمير "من قبيل العلاقات التي لا تقوم في الكلام بنفسها، بل هي تحتاج إلى التعلق بما تعوضه وتكرره بصورة مختزلة"^(٢).

الاختزال والترتيب من خصائص الضمائر الشكلية، أما الخصائص الدلالية فهي: "تأديتها ما تؤديه الأسماء"^(٣).

والضمائر مرتكزات مفصلية، وأدوات ربط تنظم عملية بناء الدلالة، ويمكن القول بأنها أعصاب النص. وتنقسم الضمائر إلى: ذاتية، تترجم مكونات الأنا المتكلم، وموضوعية، تكرر مبدأ الغياب، ومركبة، تقع بين هذا وذاك، وتصهر الذاتي بالموضوعي. إن اختيار الضمير يؤثر في عملية التواصل بين النص والقارئ، لأن الضمير ينظم الخطاب، ويقوم بوظائف مرجعية وانفعالية وإدراكية وإيحائية.

(١) حسان، تمام، (٢٠١١م) اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٧٩، ص ١١٠.

(٢) عاشور، المنصف، ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، منشورات كلية الآداب منوبة، ط٢، تونس، ٢٠٠٤، ص ٦٦٠.

(٣) المبرد، (٢٨٦هـ/٨٩٩م) المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣، ج ٣، ص ١٧٢.

والتحول من ضمير إلى آخر سُمي التفاتاً، حيث يتحرك المبدع بين الضمائر الثلاثة بحرية في إطار بنائه للنص، وهذا ما يحدث اهتزازاً في البنية النمطية المتوقعة، ويُعتبر نوعاً من الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، ما يعمل على جعل المتلقي في يقظة، بالإضافة إلى أن أسلوب الالتفات هو تفنن راق في استخدام الكلام. وقد أشار النقّاد إلى أن الأصوات الثلاثة هو- أنا- أنت تتجاوز قيمتها التعبيرية والجمالية وفقاً لموضعها في الكلام، وهي ترتبط جوهرياً بحركة المعنى النامية في النص.

الضمائر في الفصل الأول

المتأمل في نص "في حضرة الغياب" يلحظ استحواذ الضمائر على النص، وغياب الأسماء عن الفاعلية والمفعولية إلا في مواضع قليلة يمكن حصرها.

إن شيوع الضمائر في البنية التركيبية بأشكالها المتعددة: المضمرة، والمتصلة، والمنفصلة، يجعلها تتجاوز مستوى البيان النحوي إلى تحسس ما يفضي إليه من بيانات جمالية، ويبقيها "دائماً على حافة اللغة في تلك المنطقة التي تتجلى فيها أدبيتها وشعريتها"^(١).

يفتح النص بـ"سطراً سطرًا أنثرك أمامي بكفاءة لم أوتها إلا في المطالع/ وكما أوصيتني، أقف الآن باسمك كي أشكر مشيعيك إلى هذا السفر

(١) فضل، صلاح، شفرات النص دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيدة، دار الآداب، ط١، بيروت، ١٩٩٩، ص٩.

الأخير، وأدعوهم إلى اختصار الوداع والانصراف إلى عشاء احتفالي يليق بذكراك/فلتأذن لي بأن أراك وقد خرجت مني وخرجت منك، سالماً كالنثر المصفي على حجر يخضر أو يصفر في غيابك. ولتأذن لي بأن ألمك، واسمك، كما يلم السابلة ما نسي قاطفو الزيتون من حبات خبأها الحصى". ص ٩.

مخاطب ومخاطب يحضران في هذا النص متمثلين، أنا وأنت، ضميرين دلا على ذاتين غير متعينتين في الخطاب، يسمحان للمتكلم من احتلال منزلة الفاعل في الخطاب وتبليغ رسالة، مع علاقة تتوفر بينه وبين المرسل إليه حول موضوع هذا الموضوع هو "الموت"، بوصفه موضوعاً خاصاً وعمماً في الوقت ذاته.

يغوينا النص لمتابعة الغوص في أعماقه لتتعرف على مرجعية هذين الضميرين فنأمل جملة من حيث البنية النحوية التركيبية ونلاحظ: أن الفواعل في النص ضمائر مستترة أو متصلة، أنثرك/أنا، أوتها/أنا، أوصيتني/ت/أنا، أفف/أنا، أشكر/أنا، أدعوهم/أنا، يليق/هو. خرجت/ت/أنت، خرجت/ت/أنا، يخضر/هو. ما عدا "نسي قاطفو الزيتون من حبات خبأها الحصى" الفاعلان في هذه العبارة قاطفو، والحصى، وهما لا يدلان على علم. كما أن المفعولين في جمل الأفعال المتعدية ضمائر متصلة، ما عدا "أشكر مشيعيك".

تحضر الأنا والأنت ضمائر مستترة ومتصلة في لغة المخاطب والمخاطب. فالتكلم والمخاطب ضميران مستتران أو متصلان في الغياب. يتبادلان الظهور "الحضور". لكننا لا نجد ما نحيلهما عليه من اسم.

نعرف أن الأنا تعبر عن الشخص المتكلم المفرد المقصود لذاته، وتقابل الآخر^(١)، وتعبّر عن الهوية والذات التي تتراءى للآخرين قبل ظهورها للفرد، عند دخوله في عالم العلاقات الإنسانية بوصفه فرداً له خصائصه الجسدية والنفسية المميزة له عن بقية أفراد جنسه^(٢)، والـ "أنا" تساوي النفس المفكرة^(٣)، وهي مسؤولة عن إبداع العمل الفني، وإبرازه إلى الوجود استجابة للبواعث الداخلية والخارجية المؤثرة في نفسية المبدع^(٤).

وترتبط الـ "أنا" و"الذات"، فالذات: مجموعة الآراء والمعتقدات التي يكونها الفرد ليُعبر بها عن هويته^(٥)، والآراء والمعتقدات تعطي صاحبها تصوراً خاصاً لذاته وإمكاناته وسماته ومجمل فاعلية شخصيته^(٦)، والـ "أنا":

(١) مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١، ص ٢٨.

(٢) الحبابي، محمد عزيز، من الكائن إلى الشخصية، دار المعارف، ط ١، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٧.

(٣) وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط ٢، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٠٩.

(٤) شلتر، داون، نظريات الشخصية، تر: محمد علي الكربولي، وعبدالرحمن القيسي، مطبعة جامعة بغداد، ط ١، بغداد، ١٩٨٣، ص ٥٩٩.

(٥) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني - بيروت، لبنان، دار الكتاب المصري - القاهرة، ص ٥٧٩.

(٦) طه، فرج، وآخرون، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط ١، ١٩٩٣، ص ٤٥.

مجموعة الأحاسيس التي يشعر بها الإنسان وتدفعه إلى القيام بما يحقق ذاته^(١). هذه الذات المتحققة من خلال خطاب يستخدم الأنأ، تستطيع كل الذوات المتلفظة للخطاب المسرود بضمير "الأنأ" أن تحتل مكانها وتكون كونها إذا لم يكن لهذه الأنأ مرجعية تعود إليها، فتصبح الأنأ ملكاً لكل فرد في الإنسانية متلفظ بها. فهذه الأنأ تتغيا اختراق وامتلاك الأنأ الإنسانية.

تظهر الأنأ والأنت بضميرين منفصلين في "ولنذهبن معاً أنا وأنت في مسارين:

أنت، إلى حياة ثانية، وعدتك بها اللغة، في قارئ قد ينجو من سقوط نيزك على الأرض.

وأنا، إلى موعد أرجأته أكثر من مرة، مع موت وعدته بكأس نبيذ أحمر في إحدى القصائد". ص ٩-١٠

الانفصال هنا عُرّف قليلاً بالمساعدات اللغوية الأخرى، لكنه لم يكشف اللثام كاملاً عن الدلالة المحددة.

فالأنت ستحيا حياة ثانية بوعده من اللغة من قارئ يتمتع بحياة توفرت له من نجاة حصلت بعد حصول دمار "سقوط نيزك على الأرض" فمن هذه الأنأ؟ تساعدنا بنية النص اللغوية التي تختزن بنيات إحالية تعبر عنها

(١) لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، تر: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨، ج٢، ص ٨٢٤.

الضمائر^(١) لترفع أُنْعَتِها، فالأنت يعرفها كتاباتها/شعريتها تعريفاً عاماً، أما الأنا فأظهرت نفسها قليلاً بالإفصاح عن موعد مرجأ مع الموت الموعود بكأس نبيذ أحمر في إحدى القصائد.

الأنا والأنت في حضرة الموت، الموت: حقيقة من الحقائق الوجودية الكبرى، وهو ذروة الحياة وقمة اكتمالها، والاختبار الحقيقي لقيمة الإنسان. جاء الموت مسبقاً بأما التفصيلية التي تكشف عن صفة من صفات الموت وهي صفة الغدر، هذه الصفة إن مارسها غيره فإن ممارستها تهينه، لذلك ستفي الأنا المستترة في "فلأذهب" بذهابها إلى موعدها مع الموت، شريطة أن تعثر على قبر لا ينازعها عليه أحد من غير أسلافها. الأنا المستترة في "فلأذهب" والأنا المتمظهرة في الضمائر المتصلة في: موعدي، وعثوري، وينازعني، وأسلافي، ويعنيني، واسمي، وجدي، منقادة لحقيقة الموت، لكنها صامدة ومتحدية ورافضة للمنازعة على قبر من غير الأسلاف، يظهر هذا في كلمة "أحد" الفاعل في ينازعني.

الأنا والأنت الإنسان والمبدع في حضرة الموت في حضرة الجنازة، في حضرة التشييع. الأنا والأنت المتصلتان في الحياة منفصلتان في الموت. هذا الموت الذي وقف أمامه خلق كثير من بداية البشرية إلى هذه الوقفة التي لن تكون النهائية. ملحمة جلجامش أقدم نص مكتوب عرفته البشرية وقوفاً في

(١) خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٤٥-٤٦.

وجه الموت، وبحثاً عن طريق يوصل إلى الخلود، فوجدت الخلود في الأعمال العظيمة التي يتركها البشر كالأعمال الفنية كما يقول درويش في الجدارية: "هزمتك يا موت الفنون جميعها". فهذا المشيِّع المشيِّع هو الإنسان والشاعر، الإنسان الطيني الفاني، والشاعر الخالد الذي فيه نفحة الآلهة. الطيني ذاهب إلى القبر، والشاعر مستمر باق على قيد الحياة في القراء الأحياء.

"ولأذهبن، بلا عكاز وقافية، على طريق سلكناه، على غير هدى، بلا رغبة في الوصول، من فرط ما قرأنا من كتب أنذرتنا بخلو الذرى مما بعدها، فأثرنا الوقوف على سفوح لا تخلو من لهفة الترقب لما توحى الثنائيات من امتنان غير معلن بين الضد وال ضد". ص ١٠

يستمر الخطاب الصادر من الأنا المتكلمة/ المخاطبة الواثقة من ذهابها باستخدامها نون التوكيد الثقيلة، يبدأ الخطاب بفاعل ضمير مستتر في "ولأذهبن"، ثم يصبح الفاعل ضميراً متصلاً يعبر عن الجمع "نحن: سلكناه، قرأنا، فأثرنا، فالأنا المفردة المستترة تتحول إلى جمع متصل نحن، وهذا ما يسعى إليه المبدع، يقول: "يشرفني أن ينظر إلى صوتي الشخصي وكأنه أكثر من صوت، أو أن "أناي" الشعرية لا تمثل ذاتي فقط، وإنما الذات الجماعية"^(١). تنصهر الأنا في الجمع فتعرف لهفة الترقب، وتكتشف وحي امتنان التضاد غير المعلن. ومن المتكلم الجماعة يلتفت إلى المخاطب المفرد: "لو عرفتك لامتلكتك، ولو عرفتني لامتلكتني، فلا أكون ولا تكون".

(١) وازن، عبده، محمود درويش، الغريب يقع على نفسه، رياض الريس للكتاب والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦، ص ٧٠.

ص ١٠ الالتفات هنا يعبر به عن خصوصية الشاعر والإنسان الفرد المبدع،
 الأنا والأنت تتحدان في الجموع، وتنفصلان عن بعضهما في الخلوة
 والوحدة، فالأنا لو عرفت الأنت لامتكتها، والامتلاك يلغي الكينونة، لكن عدم
 المعرفة أوجد الكينونة. هذه الكينونة التي تواطأت على مسميات وتفسيرات
 لاستمرار المصاحبة. "الأنا" و"الأنت" ضميرا المتكلم والمخاطب، هما
 الضميران الشخصيان الحقيقيان، الحاضران في موقف الكلام، متعاقبين بحيث
 يصعب تصور أحدهما أو فهمه بعيداً عن الآخر، فكأن أحدهما مرآة للآخر.
 إن "الأنت" تحددها الـ "أنا" بالضرورة، ولا يمكن التفكير فيها خارج إطار
 موقف تبدو الـ "أنا"، كما أن الـ "أنا" في الوقت نفسه، تتحدث بالضرورة
 عن شيء يتعلق ضمناً بـ "أنت"، فضمير المخاطب يمكن أن يستخدم خارج
 إطار المخاطبة، ويمكن أن يستخدم للدخول في تنويع من السياقات "غير
 الشخصية". "أنا" يصدر عنه الكلام ويقع داخله، بينما يتوجه الكلام إلى "أنت"
 الذي يقع خارج الكلام. ومع أن "الأنت" تقع خارج الكلام، فإن هذا لا يقطع
 واقع الديالوج الإنساني ولا ينفيه. ولكي أخرج أنا من "نفسي"، وأقيم علاقة
 حية مع كائن ما، فأنا بالضرورة ألتقي بـ "أنت"، أو أفترضه؛ فهو "الشخص"
 الوحيد المتخيّل خارجي "أنا". وإذا كان من سمات الـ "أنا" التعالي والغموض،
 فإن سماته هذه لا تنعكس إلا في "أنت". وفي الواقع لا وجود لشخص اسمه
 "أنا" أو "أنت" خارج موقف الكلام. فهما علامتان "فارغتان"، يتغير معناهما
 وما يشيران إليه، كلما تغير الموقف. ضمير المخاطب إذن مخادع ومراوغ
 في ذاته، يتغير ما يشير إليه مع كل تغير.
 نتأمل هذا المقطع: "يا((أنا))ي النائم على بزوغ البياض من أبدية، ...

وبأي شكل أحمي معنك من الهباء... ما دامت رحلتنا، أقصر من خطبة الكاهن في كنيسة مهجورة، في يوم أحد، لم يسلم فيه أحد من غضب الآلهة؟ لكنك مسجى أمام، أعني في كلامي الخالي من عثور الاستعارات على مصادرها، وعلى رابط خفي بين أرض متدينة، وسماء وثنية". ص ١١

هنا تجرد الأنا من أناها أنا أخرى، فيصبح الخطاب موجهاً من الأنا الإنسانية إلى الأنا النائمة على بزوغ البياض، وهنا يحضر مالك بن الريب في مرثيته، لكن حضوره مختلف، حيث استحضر مراسيم الموت وطقوسه في ذلك الوقت، أما هذه الأنا فاستحضرت وطرحت قضايا وجودية كبيرة كقضية: الشكل والمعنى، وحماية المعنى من الهباء، وقصر الرحلة الإنسانية/ علاقة الإنسان بالزمان/ علاقة الإنسان بالإله/ علاقة الأرض بالسماء. وكل هذه القضايا تحتاج إلى رجوع إلى مصادرها، كما الاستعارات التي تستوقف المستعير ليعثر على مصدرها. قضايا وجودية معرفية لم تشف غليل الأنا، أسئلة عالقة، ومعرفة ناقصة، وبحث عبثي.

ومن الأنا الإنسانية الجمعية يلتفت الخطاب إلى الأنا القومية؛ للتعبير عن متع الحب والتواصل مع الطبيعة، في الهناك، المكان المفقود.

ويستدير النص ليعود إلى الأنا والأنت/ المترافقتين في رحلة السفر ولم تفترقا في مرآة أو طريق. ولكن افتقرت الأنا عن أنها ساعة سطوة الأنثى على الذكر؛ لتعلن: أن لا جنة معلنة بالحواس وبالحدس سوى العاشقة، ولا جحيم إلا خيبة العاشق.

ثم يطلب المخاطب الإذن في فسخ عقد مبرم بين عبث وعبث لأسباب منها: أنه لا يعرف من انتصر ومن انكسر: الأنا أم الأنت أم الموت. ولم يتم الاعتراف بأن العدو أذكى وأدهى.

ثم تضاف كلمة / صاحب/ إلى الأنت في الخطاب، ويطلب المخاطب فسح عقد مع صاحب مترف بالأوصاف النقيضة، باحث عن عبث لتدريب النفس على التسامح؛ وليحظى بنعمة التأمل ليخلق الشعر من كل شيء حي. ولكن عليه اشتراطات منها: الدفاع عن حروف اسمه المفككة، أي: الدفاع عن هويته التي عمل المغتصب على تفكيكها، لقد فُرض عليه أن يدافع عن عبث مثل عليه بـ: حق النافذة في النظر إلى العابرين، واحتياج الهواء لوثيقة دم، هذا العبث استدرج صاحب الأرض لأشكلته مع وجوده، فارضاً عليه أن يقدم برهاناً للقرصنة لشرعية هذا الوجود.

ويعود الخطاب إلى الوجود الجمعي القديم الذي تنتمي إليه الأنث، هذا الوجود الذي لم ينشغل بتدوين أسماء الغزاة الذين مروا على المكان. ولذا فإن الأنث مغيبة بسبب عدم التدوين عند الباحثين في الآثار عن التدوين، ولأنها لا تنتمي إلى الغزاة/ القراصنة؛ لذا فهي مطاردة في الصحو والنوم "وحين تصحو لا تندم لأنك كنت تحلم، ولم تسأل أحداً: هل أنت من القراصنة؟ وفي الصحو تكون مواجهة بين أنت وقراصنة بقيم ثقافية مختلفة ومفترقة، وتتطلب من الأنا الماثلة أمامها الإتيان بالبرهان على هذا الوجود المتحقق فعلاً في الأنا التي تجيب على أسئلة القراصنة والمبرهن بالأدوات المتمثلة في: محاريث خشبية، وجرار من فخار، وزيت يضيء، وقرآن، وجدائل من فلفل وبامية، وحصان لا يحارب. إنها أدوات تبرهن على هوية مجتمع زراعي مستقر متجذر في المكان، "فهذا المجتمع يواجه هوية تعمل

على تفكيك هويته واختراقها بالعنف الموجه إلى أفراد القوائم على خلق أزمة خاصة تتعلق بالهوية^(١).

فالإزاحة للمجتمعات سواء ظهرت عن طريق عملية توطين، أو عملية تدخل، أو مزيج من الاثنين تعمل على انتشار الاهتمام بأساطير الهوية والأصالة^(٢).

فأهل فلسطين المستعمرون "قلقون على مستقبلهم ربما أكثر من أي شعب آخر في العالم، لأنهم يواجهون ظروفاً تهدد هويتهم وحتى بقائهم الجسدي"^(٣).

وفي الحوار تتلفظ الأنا أناها، الأنا المعبرة عن الهوية والذات التي تتراءى للآخرين، لكن القراصنة يتجاهلون الوجود، فالأنا برهانيتها مرفوضة وغير معترف بها، أمام المستجوب، حتى عندما وافقته وتمنت أن تكون حجراً تظاهروا بعد الفهم.

(١) أشكروفت، بيل، وغريفيث، غاريث، وتيفين، هيلين، الرد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، تر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٧.

(٢) أشكروفت، بيل، وغريفيث، غاريث، وتيفين، هيلين، الرد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ص ٢٧.

(٣) كناعنه، شريف، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، رام الله، مواطن، ٢٠١١، ص ١٧٠.

تستعين الأنا بمعطياتها اللغوية للدفاع عن ذاتها وبرهنة وجودها في تكرار اللفظ أنا، أنا، ومساواة الأنا بالبرهان في جملة "أنا البرهان"، بتشبيهه بليغ، المشبه عين المشبه به، وما سبق ينطبق على جملة "أنا الكمال والنقصان" بزيادة المعطوف الذي يكمل نقصان المعنى، فالجملة تحمل المعنى ونقيضه، وجملة ليت الفتى حجر جملة تحمل معنى التمني، وهذا التمني مرتبط بالوجود القوي الصلب الذي يعتقد قائله أن لا مجال لإنكاره لمن يرى ويسمع.

هذا الحوار أوصل إلى طرد الأنا/الأنت من الحقل، طُردت الأنا/الأنت، لكنهما اتحدتا في ظل ناب عنهما، هذا الظل بقي متمسراً ومتحجراً، ومتحولاً لصيرورات تناسب الزمان والصراع "واخضر" كنبتة سمس في النهار، وازرق ليلاً". تكيف الظل مع الظروف ليبقي على ذاته.

لكن المخاطب الأنا يشد أزر الأنت باستخدام أسلوب الشرط المقترن بـ(مهما)، هذا الأسلوب الذي يشترط تحقق الفعل وجوابه، قائم على ثنائيات ضدية بين الفعل والجواب بطباق ومقابلة مهما نأيت ستدنو/ومهما قتلت ستحيا/فلا تظن أنك ميت هناك/وأنت حي هنا/فالمأزق الوجودي الذي عاشته أنا القومية المتمثل في اغتصاب الأرض والإنسان ما زال قائماً وعاتياً ويحتاج إلى مقاومة وسعي للخلاص، فيحث على العمل ويرشد إلى مقوم من مقومات الخلاص، يرشد إلى المجاز، المجاز المدرب للكائنات على لعبة الكلمات، المجاز يجعل الظل جغرافياً، والمجاز سيلم الأنت مع اسمها. ويحثه على الكتابة الصاعدة أعلى من تراث الأساطير.

الفصل الثامن

ضمير الغائب

يرصد هذا الفصل الصراع بين جماعتين، قومين، أمتين، غزاة ومواطنين، ويحكي استراتيجيات الغزاة في تفريغ الأرض من مواطنيها وتثبيت وجودهم في الأرض.

يكتب الحكاية الجماعية مضيفاً معنى عليها من خلال تصعيد التجربة وأسطرتها، وكاشفاً بعدها الملحمي بصراع الحيوانات، وحشد الاستعارات والصور المركبة. رائياً أن "لا بدّ للمنهم، من أن يخلق أسطوره هو، الخاصة به، خرافته، لكي يقاوم أساطير القوة، وأغنيات "المنتصر" التي تحذفه من التاريخ^(١).

يعتمد جل خطاب هذا الفصل على الضمائر في ثلاثيته: المخاطب والمخاطب والموضوع.

يظهر مسمى "دير ياسين" مسمى متفرداً ومتعيناً في موضوع الخطاب، يشاركه مسمات أخرى معمة كالطرواد والإغريق، وملك إسرائيل، والشبح، والدم.

تنظم الضمائر الخطاب فتولد الدلالة، وتقوم بوظائف مرجعية، وانفعالية، وإدراكية، وإيحائية، وتلتفت متحولة من ضمير إلى آخر، فتحدث اهتزازاً في

(١) مجموعة من الكتاب، محمود درويش، **المختلف الحقيقي**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص٢٣٤.

البنية النمطية المتوقعة، وتلعب دوراً كبيراً في عملية التواصل بين النص والقارئ.

وتعدد الضمائر يقدم إمكانات للكشف عن الذهن في تدفقه، وعن غرابة الموضوع، وعن الذات التي تعيش في شبه حلم خلال مغامرتها الأسطورية، وهو أسلوب يشي بالذاتية المقموعة، والحديث الصامت، والصراع في عملية اتخاذ قرارات مصيرية. كما أن لهذا الأسلوب إمكانات أيديولوجية غنية؛ فهو يدعو إلى الاستخدام الساخر لأنواع من الخطاب، ويعمل على جذب القراء بإشعارهم أنهم المقصودون.

نتوقف عند مطلع الفصل الثامن: "لم يسحرك أكله اللوتس بمذاق النسيان العسلي". خرجوا من أسطورتهم سالمين، ودخلت وأهلك بلا استعداد كاف في النتيه. تعرف تماماً ماذا تركت وراءك: ماضياً غير مدوّن في نشيد، عن طُرّاديين جدد لا يروى عنهم إلا ما يقول أعداؤهم عنهم. لكنهم لم يخطفوا هيلين ولم يكونوا سبباً للحرب. كانوا طيبين مسالمين، ولا ذنب لهم غير أنهم وُلدوا على سفوح شُبّهت بالدرج المؤدي إلى الله، وكانوا شجعاناً بلا سيوف، وعفويين بلا بلاغة، فانكسروا أمام الدبابات، وهُجّروا وبعثروا في مهبّ الريح، دون أن يفقدوا إيمانهم بالشفاء من جرح التاريخ". ص ٦٧

نتأمل الخصائص التركيبية وما تحمله من دلالة، وكلاهما متداخلان، فالتركيب يوضح الدلالة ويحملها، والدلالة تقوى بقوة العلاقات التي تنشئها وحدة الدلالات اللغوية داخل التركيب، منها الضمير العائد الذي يحمل مرجعية

معرفية كلية، وهذه المرجعية تتمثل في الإشارة إلى ما تحمله العناصر السابقة له، وكأنها متوازية في قوة ما تحمله من معنى الضمير.

وبالوقوف على عبارة "لم يسحرك أكله اللوتس بمذاق النسيان العسلي" المفتوح بها الفصل، فإننا نجد أن بنيتها تحمل إحالة إلى ضمير غائب مفرد /هو/ ومخاطب بضمير متصل /ك/ ومخاطب غير متعين في غيبة أو حضور. ضمير الغيبة لم يسبقه في العبارة ما يوضحه أو يعود إليه، وهذا الضمير يحمل إشارة الغياب التي توافق زمن حدوث الفعل وهو الماضي، وهنا قد تتوزع دلالة الغياب في جهتين: هما: جهة الغياب في الماضي، وجهة الغياب في المستقبل.

ويعد الضمير الغائب معيناً من درجة ثانية "فلا يعين إلا ما يستطيع مفسره تعيينه، فهو شكل ناقص، خصائصه محدودة تنحصر في الدلالة على جنس الاسم الذي يفسره عدده، كما أنه غير قادر على أن يمكن من مبدأ حديد إحالي"^(١).

والضمائر وحدات دالة "على الشخص وهو يتعلق بمفهوم الخفاء والدقة والباطن"^(٢). في هذا النص يبقى المضمير معلقاً لا نستطيع تقديره إلا بعد

(١) كلاييار، نلرجس باديس، في علاقة الضمير بمفسره بين التبعية في المنوال النحوي والتسلط في المنوال التداولي العرفاني، حويلات الجامعة التونسية ٤٨، ٢٠٠٤، ص ١٧١.

(٢) الزناد، الأزهر، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٣، ص ١١٧.

الإبحار في الفصل، وقد يكون التقدير مجازياً فالمقصود به "مناحيم بيجن"، الممثل للصهيونية الممتدة من جذور أسطورية توراتية.

أول ضمير نواجهه في النص هو "هو" الضمير المستتر في يسحرك، ضمير الغيبة الدال على شخص، هذا الشخص الوالج في عالم الأسطورة المتعالي، الغائب عن اعتراف المخاطب والمخاطب "أكله اللوتس"، وهذه الجملة تكثف جزءاً من عالم أسطوري وظفه المخاطب مواجهاً الرواية المتصلة بالأسطورة التوراتية، أسطورة أرض الميعاد. ويتصل عالم "أكله اللوتس" في الأوديسة، ويتلخص في أن أكلة زهرة اللوتس ينسون كل شيء ويتذكرون أن الجزيرة التي أكلوا على ظهرها زهرة اللوتس هي وطنهم. فالشخصية هنا في حالة غياب عن الوعي الماضي. نسيانها عسلي، نسيان قائم على تحقيق الذات الجمعية بامتلاك المكان بارتكاب مذبة دير ياسين.

وينتقل من الحديث عن مفرد غائب إلى الحديث عن جماعة غائبة تعنونها السلامة، وتتقابل مع مخاطب مفرد مضاف إلى جماعة يعنونها النتيه. الجماعتان معبر عنهما بضمير متصل هو الواو التي تعني /هم/ وليس لها عائد اسم تعود عليه.

ينبري المخاطب لتبيان أسباب الدخول في النتيه الذي لم يكن خياراً للمخاطب المتمظهر في الضمير المستتر /أنت/ والضميرين المتصلين، التاء، والكاف في "تعرف تماماً ماذا تركت وراءك".

أول الأسباب هو: ماضٍ غير مدوّن في نشيد عن طُرواديين جُدد لا يروى عنهم إلا ما يقول أعداؤهم عنهم. فهم لم يخطفوا هيلين ولم يكونوا سبباً للحرب.

تحضر استعارة الطرود جماعة معروفة ويغيب المستعير في ضمير، وفي فعل مبني للمجهول. وتحضر الإلياذة والأوديسة ملحمتا هوميروس اللتان سطرتا الصراع بين الطرود والإغريق، المنتهي بدمار طروادة وحرقتها، وسبب الصراع هو أن باريس الطروادي خطف هيلين الإغريقية زوجة منيلاوس. فجهز الإغريق جيشاً عظيماً وحاصروا طروادة. فيرى أنه وشعبه لا يشبهون أحداً من المتصارعين لم يخطفوا هيلين ولم يكونوا سبباً للحرب. مثل هذه الرموز تنصق قوي يربط التجربة القومية بالتجربة الإنسانية. وتمثل الرموز اكتشاف تشابه بين شيئين، فلا يشترط التشابه الحسي بين الرمز والمرموز، فالرمز "بعد اقتطاعه من الواقع يغدو فكرة مجردة، والعبرة بالواقع المشترك المتشابه الذي يجمع بينهما، كما يحسه الشاعر والمتلقي"^(١).

والرمز ذو تقنية مزدوجة، من حيث التلميح والاستمرارية، والإيحاء والديمومة، فعبر الإيحاء يتميز بفعالية صورته، ويضفي على النص الانفتاح أو التعددية الدلالية أو الإشارة الحرة^(٢). ويصبح للنص هنا حركة توليدية، هي حركة خلق العالم وليس التعبير عنه.

هؤلاء الطرود الجدد عبر عن فاعليتهم المنفية بواو الجماعة الضمير المتصل المعبر عن الغياب.

(١) أحمد، محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، ط١، ١٩٧٧، ص٣٩.

(٢) باروت، محمد جمال، زيتونة المنفى، الحلقة النقدية في مهرجان جرش السادس عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٨، ص٤٨.

ثاني الأسباب هو: "ولدوا على سفوح شُبّهت بالدرج المؤدي إلى الله"، مكان الولادة وما يحمله من قداسة كان سبباً من وجهة نظر أعدائهم لإدخالهم في التّيه، لأن أعداءهم عملوا على تجريدهم من امتلاك المقدس الديني؛ لأن المقدس الديني حكر على أعدائهم لن يسمحوا لأحد أن يشاركهم به. وهنا تتمظهر الجماعة في فعل مبني للمجهول لم يسم فاعله.

ثالث الأسباب هو: "وكانوا شجعاناً بلا سيوف، وعفويين بلا بلاغة" الشجاعة دون امتلاك الأدوات العصرية التي تدعمها، وعفوية لا تملك أدوات الخطاب المعاصر وهذا ما روجه المغتصب "من حق اليهود كأمة متحضرة أن تحل مكان العربي لأنه ينتسب إلى أمة متخلفة، العربي يهدد الكيان الصهيوني انطلاقاً من أفكار بدائية"^(١).

النتيجة كانت "فانكسروا أمام الدبابات، وهُجّروا وبعثروا في مهبّ الريح".

ظلت الفاعلية المعبرة عن الهزيمة متمظهرة في ضمائر جمع متصلة، لا تفصح عن اسم، وتعود على الطروادين الجدد.

يدور الصراع بين جماعتين لم يسمهما، ويأتي الفاعل في خرجوا ضميراً متصلاً يصنف ضمن ضمائر الغياب ويعضده الضمير هم في

(١) هلسا، غالب (١٩٨٩م)، نقد الأدب الصهيوني، الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٨، ص٥٦.

أسطورتهم، فالراوي يروي حكايتهم بضمير الغائب تغييباً لأفعالهم التي قهرت هويته وغيبت ذاته وشعبه. جماعتان في حضرة الغياب، المغتصب غيب المغتصب بوسائل شتى، ليحضر هو ويشغل المكان.

وأمام هذا الصراع الأسطوري توجه أسئلة للشاعر على المستوى القومي: "قمن أنت في هذه الرحلة؟ أشاعر طروادي نجا من المذبحة ليروي ما حدث، أم خليط منه ومن إغريقي ضلّ طريق العودة؟ إن فتنة الأسطورة تجعلك نهباً لانتقاء الاستعارات.. فخذ منها ما يصلح لصعود النشيد إلى ختام آخر، يتسع لصوت الضحية الطرواديّ المفقود". ص ٦٨

استفتح الأسئلة بضمير المخاطب المفرد، وهذه الأسئلة تتعلق بدور الشاعر وعلاقته بالصراع الذي تعيشه أمته مع الآخر، ثم التفت إلى الشاعر بضمائر الغياب في / نجا/ ليروي/ حدث، وأعاد الالتفات في تجعلك، بضمير المخاطب المستتر أنت، ثم تبعه ضمير أنت في/ فخذ، ثم انتقل إلى الحديث عن الاستعارات وأهميتها بالنسبة للتعبير عن الصراع مستخدماً أفعالاً فاعلوها ضمائر غياب مستترة لكن لها عوائد تعود عليها في يصلح/ يتسع.

لكن الشاعر يعي أن من "يكتب التاريخ هو المنتصر، الإلياذة، أغنية المنتصر عن نفسه لنفسه، أسطوره. أما الطروادي فلا ملاحم له. لا بدّ للمنهزم، إذن، من أن يخلق أسطوره، لكي يقاوم أساطير القوة، وأغنيات "المنتصر" التي تحذفه من التاريخ"^(١).

(١) مجموعة من الكتاب، محمود درويش، **المختلف الحقيقي**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص ٢٣٤.

ويعي الشاعر أنه سيختار من الاستعارات ما يصلح منها لصعود النشيد إلى ختام آخر، كما يعي صراع الشاعر مع الماضي والغد، ويحكي علاقة الشاعر مع مجتمع ونقاد وإطلاق أحكام "سموك الحالم حين قلت: "إن الطروادي يقاوم، وفسروا أحلامك قبل أن تراها". تتميز العبارات ببنية تركيبية تقوم على ضمائر غياب وخطاب متصلة ومستترة في فاعليها ومفعوليها، الواو لا تعود على مرجع في: سموك/ وفسروا. وتعليل ذلك أن الذات الشاعرة المتعينة في ضمير المخاطب أنت، تقوم قوى على تخيبيها؛ لذلك تم التعبير عنهم بضمائر الغياب التي لا تعود إلى مرجعية محددة، فمرجعياتها كثيرة وهي غير مؤثرة في مسيرة الشاعر، ولن تثنيه عن تحقيق أهدافه.

وقد اختار الشاعر الهامش، لأن الهامش يستطيع أن يعيد تسمية الأشياء وتعديل الحقائق القارة "فلا يكون الملك هو الملك ولا يكون مقلع داود إلا سلاح جوليات". لم يقتصر دور الشاعر على وضع الصراع في نشيد "قصيدة"، فقام بمواجهة الأفكار المضللة أيًا كان مصدرها، واشتباك مع المقولات والسرديات التي عملت على تشكيل هويته وهوية قومه. "فواجه أبشع وأوسع عملية تضليل ثقافي يهدف إلى غايات سياسية وعسكرية غير مشروعة، التي نجح العدو إلى حد بعيد في تجويز تبريرها على قطاع كبير من البشر وخلق حولها درعاً من الصمم يكاد اختراقه أن يكون معجزة"^(١).

(١) كنفاني، غسان، (١٩٧٢م) الآثار الكاملة، الدراسات، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية،

دار الطليعة، ط١، بيروت، ١٩٧٧، ص٤٧٢.

فالشاعر واع للدور الذي يقوم به المغتصبون، ويعي أطرهم المصنوعة والمفبركة، وهو يعرف أن كل أمة تفقد جذورها في الزمان تعمد إلى استعادتها، من خلال السرد والخيال، فتنتج ميكانيزماتها التأويلية هوية تتشد نحو ماض غائب ومفقود غير أنه مسرود ومصدق من قبل الجماعة، وهذا السرد مموضع بصورة اعتباطية من خلال عملية تأويلية، وعملية قراءة وإساءة قراءة لسرديات الآخرين وقصصهم. ف"الصهيونية الأدبية سبقت الصهيونية السياسية، وما لبثت أن استولدتها وقامت الصهيونية السياسية بعد ذلك بتجنيد الأدب في مخططاتها ليلعب الدور المرسوم له في تلك الآلة الضخمة التي نظمت لتخدم هدفاً واحداً"^(١).

أمام هذا الواقع يطرح السؤال: هل صحيح أن من يكتب قصته قبل الآخر يكسب أرض القصة؟

ويتساءل: "قد يكون هناك شعب لا شعراء له، فهل يكون من حق الآخر أن يحتله؟ الجدارة الأدبية لا تعطي حقاً للسلاح في أن يملك شرعيته"^(٢).

يقدم هذه المعضلة الأدبية الإنسانية التي كرّسها المغتصب، ويعمل على مجابقتها بأدب إنساني متميز رفيع.

يواصل الحديث عن الجماعة بضمير المتكلم الجمع، ويختار عناصر من مشكلات هويتها التي تميزها وتفرّدها "وبحثنا عن زهرتنا الوطنية، فلم نجد

(١) كنفاني، غسان، الآثار الكاملة، الدراسات الأدبية، ص ٤٦٧.

(٢) وازن، عبده، محمود درويش، الغريب يقع على نفسه، ص ١٢٤.

أفضل من شقائق النعمان التي سمّاها الكنعانيون "جراح الحبيب"، وبحثنا عن طائرنا الوطني، فاخترنا الأخضر "تيمناً بانبعائه من الرماد، وبحثنا عن علمنا الوطني، فأرشدنا بُعدنا القومي إلى بيت الشعر إياه، الذي أغدق على الألوان الأربعة أوصافاً قد تجافي الموصوف.

في هذه الفقرة ضمائر الغياب المتصلة في: سمّاها، وبانبعائه، وإياه، لها مرجعيات سابقة تعود إليها: شقائق النعمان، والأخضر، وبيت الشعر، مرجعيات عتيقة وعميقة وتزاوج الواقع بالأسطورة، وتدل على: الوطن، والحياة والانبعاث والتجدد، والشعر، ثلاث أيقونات من مشكلات الهوية. مشكلات هوية متجذرة لم تحم أصحابها من الغزاة والمستعمرين الذين أمعنوا في القتل والتشريد فصارت هويتهم معرفة بسيل الدماء الذي امتد على كل الأرض التي حلوا بها.

فالجماعة المشتبكة مع الآخر المعرفة بسيلان الدم، سيلان الدم دليل العدو لطمأنه ذاته. سيلان الدم أدى إلى الصيرورة التي تحولت لها الجماعة "فنحن الذين لا وجود لنا على "الأرض الموعودة" صرنا شبح القتل الذي يطارد القاتل في النوم وفي اليقظة وفيما بينهما"، فالصراع المتمركز في قاتل وقتيل، حول/ صير القتل إلى شبح يطارد القاتل في كل الأوقات، فأصبح القاتل ضحية الشبح فيجعله مضطرباً مكتئباً شاكياً صارخاً، ويتمظهر الآخر العدو بضمائر غياب مستترة في: فيضطرب/ ويكتئب/ ويشكو من الأرق/ ويصرخ. ويشارك القتل والقاتل في التعبير عنهما بضمير الغائب، ففي جملة الاستفهام "ألم يموتوا بعد؟ الواو الضمير المتصل تعود على القتلى/ الأشباح،

وهنا الضمير يعود على متأخر رتبة. يعود على الشبح، والشبح من الناحية الروحية روح منسلخة عن جسد إنسان مات دون مهمة كاملة، أي أنه يحمل رغبة لم تتحقق في هذا العالم. وقد يأتي من تأثيرات، رسائل فكرية أو عاطفية تتبادل بين عقل وآخر، ويشترط في حدوث التخاطر وجود استعداد نفسي أو روحي للمرسل والمستقبل، ويكون المستقبل أكثر فعالية في الغالب^(١).

ويرتبط ظهور الأشباح بموقع أو بقعة معينة مرتبطة بخلفية رهيبة ومرعبة أشبه بالأساطير. ويكون الشبح في الغالب على شكل طيف إنسان.

والشائع أن أرواح ضحايا المجازر تبقى تحوم حول قاتليها وتنغص عيشهم، وهذا ملك إسرائيل الجديد الذي يقيم في مصحة الأمراض العقلية المطلّة على "دير ياسين"، المكان الذي فرّغ من مواطنيه بمذبحة كبيرة، ثم محيت آثار القرية، ولم يتبق منها إلا المقبرة، الملك الجديد يعيش مع أشباح ضحايا مجازره، تحولت/ صارت أرواحهم أشباحاً تطارده في كل مكان، وترافقه في نومه ويقظته، فالقتل تغيب وغياب ولكنه حضور وصيرورة بشكل آخر وبهيئة أخرى، القتل سيطرة على جسد مادي، أما الشبح فلا أحد يستطيع السيطرة عليه، إنه خارج نطاق السيطرة، يدخل عالم الأسطورة. وعالم الأسطورة مشترك مع الخيال والواقع لا أحد يستطيع إثباته أو إنكاره وهو غائص عميقاً في العقل الجمعي، فيمكن استدعاؤه، وتجسيده، وخلع

(١) البابلي، عماد، الشبح؟؟ تعريف باراسيكولوجي، الحوار المتمدن، ع: ١٢٩٧، ٢٠٠٥.

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=43877>

الصفات عليه، وإيجاد حياة له؛ لمقاومة أساطير مدعاة عملت على قتل الآخر، ونفيه، وسلبه هويته، ومكانه.

نجد أن الشبح فاعل في/بلغ الشبح سنّ الفطام وسنّ الرشد وسنّ المقاومة وسنّ العودة، وأشغل الفاعلين المتمثلين في: الطائرات، والدبابات، والغواصات، المعبر عنهم في جمل النص بضمير الغياب /هي/ العائد على المرجعيات سابقة الذكر، الدلالة أن الشبح مسيطر على السماء واليابسة والبحر، واحتل/هو/ وعي القاتل حتى يصيبه بالجنون، الشبح يصيب القاتل بالجنون، وهذا تغيب من نوع آخر، فالغياب يواجه بالغياب، فالغياب في الشبح يواجه بالغياب بالجنون، ويظل هذا الصراع مستمراً حتى يسقط القاتل في حفرة القتل.

أدرك درويش أن مواجهة خلق الأسطورة تجابه بخلق أو بعث أسطورة مماثلة، فعمد إلى شخصية الشبح، شخصية أسطورية وبوأها مركز الفاعلية وإدارة الأحداث، ومقاومة القاتل الذي يعيش في رعب دائم مما فعل، فهو يعيش في "شريعة الخوف" الخوف يخلق الشبح، والشبح هو المعادل الموضوعي لصيرورة شخصية القاتل.

وبالوقوف على الحوار بين الشبح والملك نلاحظ ضمائر الغياب المعبرة عن الفاعل والمفعول في يغادره/ ويعوده/ ويقوده، وهذه الضمائر لها عوائد تعود إليها، فالضمير المتصل الهاء يعود على الشبح، والضمير المستتر يعود على الملك، لكنهما في حضرة الغياب، "لولا الغياب غيابهم لما حضرت" هذا ما يهذي به ملك إسرائيل الجديد.

وتظهر فاعلية الشبح في مخاطبة القاتل المتعين في "أنت" باستخدام ضمير المتكلم الياء في "قتلتني، ودفنتني" فتظهر المواجهة والمجابهة بين الشبح والقاتل، التي لا يستطيع القاتل صدّها.

إذن هذه بلاغة جديدة تفتح النهاية على معان جديدة يريد ترسيخها المبدع، إنها حكمة المهزوم التي تخلق دفاعتها، وتقاوم لبقائها في التاريخ، وترد على الذين يتمترسون وراء أساطير مسلحة برؤوس نووية. "لم نسمع في التاريخ عن أساطير تتسلح بهذا السلاح الفتاك"^(١).

لكن "الكتابة الشعرية مع البقاء الفاعل على قيد الحياة يمكنها أن تعدل النص الإغريقي، برحيل المستعمرين الغزاة مهزومين. فوظيفة الشعر تكمن في إعطاء فلسطين هويتها عن طريق مضاعفة الصور والمعاني التي تكثف حضورها؛ لأن المتخيل يحمي ما يرغب التاريخ في تحطيمه. والكتابة الشعرية المعتمدة على المجاز، والكناية، والاستعارة، والتورية هي ظل الكلام، لكن الظل والصورة ليسا الشيء نفسه، لكن الكتابة المبدعة تستطيع مواجهة الخلق المضاد الذي لا يستند على حقيقة، وباستنادها على المجاز تكون ممثلة لكيثونة صاحبها وكاتبها، فالمواطن الحقيقي أدخله المغتصب في صيرورة الظل والشبح، فالظل والشبح هما ليسا الإنسان وإنما صورة الإنسان. ودال على وجوده كما الكتابة الاستعارية المكنية الموارية صورة من صور اللغة متعددة القراءة. كما أن للشاعر مآرب أخرى في المجاز تتمثل في حرية التعبير وحرية الحركة، وإضفاء السخرية على الوجود.

بضمير المتكلم الجمع يختتم النص بالاكتماء من المعنى بتلوحة يد من بعيد، ويعلن استمرارية الحياة، والقدرة على تعديل النص الإغريقي.

(١) وازن، عبده، محمود درويش، الغريب يقع على نفسه، ص ١٢٧.

الخلاصة:

- الضمائر مقومات أساسية لتحقيق ترابط النص وانسجامه واتساقه.
- الضمائر أسماء غير صريحة، تحتاج في توضيح دلالتها إلى مرجع.
- ارتكز خطاب "في حضرة الغياب" في جله على الضمائر المتعددة: حضوراً، وغياباً، وخفاءً، وظهوراً.
- سعى النص باعتماده على الضمائر لتحقيق أسطرة الخطاب.
- مثلت الأنا في النص الذات الفردية والذات الجمعية.
- تجلت الأنا في النص بأشكال مختلفة.
- يقترن دور الضمائر بتحديد المرجع والتعبير عن الذاتية، وتوزيع المعلومات الدلالية ونوعها، وفق مبادئ تتحدد وتتقدم داخل الجملة في ترتيبها وطريقة تلفظها.
- شيوع الضمائر في البنية التركيبية بأشكالها المتعددة: المضمرة والمتصلة، والمنفصلة، يجعلها تتجاوز مستوى البيان النحوي إلى البيان الجمالي، ويضعها في منطقة تتجلى فيها أدبيتها وشعريتها.
- ارتكاز بنية النص التركيبية على الضمائر يؤهل خطابه لأن يكون نصاً إنسانياً كونياً.
- يغلب على بنية النص في الفصل الثامن ضمائر الغيبة.
- يراوح في الفصل الثامن في بنية النص بين ضمائر الغيبة وضمائر الخطاب.
- ضمائر الغيبة بعضها يفتقد المرجعية، ومنها ما تتأخر مرجعيته.

المصادر والمراجع:

١. أحمد، محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، ط١، القاهرة، ١٩٧٧.
٢. أشكروفت، بيل، وغريفيث، غاريث، وتيفين، هيلين، الرد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، تر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٦.
٣. البابلي، عماد، الشبح؟؟ تعريف باراسيكولوجي، الحوار المتمدن، ع: ١٢٩٧، ٢٠٠٥.
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=43877>
٤. باروت، محمد جمال، زيتونة المنفى، الحلقة النقدية في مهرجان جرش السادس عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٨.
٥. ابن جني، تح: النجار، محمد علي، الخصائص، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٩.
٦. الحبابي، محمد عزيز، من الكائن إلى الشخصية، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٦٣.
٧. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٤.
٨. خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩١.

٩. درويش، محمود، **في حضرة الغياب**، دار رياض الريس للكتاب والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.
١٠. الزناد، الأزهر، **نسيج النص**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٣.
١١. شلتر، داون، **نظريات الشخصية**، تر: محمد علي الكربولي، وعبدالرحمن القيسي، مطبعة جامعة بغداد، ط١، بغداد، ١٩٨٣.
١٢. صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٢.
١٣. طه، فرج، وآخرون، **موسوعة علم النفس والتحليل النفسي**، دار سعاد الصباح، ط١، الكويت، ١٩٩٣.
١٤. عاشور، المنصف، **ظاهرة الاسم في التفكير النحوي**، منشورات كلية الآداب منوبة، ط٢، تونس، ٢٠٠٤.
١٥. فضل، صلاح، **شفرات النص دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيدة**، دار الآداب، ط١، بيروت، ١٩٩٩.
١٦. كلاييار، نلرجس باديس، **في علاقة الضمير بمفسره بين التبعية في المنوال النحوي والتسلط في المنوال التداولي العرفاني**، حوايات الجامعة التونسية ع٤٨، ٢٠٠٤.
١٧. كنفاني، غسان، **الآثار الكاملة، الدراسات**، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، دار الطليعة، ط١، بيروت، ١٩٧٧.

١٨. كناعنه، شريف، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، رام الله، مواطن، ٢٠١١.
١٩. لا لاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، تر: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨.
٢٠. المبرد، المقتضب، تح: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣.
٢١. مجموعة من الكتاب، محمود درويش، المختلف الحقيقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان، الأردن، ١٩٩٩.
٢٢. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٧.
٢٣. وازن، عبده، محمود درويش، الغريب يقع على نفسه، رياض الريس للكتاب والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.
٢٤. وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت، ١٩٨٤.
٢٥. هلسا، غالب، نقد الأدب الصهيوني، الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٨.

21. Shliter, Dwān, 1983. Theories of Personality, 1st ed. Translated by: Muḥammad 22. Ali Al-Karbūli & Abdulraḥman Al-Qaisi. Baghdad: University printing house.
23. Taha, Faraj & Others. 1993. Psychology and Psychological Analysis Encyclopedia (in Arabic), 1st ed. Kuwait: Dār Suṭṭād al-Ṣabāḥ,
24. Wahba, Majdī & al-Muhandis, kāmīl. 1984. Dictionary of Arabic Terminologies in Language and Literature, 2nd ed. Beirut: Lebanon Library.
25. Wāzin, Abduḥ & Maḥmūd Darwīsh. 2006. Al-Gharīb Yaqau Ala Nafsiḥ, 1st ed. Beirut: Riād al-Rayyes for Books and Publication.

11. Ibn Jinni, Al-Najjar, Muḥammad Ali.1999. The Features. Cairo: General Egyptian Book Organization.
12. Kanafāni, Ghassān, 1977. Al- āthār al- kāmilah: al-Dirāsāt, 1st ed. Beirut: Ghassān Kanafāni Cultural Foundation, Dār al-Ṭalīa.
13. Kanāḏna, Sharīf, 2011. Studies in Culture, Heritage and Identity. Rāmallah: Mawāṭin.
14. Khaṭṭābi, Muḥammad. 1991.Text Linguistics is an Introduction to a Speech's Harmony (in Arabic), 1st ed. Beirut: Arab Cultural Center.
15. Klāybār, Narji Bādīs. 2004. In the Relationship between a pronoun and its Interpreter: between Dependency in the Syntactic Manner and Domination in the Cognitive Common Manner (in Arabic). Tunisia: Tunisian University annals, issue 48.
16. Lā Lānd , Andrieh, 2008. The philosophic Encyclopedia of La Lānd: A Glossary of Critical and Technical Philosophy. Translated by: Khalīl Aḥmad Khalīl. Beirut: ūwaidāt for Publishing and Distribution.
17. Laḥbābi, Muḥammad Aziz. 1963. From a Creature to a Person (in Arabic), 1st ed. Cairo: Dār al-Maaref.
18. Muṣṭafah, Ibrāhīm and others. 1997. Al-Mujam Al-Wasīt, 2nd ed. Beirut: Dār Iḥyāa al-Turāth al-ʿArabī.
19. Parrot, Muḥammad Jamāl. 1998. Zaytunat Al-Manfa, 1st ed. The critical workshop of the 16th Jerash Festival (in Arabic). Jordan: Arab Institute for Research & Publishing.
20. Ṣaliba, Jamil. 1982. Philosophic Dictionary (in Arabic). Lebanon: Dār Al-Kitāb Al- lūbnāni & Cairo: Dār Al-Kitāb Al-Maṣri.

References

1. Aḥmad, Muḥammad Futūḥ Aḥmad. 1997. Symbol and Symbolism in Contemporary Arabic Poetry (in Arabic), 1st ed. Cairo.
2. Al –Mibrad, al-Muqtaḍab. 1963. Investigation: Muhammad Abdulkhaliqʿadīma. Beirut: ālam al- kutub (world books).
3. Al-Babilī, Emād. 2005. Al-shabah?? : Parapsychological Definition (in Arabic). Modern dialogue, issue:129 (7). Available at: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=43877>
- Al-Zinād, Al-Azhar. 1993. Nassij Al-Naṣ, 1st ed. Beirut: Arab Cultural Center.
4. āshour, al-Munṣef. 2004. The Phenomenon of Name in the Syntactical Thinking (in Arabic), 2nd ed. Tunisia: Arts faculty publications of Manouba.
5. Bill Ashcroft, Gareth Griffiths and Helen Tiffin. 2006. Response in Writing, Theory and Practice in Post-colonial Literatures, 1st ed. Translated by: Shuhrat al- ālam, Arab Organization for Translation. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
6. Darwīsh, Maḥmūd and others. 1999. Al-Mukhtalif al-haqīqī, 1st ed. Jordan: Dār al-Shurūq for Publishing and Distribution.
7. Darwīsh, maḥmūd, 2006. Fi ḥadrat Al-Ghiyāb (in Arabic), 1st ed. Beirut: Dār Riad el-Rayyes for books and publishing.
8. Faḍel, Ṣalāḥ. 1999. Script Codes: a Semiotic study in Story and Poem Lyricizing (in Arabic), 1st ed. Beirut: Dār Al-Adāb.
9. Halasa, Ghālib. 2008. Zionist Literature Criticism, 1st ed. Beirut: Al-Intishār Al-arabī.
10. Hassān, Tammām. 1994. Arabic Language Meaning and Syntax (in Arabic). Cairo: General Egyptian Book Organization.

تربيع البنية الثلاثية بصوت الراء

دراسة في المبنى والمعنى

د. جزاء محمد المصاروة (*)

ملخص

يسعى هذا البحث إلى بيان الأثر المبنوي والمعنوي الذي تحقّقه زيادة حرف الراء على البنية الثلاثية، متّخذاً مما ورد في معجم لسان العرب لابن منظور مادّته الأساسية.

وقد بيّن البحث أنّ الراء تُسهم بشكل فاعل في تحويل البنية الثلاثية إلى بنية رباعية أكثر من أيّ حرفٍ آخر، وهي كذلك تؤدي وظيفة معنوية، هي المبالغة والتكثير في المعنى، وقد وعى البحث واحدة وأربعين كلمةً ظهر فيها معنى المبالغة، وهو عدد كافٍ في الرباعي - لإثبات فكرة البحث، إذ إنّ ما ورد عند ابن فارس في (مقاييس اللغة) من الألفاظ الرباعية المزيّدة بالراء لم يُجاوزَ خمساً وثلاثين كلمةً.

(*) أستاذ مشارك في النحو والصرف - جامعة مؤتة.

*Quadrupling a Tri-Literal Root by the Insertion of the Letter
[r]: A Structural and Semantic Study*

Jaza'a Mohammad Almasarweh

Abstract

This paper seeks to elucidate the structural and semantic significance the insertion of the letter "r" on triliteral roots has. Source of material is gleaned from 'Lisan Al-Arab' by Ibn Mandhoor. The research shows that the 'r' contributes effectively and more than any letter in changing triliteral roots into quadruple ones. This insertion serves a semantic purport, namely exaggeration and multiplication of meaning. Forty-one entries are cited with the meaning of exaggeration, a number of which is more than enough to prove the point of the article. It is worth mentioning that the number of entries cited by Ibn Fares in 'Maqayees Allogha'/language standards' did not exceed thirty-five citations.

تَوْطِئَة

يقوم الصرف العربي في طائفة كبيرة منه على مسألة الحروفِ الأصول والحروف الزوائد، فيها يُعرف المجرّد والمزيد، وأوزانُ الألفاظ، والمشتقات، والمصادر، والتنثية، والجمع، والتصغير وغيرُها.

لذا اعتنى العلماء منذ فجر الدراسات الصرفية بمعرفة أصول الكلمات، وحصرها في الثلاثية والرباعية إن كانت أفعالاً، وفي الثلاثية والرباعية والخماسية إن كانت أسماء، على خلاف بين الكوفيين والبصريين في الفعل الرباعي، أجمع حروفه أصول؟ وهو رأي البصريين، أم أنه ثلاثي فيه حرف زائد؟ وهو رأي الكوفيين؟^(١) يقول ابن عصفور (٦٦٩هـ/١٢٧٠م): "زعم أهل الكوفة أنَّ نهاية الأصول ثلاثة، فجعلوا الراء من (جعفر) زائدة، والجيم واللام من (سفرجل) زائدتين"^(٢).

ومن هنا فقد تتبع القدماء حروف الزيادة وحصرها أغلبهم في حروف عبارة (سألتمونيها) على أن بعضهم ذكر حروفاً أخرى يمكن أن تزداد غير هذه العشرة، لكنها ظلت آراء فردية لم يكتب لها الشيوع والذيع^(٣)، وقد

(١) الأنباري، أبو البركات (٥٧٧هـ/١١٨١م)، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج ٢، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، ج ٢/ص ٧٩٣.

(٢) ابن عصفور، علي بن مؤمن (٦٦٩هـ/١٢٧٠م)، الممتع الكبير في التصريف، ج ٢، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط ٤، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٢/ص ٣١١.

(٣) زاد كراع النمل، علي بن الحسن الهنائي (٣٠٩هـ/٩٢١م): الغين، والقاف، والحاء، والفاء، والراء، والزاي، والطاء، والدال، والجيم، والباء. انظر: المنتخب من غريب كلام العرب، ج ٢، تحقيق محمد العمري، جامعة أم القرى، ١٩٨٩م، ج ٢/ص ٧٠٠، حيث ذكرها في باب مستقل (باب ما يزداد من غير العشرة ومن أخواتها).

سيطرت فكرة زيادة حروف (سألتمونيها) على كثير من العلماء فلم يعترفوا بزيادة غيرها، فهذا سيبويه (١٨٠هـ/٧٩٦م) يرد على من جعل الراء أو الفاء في (جعفر) زائدة بقوله: "فإذا قال هذا النحو جعل الحروف غير الزوائد زوائد، وقال ما لا يقوله أحد"^(١) وهذا مذهب البصريين عامة^(٢).

وإلى ذلك أيضاً ذهب ابن جنيّ (٣٩٢هـ/١٠٠١م) حيث يقول: "من ذلك قولهم للمكان اللين (دَمِث)، وقالوا: (دِمَثَر) أيضاً، وقالوا للطويل المنبسط: (سَبَط) وقالوا فيه أيضاً: (سَبَطَر)، فسبط ودمث لفظهما قريب من لفظ سبطر ودمثر ومعناهما واحد، ولا يمكن أحد أن يقول: إن الراء من حروف الزيادة"^(٣). بل إنه سخر من ثعلب عندما قال بزيادة الباء في (زَغْدَب) وهو هدير البعير، يقول: "واعتقد زيادة الباء في زَغْدَب، وهذا تعجرف منه، وسوء اعتقاد، ويلزم من هذا أن تكون الراء في سَبَطَر وِدِمَثَر زائدة، لقولهم: سَبَط وِدَم، وسبيل ما كانت هذه حاله ألا يُحفل به، ولا يُتَشَاغل بإفساده"^(٤).

(١) سيبويه، عثمان بن قنبر (١٨٠هـ/٧٩٦م)، الكتاب، ج٥، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨، ج٤، ص٣٢٨.

(٢) يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠هـ/٧٨٦م)، العين، ج٨، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، ج١، ص٨٤، وابن السراج، أبو بكر محمد بن السريّ (٣١٦هـ/٩٢٨م) الأصول في النحو، تحقيق عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، د.ت، ج٣، ص٣٩.

(٣) ابن جني، أبو الفتح (٣٩٢هـ/١٠٠١م)، المنصف شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، دار إحياء التراث القديم، ١٩٥٤م، ص٢٦.

(٤) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، المحكم والمحيط الأعظم، ج١١، تحقيق عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٥/ص٤٤٠.

ويقول ابن عصفور: "قَامًا فَيَشْلَةً وَهَيْقَلٌ وَطَيْسَلٌ فَيُمْكِنُ أَنْ تَجْعَلَ اللَّامَ فِيهَا زَائِدَةً؛ لَأَنَّهُ يُقَالُ (فَيْشَلَةٌ) فِي مَعْنَى فَيْشَلَةٍ، وَ(هَيْقَلٌ) فِي مَعْنَى هَيْقَلٍ، وَ(طَيْسَلٌ) فِي مَعْنَى طَيْسَلٍ. وَيُمْكِنُ أَيْضًا أَنْ تَجْعَلَ اللَّامَ أَصْلِيَّةً وَالْيَاءَ زَائِدَةً؛ لِأَنَّ زِيَادَةَ الْيَاءِ أَوْسَعُ مِنْ زِيَادَةِ اللَّامِ، فَتَكُونُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مُتَقَارِبَةً وَأُصُولُهَا مُخْتَلَفَةٌ، نَحْوُ: ضَيَّاطٌ وَضَيْطَارٌ، وَسَبْطٌ وَسَبْطَرٌ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الرَّاءَ لَا تَزَادُ، وَأَنَّ ضَيَّاطًا وَضَيْطَارًا، وَسَبْطًا وَسَبْطَرًا، مُتَقَارِبَةٌ وَأُصُولُهَا مُخْتَلَفَةٌ"^(١) فهو يَحْتَمِلُ زِيَادَةَ اللَّامِ فِي هَيْقَلٍ وَطَيْسَلٍ، لَكِنَّهُ يَنْكُرُ زِيَادَةَ الرَّاءِ فِي سَبْطَرٍ وَغَيْرِهَا، وَلَا حُجَّةَ عِنْدَهُ سِوَى أَنَّ الرَّاءَ لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ سَأَلْتُمُونِيهَا.

والحقُّ أَنِّي أُمِيلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَى رَأْيِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّاعِدِيِّ الَّذِي يَرَى أَنَّ حُرُوفَ الزِّيَادَةِ فِي (سَأَلْتُمُونِيهَا) هِيَ حُرُوفُ الزِّيَادَةِ التَّصْرِيفِيَّةِ الْقِيَاسِيَّةِ، وَلَيْسَتْ الْحُرُوفُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَزَادَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ؛ لِذَا جَعَلَ الزِّيَادَةَ نَوْعَيْنِ، الْأَوَّلُ الزِّيَادَةُ الْقِيَاسِيَّةُ الْمَعْرُوفَةُ عِنْدَ اللُّغَوِيِّينَ، وَالثَّانِي الزِّيَادَةُ السَّمَاعِيَّةُ الْمَعْجَمِيَّةُ الْأَحْفُورِيَّةُ، وَيَشْمَلُ هَذَا النَّوْعَ الْأَخِيرَ كُلَّ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ، وَيَرَى أَنَّ لَهُ دَوْرًا مَهْمًا فِي الدِّرَاسَاتِ الدَّلَالِيَّةِ وَالْمَعْجَمِيَّةِ^(٢).

وهذا البحث يتناول مسألة زيادة الراء على البنية الثلاثية فعلاً أو اسماً لتصبح رباعيةً، ويكشف عن الأثر المعنوي لهذه الزيادة؛ فهو يعالج زيادة الراء على الثلاثي من حيث المبنى والمعنى على حدٍّ سواء.

(١) ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، مصدر سابق، ج ١/ ص ٢١٤

(٢) الصاعدي، عبدالرزاق، حروف الزيادة اللغوية الأحفورية، جريدة المدينة، الجمعة ٢٠١٢/١١/٣٠م، صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة المدينة للنشر، المملكة العربية السعودية. ويقصد بالأحفورية ما نجده في الاستعمال العربي القديم في اللغة الفصحى.

الدراسات السابقة

لمّا كان هذا البحث ليس بأول في مداره كان لا بد أن نشير إلى أهم الدراسات والآراء السابقة في هذا الموضوع.

تعود فكرة ترجيع الفعل الرباعي إلى أصول ثلاثية إلى ابن فارس (٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، يقول "اعلم أنّ للرُّبَاعِيَّ وَالْخُمَاسِيَّ مَذْهَبًا فِي الْقِيَاسِ، يَسْتَنْبِطُهُ النَّظَرُ الدَّقِيقُ. وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ مِنْهُ مَنْحُوتٌ. وَمَعْنَى النَّحْتِ أَنْ تُوْخَذَ كَلِمَتَانِ وَتُنْحَتَ مِنْهُمَا كَلِمَةٌ تَكُونُ أَخَذَةً مِنْهُمَا جَمِيعًا بِحِظٍّ. وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَيْعَلَ الرَّجُلُ، إِذَا قَالَ حَيَّ عَلَى. وَمِنْ الشَّيْءِ الَّذِي كَانَهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ: عَبْشَمِيَّ. وَقَوْلُهُ: تَضَحَّكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ"^(١).

فهو يرى أنّ الرباعي يتأتى من نحت كلمتين ثلاثيتين لتتشكل منهما كلمة رباعية على أنه لم ينكر أن بعض الأفعال رباعية في الأصل "وَالضَّرْبُ الْآخَرُ [الْمَوْضُوعُ] وَضَعًا لَا مَجَالَ لَهُ فِي طُرُقِ الْقِيَاسِ"^(٢).

ويشير ابن فارس إلى نوع آخر من الرباعي، وهو ما كان أصله ثلاثيًا زيد عليه حرف "وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَجِيءُ عَلَى الرُّبَاعِيِّ وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثِيَّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، لَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ فِيهِ حَرْفًا لِمَعْنَى يُرِيدُونَهُ مِنْ مُبَالَغَةٍ، كَمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي زُرْقَمٍ وَخَلْبِنٍ. لَكِنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةُ تَقَعُ أَوَّلًا وَغَيْرَ أَوَّلٍ"^(٣) وعلى هذا النوع

(١) ابن فارس، أحمد (٣٩٥هـ/١٠٠٥م) مقاييس اللغة، ج ٦، تحقيق عبدالسلام هارون،

دار الفكر، ١٩٧٩م، ج ١/ص ٣٢٩.

(٢) المصدر السابق، ج ١/ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) المصدر السابق، ج ١/ص ٣٣٢.

الأخير مدار هذا البحث. وقد جمع ابن فارس في كتابه مئتين وتسعاً وثلاثين كلمة من الثلاثي المزيد بحرف^(١) وكان أكثر الحروف زيادة هو الحرف الذي يحتل الموقع الثاني وأقلها ما يحتل الموقع الأول^(٢).

على أن ابن القوطية (٣٦٧/هـ ٩٩٨م) -وهو أسبق من ابن فارس- يرى أن الأفعال والأسماء كلها ثلاثية يقول: "وأقل ما بُنيت عليه الأسماء والأفعال ثلاثة أحرف، فما رأيتَه ناقصاً عنها فاعلم أن التّضعيف دخله، مثل: فرّ، وردّ، وما زاد على ثلاثة أحرف فبحروف الزوائد الداخلة فيه"^(٣) لكنه لم يبين كيف يرتد الرباعي إلى ثلاثة أحرف، لذا أزعّم أنه يقصد هنا ما زاد عن ثلاثة الأحرف بحروف الزيادة القياسية المجموعة في (سألتمونيها)، لا على ما ذهبت إليه المعاينة من أنه يعتقد أن الفعل الرباعي ناشئ من الفعل الثلاثي^(٤).

أما عند المحدثين فيرى كرامت الكنتوري أن النحاة والصرفيين العرب أغفلوا مسألة اشتقاق الرباعي من الثلاثي واشتقاق الخماسي من الرباعي، يقول: "قد كانوا يعرفون أن المزيد فيه من الرباعي مأخوذ من مجردة وأن المزيد فيه من الخماسي مأخوذ من مجردة، إلا أنه ما خطر في قلوبهم أن

(١) الصاعدي، عبدالرزاق، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، ج ٢، عمادة البحث العلمي، ط ١، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢م، ص ١٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣) ابن القوطية، محمد (٣٣٦هـ/٩٧٨م) كتاب الأفعال، تحقيق علي فوده، مكتبة الخانجي، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٨.

(٤) معاينة، ريم، بنى الأفعال العربية في معاجم الأفعال، دراسة صوتية صرفية، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٨م، ص ١٦٠.

الثلاثي يصير رباعياً والرباعي يصير خماسياً، وبلغ عدم مبالاتهم بذلك الاشتقاق مبلغاً قال معه جمهور منهم أنَّ الرباعي والخماسي ليسا مأخوذين من الثلاثي بل هما صنفان غير الثلاثي^(١) وهو بذلك يشير إلى ما نقله الأستراباذي (٧١٥هـ/١٢٣م) من أنه مذهب سيبويه وجمهور من العلماء، ويشير الكنتوري إلى رأي الكسائي (١١٩هـ/٧٣٧م) والفراء (٢٠٧هـ/٨٢٢م) اللذين يريان أن أصل الرباعي ثلاثي زيد عليه حرف في آخره -على رأي الفراء- أو حرف قبل آخره -على رأي الكسائي- ويقول إنه "لا دليل على ما قالاه"^(٢) ثم راح يضرب أمثلة لرد الرباعي والخماسي إلى الثلاثي مثل: دحرج من درج وقرضب من قضب وطحمر من طحر... إلخ^(٣).

وتابعه في ذلك مراد كامل الذي انطلق في رد الرباعي إلى الثلاثي من اللهجات العامية الحديثة واللغات السامية، وخلص إلى أن نشوء الرباعي كان من أصل ثلاثي أو ثنائي^(٤) ويرى (هنري فلش) أن أصول الفعل الرباعي أحياناً ترتد إلى الثلاثي؛ وذلك بتكرار صامته الأول أو بتوسيع الفعل الثلاثي بزيادة حرف أولاً أو ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً، أو أنه مأخوذ من أصل اسمي^(٥).

(١) الكنتوري، كرامت، مقدمة من فقه اللسان، مطبعة لوكنشوربريس، لكنهو، الهند، ١٩١٥، ص ١١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١١١ وما بعدها.

(٤) انظر: كامل، مراد، تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها من اللغات السامية، ص ٧٣ وما بعدها، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٣١، ١٩٧٣.

(٥) انظر: هنري فلش، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق عبدالصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، ط ١، بيروت، ١٩٦٦م، ص ١٥٥-١٥٨.

ويرى أديب عباسي أن الفعل الرباعي يرتدّ إلى ستة أصول، أحدها وأهمها هو الفعل الثلاثي^(١) وإلى مثل رأيه ذهب تمام حسان؛ إذ يرى أيضاً أن الرباعي قد ينشأ بتكرار فاء الثلاثي بين العين واللام إذا ما تماثلت العين واللام في الثلاثي، وأصبحت حرفاً واحداً مشدداً مثل عسعس من عسّ، كما يرى أن الزيادة قد تكون زيادة حرة غير مقيدة بصوت معين أو مكان معين، مما يعزز دعوى ثلاثية الكلمة العربية^(٢).

وتتبع إسماعيل عمايرة في دراسته (معالم دراسة في الصرف)^(٣) كثيراً من الأفعال الرباعية التي نشأت بزيادة حرف على الثلاثي أو أنها نشأت نتيجة لفك التضعيف في الثلاثي المضعف، وذكر أمثلة لكل حرف تسبب في نشوء الرباعي، لكنه لم يتطرق إلى زيادة الراء وأثرها في تشكل الفعل الرباعي، فذكر السين والشين والهاء والميم والغين وأحرف العلة وغيرها، لكنه لم يذكر الراء، كما إن دراسته لم تأت استقصائية وإنما اكتفى بذكر بعض الأمثلة التي قد لا نستطيع معها الجزم بظاهرة تشكل الرباعي من الثلاثي.

وقد تطرق الشريف ميهوبي إلى الأصول السامية لبعض الأفعال الرباعية لكنه قصر حديثه على الأفعال المستعملة في العاميات غالباً ولا سيما عامية الجزائر^(٤).

(١) انظر: عباسي، أديب، أصول الفعل الرباعي، المقتطف، مجلد ٩٧، ١٩٤٠م، ص ٧٩.

(٢) انظر: حسان، تمام، (١٤٣٣هـ/٢٠١١م)، مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء، ط ٢، المغرب، ١٩٧٤م، ص ١٨٤ وما بعدها.

(٣) عمايرة، إسماعيل (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، معالم دراسة في الصرف، الأقيسة الفعلية المهجورة، دراسة لغوية تأصيلية، دار الحنين، ط ٢، عمان، ١٩٩٣، ص ٢٣ وما بعدها.

(٤) ميهوبي، الشريف: دراسة في التطور والتأصيل، تطور الفعل الرباعي في العربية ولهجاتها مقارنة بأخواتها الساميات، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ٢٠٠٢م.

ويرى كثير من المحدثين إمكانية رد الفعل الرباعي إلى الثلاثي، منهم أحمد فارس الشدياق^(١)، وعبدالله العلايلي^(٢)، وفوزي الشايب^(٣)، ومصطفى النحاس^(٤)، وغيرهم.

ولعلّ الدراسة الاستقصائية الوحيدة في مسألة تأصيل الفعل الرباعي هي دراسة عمر يوسف عكاشة حسن (الفعل الرباعي في لسان العرب، دراسة تأصيلية)، وهي رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية في عام ١٩٩٥؛ إذ أحصى الباحث كل فعل رباعي زيد فيه حرف، وجعل ما كانت الزيادة في أوله في مبحث، وما كانت الزيادة في حشوه في مبحث ثان وما كانت الزيادة في آخره في مبحث ثالث، وفي كل مبحث تناول كل حرف من حروف المعجم على حدة، وأحصى ما ورد في لسان العرب من أفعال رباعية نشأت من الثلاثي بزيادة هذا الحرف.

وقد جمعت ريم معاينة طرق نشوء الرباعي ذي الأصل الثلاثي وأبرزها: زيادة حرف في أول الأصل الثلاثي والتكرار وإقحام الهمزة في

(١) الشدياق، أحمد فارس (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م): سر الليل في القلب والإبدال، المطبعة السلطانية بالآستانة، ١٢٨٤هـ، ص ١١.

(٢) العلايلي، عبدالله: مقدمة لدرس لغة العرب، المطبعة المصرية، د.ت، ص ١٣١، ٢٣٠.

(٣) انظر: الشايب، فوزي، الإلحاق في اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، ١٩٧٢م، ص ٣٧٧.

(٤) النحاس، مصطفى، مدخل إلى دراسة الصرف العربي في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، مكتبة الفلاح، ط ١، الكويت، ١٩٨١م، ص ٤٢.

وزن افعال^(١) ولكن الحقيقة أن الفعل الرباعي ينشأ من الثلاثي ليس بزيادة تسبق الفاء فقط، بل قد تكون حشواً في الوسط كما سيظهر لنا لاحقاً.

ولم تلتفت هذه الدراسات في مجملها إلى القيمة المعنوية التي يُعطِيها الحرف المزيد، وهذا ما تنهض به هذه الدراسة التي قصرناها على زيادة الراء؛ إذ أحصت الدراسة ما يزيد على الستين من الكلمات الرباعية التي جاء فيها حرف الراء زائداً يؤدي معنى المبالغة والتكثير، أثبت منها واحدة وأربعين كلمة، هي التي ظهر فيها معنى المبالغة بشكل واضح، أما الكلمات الباقية فأهملتها لسببين، إمّا لأن معنى المبالغة غير بارز، وإنما يلمح لمحا بالتأويل، مثل: "دَحَجَ إِذَا سَحَبَهُ"^(٢) و"دَحَرَجَ الشَّيْءَ...فَتَدَحَرَجَ أَي تَتَابَعَ فِي حُدُور"^(٣) وإمّا لاعتقادي أنّ في الكلمة تفسيراً آخر، مثل "الخُرْشُوم: أَنْفَ الْجَبَلِ الْمَشْرِف"^(٤) و"خِاشِيمُ الْجِبَالِ أَنْوْفُهَا"^(٥) فأرى أنّ الياء في (خِاشِيم) مبدلة من الراء، فالأصل خراشيم.

والمرجو أن تتبع دراسات لاحقة على حروف أخرى ليتكشف في المنتهى ما المعنى الذي يضيفه كل حرف من حروف الزيادة اللغوية غير القياسية، على غرار معاني الزيادة في الحروف التصريفية القياسية.

(١) معاينة، ريم، بنى الأفعال العربية في معاجم الأفعال، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٧٣.

(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٨.

صوت الراء في العربية

لمح القدماء سمة بارزة في صوت الراء تميزه عن غيره من أصوات العربية، هي صفة التكرير، يقول سيبويه: "ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه. وهو الراء"^(١)، وقال في موضع آخر: "الراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها إيضاحاً"^(٢). وقال في موضع ثالث: "لما كانت الراء كأنها حرفان"^(٣)، ويقول المبرد (٢٨٥هـ/٨٩٨م): "ومنها الراء وهي شديدة ولكنها حرف ترجيع فإنما يجري فيها الصوت لما فيها من التكرير"^(٤). ويرى ابن جني أن الراء أصعب من غيرها من الأصوات لذا تكثر اللثغة فيها "وقد ترى إلى كثرة اللثغة في الراء في الكلام"^(٥) وهو يرى أن تكرير الراء صوتياً يؤدي إلى التكرير في المعنى يقول: "ومن ذلك أيضاً جرّ الشيء يجرّه، قدّموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعاً، ثم عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر، وكررها مع ذلك في نفسها. وذلك لأن الشيء إذا جر على الأرض في

(١) سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج٤، ص٤٣٥.

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص١٣٦.

(٣) المصدر السابق، ج٤، ص١٤٢.

(٤) المبرد، محمد أبو العباس (٢٨٥هـ/٨٩٨م) المقتضب، ج٤، تحقيق محمد عبد الخالق

عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ج١/ ص١٩٦.

(٥) ابن جني، عثمان (٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، الخصائص، ج٣، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ط٤، القاهرة، ج١، ص٥٥.

غالب الأمر اهتزَّ عليها واضطرب صاعدًا عنها ونازلًا إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق. فكانت الراء -لما فيها من التكرير؛ ولأنها أيضًا قد كررت في نفسها في (جر) و(جررت)- أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها^(١).

وعلى رأي ابن جنِّي هذا وعلى رأي ابن فارس الذي تقدّم ذكره "لكنهم يزيدون فيه حرفاً لمعنى يُريدونه من مبالغة"^(٢) تقوم فكرة هذا البحث، فزيادة الراء على البنية الثلاثية تعطيها قيمة معنوية، وأرى أن هذه القيمة المعنوية تتمثل في الزيادة والمبالغة والتكثير، هذا المعنى الذي ينسجم مع طبيعة صوت الراء بوصفه صوتاً مكرراً.

وعند تتبع الأبنية الرباعية التي تشكل الراء أحد أصوات بنيتها ومقارنتها مع الأبنية الثلاثية التي تشبهها في الأصوات لكنها تخلو من الراء تبين لي أن كثيراً من هذه الأبنية تتقاطع في الدلالة إلى حد لا يمكن معه إلا القول بزيادة الراء، وعند تفحص كثير منها وجدت معنى الزيادة والمبالغة حاضراً أو ملموحاً في البنية الرباعية.

ونطمئن إلى هذا الرأي أيضاً إذا ما أضفنا إلى ذلك ما نراه في العامية اليوم -وهي صورة من صور العربية- من دور الراء في تأدية معنى المبالغة والتكثير، فالفرقة فيها أصوات أكثر من الفقع، والخرمشة أكثر خدوشاً من

(١) ابن جنِّي، عثمان (٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، الخصائص، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، القاهرة، ج٢، ص١٦٦.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج١، ص٣٣٢.

الخَمْش، والبرطعة تدل على زيادة الرفاهية، والدربة أكثر أصواتاً من الدبك، والطربشة أشد من الطباش... إلخ.

وفيما يلي نورد أهم الأبنية الرباعية التي عثرنا عليها في لسان العرب تؤكد ما ذهبنا إليه مرتبةً على حروف المعجم:

برتك

جاء في لسان العرب: "برتكتُ الشيء... إذا قَطَعْتَهُ مِثْلَ الذَّرِّ"^(١) وفي البنية الثلاثية من دون حرف الراء (بتك) نجد: "البَّتْكَ: قبضُكَ على الشَّيءِ، على شَعْرٍ أو ريشٍ، أو نحو ذلك، ثم تجذبُهُ إليك فينبِتُكَ من أصله. أي: ينقطع، ويُبتَتَفُ... والبَّتْكَ: قطع الأذن من أصلها. قال الله تعالى: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبِتْ كُنَّ أَذَانِ الْأَنْعَامِ﴾ (النساء: ١١٩)"^(٢) والمبالغة في البنية الرباعية ظاهرة جلية، فالبَّتْكَ قَطَعَ لشيء يكون دُفْعَةً واحدةً، في حين أنَّ البرتكة تكون تقطيعاً لشيء قِطْعاً صغيرة، فالفرق بينهما كالفرق بين قَطَعَ وقَطَعَ، ومعروف أنَّ فَعَلَ هنا تفيد المبالغة.

برجد

عن أبي عمرو: البرجد: كساء من صوف أحمر، وقيل: البرجد: كساء غليظ، وقيل: البرجد: كساء مُخَطَّطٌ ضخم يصلح للخباء وغيره^(٣). وفي

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ج ١٥، دار صادر،

ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١٠، ص ٤٠٠.

(٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٤٢.

(٣) المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٩.

الأصل الثلاثي (بجد) نجد (البجاد) وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب، وقيل إذا غُزل الصوف بسرّة ونسج بالصيصّة، فهو بجاد والجمع بُجْد^(١)، فالمعنى في الصيغتين واحد إلا أننا نجد وصفاً زائداً في الصيغة الرباعية، فهو كساء غليظ أو ضخّم، فتكون الراء بذلك قد أدت وظيفة معنوية هي المبالغة والتكثير والتزيّد.

برشع

البرشعُ والبرشاع: السّيء الخلق^(٢) والصيغة الثلاثية (برشع) تدل على معنى قريب من هذا، فالبرشعُ المنظر: الدميمُ، ورجل برشع النفس: خبيثها، وبرشع الوجه: إذا كان عابساً باسراً^(٣) فكلا الصيغتين يدل على صفة سيئة. وقد نلاحظ أن البشاعة مخصصة لكن البرشع يدل على سوء عام في الخلق، فتكون الراء قد أدت معنى المبالغة والتعميم في المعنى.

برقع

والمُبرّقة: الشاة بيضاء الرأس، والمبرّقة بكسر القاف: غرّة الفرس إذا أخذت جميع وجهه، وفرس مبرّقع: أخذت غرّته جميع وجهه غير أنّه ينظر في سواد وقد جاوز بياض الغرة سفلاً إلى الخدين من غير أن يصيب العين^(٤)

(١) المصدر السابق ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ—/٣١١م)، لسان العرب،

ج ١٥، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ٣، ص ٧٧.

(٢) المصدر السابق، ج ٨، ص ٩.

(٣) المصدر السابق، ج ٨، ص ١١.

(٤) المصدر السابق، ج ٨، ص ١٠.

والصيغة الثلاثية (بقع) تدل على تخالف اللون، ومنه البَقْعُ والبُقْعَةُ: تخالف اللون... وقيل الأبقع: ما خالط بياضه لون آخر. وغراب أبقع: فيه سواد وبياض^(١) وما زلنا اليوم نستعمل كلمة (مبرقع) للدلالة على ما فيه أكثر من لون.

ثرمل

الثرْمَلَةُ: البقية من تمر وغيره وبقيت ثرْمَلَةٌ في الإناء، أي بقية من بُرٍّ أو شعير أو تمر^(٢) أما الصيغة الثلاثية فنجد فيها الثَّمَلَةُ: الحب والسويق والتمر في الوعاء يكون نصفه فما دون ذلك، والثَّمَلَةُ والثَّمِيلَةُ والثَّمَالَةُ: الماء القليل يبقى في أسفل الحوض والسقاء^(٣) فإذا كانت البنية الثلاثية تدل على بقية الشيء إذا كان نصفه فما دون، فإن البنية الرباعية تدل على بقية مطلقة.

جرفس

الجِرْفَاسُ والجِرْفَاسُ من الإبل: الغليظ العظيم، وقيل العظيم الرأس، والجِرْفَاسُ والجِرْفَاسُ: الضخم الشديد من الرجال وكذلك الجِرْتَفَسُ^(٤) وفي الثلاثي يقال: فلان جِفْسٌ وجِفْسٌ أي ضخم جاف والجفاسة: الاتِّخَامُ^(٥) ففي البنية الرباعية زيادة معنى ومبالغة، لذا أطلق على الأسد الهصور: الجِرْفَاسُ والجِرْفَاسُ.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ج ١٥، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ٨، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق، ج ١١، ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق، ج ١١، ص ٩١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٩٩.

(٥) المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٩.

جرهم

وجمل جُراهم: ضَخَمَ، وجمل جُراهم وناقَة جُراهِمة أي ضَخَمَة^(١) والجَهم من الوجوه الغليظ المجتمع... ورجل جهَم الوجه وجَهمُه: غليظه^(٢) فانتقل المعنى بزيادة الراء من ضخامة الوجه إلى ضخامة الجسم كله.

حرمس

أرض حرماس: صلبة شديدة... وسنون حرامس أي شداد مجدبة، والحمارس: الشديد^(٣) وفي الثلاثي: حمس الشر: اشتد... والحميس: التتور... وعام أحمسُ وسنة حمساء: شديدة، والأحامسُ: الأرضون التي ليس بها كلاً ولا مرتع... والأحمس: المكان الصلب... وأرضون أحامس: جذبة^(٤) والصلابة والشدة والجذب كلها معانٍ تحتل المبالغة والتزيد فيها.

خذرف

الخذرفة: ما ترمي الإبل بأخفافها من الحصى إذا أسرع^(٥) والمعنى قريب جداً في الصيغة الثلاثية، فالخذفُ رميُّك بحصاة أو نواة تأخذها بين

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ج ١٥، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١٢، ص ٩٧.

(٢) المصدر السابق، ج ١٢، ص ١١٠-١١١.

(٣) المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٩، ٥٨.

(٤) المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٩٥.

(٥) المصدر السابق، ج ٩، ص ٦٢.

سبابتيك، أو تجعلُ مَحْدَفَةً من خشب ترمي بها بين الإبهام والسبابة، وَخَذَفَ بالشيء يَحْذِفُ حَذْفًا: رمى، وخصَّ بعضهم به الحصى... والمَحْدَفَةُ: المقلاع وشيء يرمى به^(١) والتشابه بين هذا المعنى الأخير ومعنى الخدروف بزيادة الراء واضح، فالخدروف: عُوَيْدٌ مشقوق في وسطه يشد بخيط ويمد فيسمع له حنين، وهو لعبة للصبيان^(٢) وإذا ما نظرنا في معنى الخدرفة (ما ترمي الإبل بأخفافها من الحصى) تلمسنا فيه الكثرة، فالمعنى هنا ليس مبنياً على رمي حصاة واحدة، بل مبني على تناثر حصى تتطاير من أخفاف الإبل، وكذلك الخدروف (لعبة الصبيان) فهو كالألة لرمي الحصى، وما يصير الشيء آلة للفعل إلا إذا كثر الفعل بوساطته.

خربق

قال ابن الأعرابي يقال للمرأة الطويلة العظيمة خرباق... وجدّ في خرباق أي في ضَرْطٍ ورجل خرباق: كثير الضراط^(٣) والصيغة الثلاثية تؤدي هذين المعنيين فالخَبِق: الطويل من الرجال، وفي الصحاح: طويل ولم يخصص... والخَبِق: صوت الحياء عند الجماع، وامرأة خَبِق: يسمع منها ذلك... ويقال خَبِقَ وخَبِقَ: إذا ضُرط^(٤) والمبالغة بيّنة في قول المعجميين عند تفسير البنية الرباعية: (كثير الضراط) و(الطويلة العظيمة).

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ج ١٥، دار صادر،

ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ٩، ص ٦١.

(٢) المصدر السابق، ج ٩، ص ٦٢.

(٣) المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٨.

(٤) المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧٢.

خرطم

الخرطوم: الأنف، وقيل: مقدّم الأنف^(١) والثلاثي منه خطم والخطم من كل طائر منقاره... والخطم من كل دابة: مقدم أنفها... وخطم الإنسان ومخطمه: أنفه^(٢).

فالمعنى بين الثلاثي والرباعي واحد، وإن دل الثلاثي على منقار الطائر، فالمنقار للطائر هو نظير الأنف للإنسان في الشكل والمكان، وعلى الرغم من أن بعض العلماء قد أدرك أن الرباعي (خرطوم) مأخوذ من الثلاثي (الخطم) إلا أنه لم يصرح بزيادة الراء، يقول أبو زيد: "الخرطوم والخطم: الأنف"^(٣).

ويبدو أن الأصل في (الخطم) هو مقدم الأنف، يؤيد هذا ما ذهب إليه ابن فارس من أن مادة (خ ط م) تدلّ "على تقدّم شيء في تنوّ يكون فيه"^(٤) وأدت زيادة الراء مع الواو زيادة في المعنى فصار الخرطوم يطلق على الأنف كله، يؤيد هذا تخصيص الخرطوم اليوم بأنف الفيل لما فيه من طول وضخامة وزيادة في الحجم عن بقية الخلائق.

خرفع

الخرفع والخرفع والخرفع بكسر الخاء وضم الفاء الأخيرة عن ابن جني: القطن، وقيل هو القطن الذي يفسد في براعمه، وقيل هو ثمر العُشْر وله جلدة

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ج ١٥، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١٢، ص ١٧٣.

(٢) المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٨٦.

(٣) المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٧٤.

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩٨.

رقيقة إذا انشقت عنه ظهر منه مثل القطن^(١) والصيغة الثلاثية تحمل معنى الضعف واللين والرقّة التي في القطن، خَفَعَ يَخْفَعُ خَفْعًا وَخُفُوعًا: ضعف من جوع أو مرض... وانخفضت كبده جوعًا تَنَتَّتْ وَرَقَّتْ واسترخت من الجوع... وكل من ضعف ورخم فقد انخفَع^(٢) فلما كان القطن مادة فيها زيادة ضعف ورقة زادوا الراء ليعبروا عن هذا المعنى.

خرمد

المُخرِمِد: المقيم في منزله عن كراع^(٣) وفي القاموس المحيط هو المُقِيمُ، والمُطَرِّقُ السَّاكِتُ^(٤)، وصيغته الثلاثية (خمد) تدل على سكون الحركة^(٥)، بل إن صيغة اسم الفاعل نفسها (المُخْمِد) تعني الساكن الساكت، قال لبيد^(٦):
(الكامل)

مثل الذي بالغيلِ يَغْزُو مُخْمِدًا يَزْدَادُ قُرْبًا دُونَهُ أَنْ يُوعَدَا

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ج ١٥، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ٨، ص ٧٠.

(٢) المصدر السابق، ج ٨، ص ٧٥-٧٦.

(٣) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٢.

(٤) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط ٨، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٢٧٩.

(٥) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، مصدر سابق ٢، ٢١٥.

(٦) لبيد ابن أبي ربيعة، ديوانه، شرح الطوسي، تحقيق حنا نصر الحتّي، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٦٣.

فإذا كانت الصيغة الثلاثية تدل على السكون، فإن الصيغة الرباعية تدل إقامة سكون وسكوت وإطراق.

خرمش.

الخرمشة إفساد الكتاب والعمل^(١) وفي البنية الثلاثية: الخمش: الخدش في الوجه وقد يستعمل في سائر الجسد^(٢) فالخمش خدش واحد، لكن الخرمشة خدوش كثيرة تؤدي إلى إفساد الكتاب في الجانب المادي، وإفساد العمل في الجانب المعنوي، وما زلنا اليوم نستعمل الفعل خرمش للدلالة على كثرة الخدوش.

خطرف

جمل خطروف: يُخطرف خطوه ويتخطرف في مشيه: يجعل خطوتين خطوة من وساعته وكذلك خطرف^(٣) ونجد في المدخل الثلاثي (خطف): الخَيْطَفُ والخَيْطَفَى، وتعنيان سرعة انجذاب السير كأنه يَخْتِطِفُ في مَشْيِهِ عُنُقَهُ، أي يجتذبه، وجمل خَيْطَفٌ: أي سريع المر^(٤) ونلاحظ المبالغة والزيادة في البنية الثلاثية، فالمعنى فيها مضاعف تماماً (يجعل خطوتين خطوة).

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١٢، ص ١١٠-١١١.

(٢) المصدر السابق، ج ١٢، ص ١١٠-١١١.

(٣) المصدر السابق، ج ٩، ص ٧٩.

(٤) المصدر السابق، ج ٩، ص ٧٩.

درفق

المُدرنَفَق: المسرع في سيره... ودرفق في مشيه: أسرع، وادرنفت الناقة إذا مضت في السير فأسرفت وادرنفت: تقدّم^(١). والصيغة الثلاثية من هذا البناء تدل كذلك على السرعة، يقال: سار القوم سيرًا أدفق: أي سريعًا، وجمل دَفَق: سريع يندفق في مشيه^(٢). ومن الصيغة الرباعية تولدت صيغة أخرى هي اذرنَفَق^(٣) ولا شك أنها مسؤولة عن نشوء صيغة رباعية ثالثة هي زرفق، فالزرفقة: السرعة، وسير مُزرنَفَق وبغير مزرنفق: سريع^(٤).

زغرد

الزَّغَرْدَةُ: هدير يُرَدِّدُه الفحل في حلقة^(٥) والصيغة الثلاثية تؤدي المعنى نفسه، زغَدَ البعير زَغْدًا: هدر هديرًا كأنه يعصره أو يقلقه، وهو على ما يرى ابن منظور مأخوذ من زغَدَ السقاء إذا عصره حتى تخرج الزبدة من فمه وقد تضايق بها^(٦) وهو معنى قابل للمبالغة والزيادة، فكلما علا صوت البعير كانت كانت الراء أنسب.

وفي اللهجات العامية اليوم يقولون: زَغْرودة أو زُغْرودة، وهو صوت تصدره المرأة بتحريك لسانها، وذلك في مناسبات الفرح.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٩٦.

(٢) المصدر السابق، ج ١٠، ص ٩٩.

(٣) المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٠٩.

(٤) المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٤٢.

(٥) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٥.

(٦) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٤.

سبرت

السَّبْرُوت: الغلام الأمرد، والسَّبْرُوت: الأرض الصفصف... والقفقر
والسبروت: القاع لا نبات فيه^(١) والثلاثي منه (سبت) ومن معاني السَّبْت الجلد
المذبوغ... ويقال: سَبَيْتُهُ: لا شعر عليها، والسَّبَيْت: الحَلَقُ، وفي الصحاح:
حلق الرأس... والسَّبْتَاء من الأرض كالصحراء، وقيل: أرض سبتاء: لا شجر
فيها^(٢) فالمعنى متطابق بين الصيغتين الثلاثية والرباعية، لكنه معنى قابل
للمبالغة، فزيادة الراء تؤدي معنى إضافياً فالغلام الأمرد لا شعر في وجهه
مطلقاً، وهذا أبلغ من الحليق، والصَّفْصَفُ أبلغ من أرض لا نبات فيها.

سرمد

السَّرْمَدُ: دوام الزمان من ليل أو نهار، وليل سَرْمَدٌ: طويل، وقال
الزجاج: السَّرْمَدُ: الدائم في اللغة^(٣) وفي الأصل الثلاثي (سمد) نجد أن السَّمَدَ
من السير الدَّأْب، والسَّمَد: السير الدائم... وسَمَدَ: ثبت في الأرض ودام عليه
وهو لك أبداً سَمَدًا سَرْمَدًا^(٤) والمعنى واحد في الصيغتين، والزمان من الأشياء
الأشياء التي يبالغ في ديمومتها فربما كانت زيادة الراء لإحداث هذه المبالغة
في الديمومة والأبدية.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦-٣٨.

(٣) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٢.

(٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٩.

شمرق

ثوب مشمرق وشمارق كمشبرق وشبارق عن اللحياني، قال ابن سيده: وعندي إنه بدل وشمارق كشبارق^(١) وثوب مشبرق وشبارق وشبارق: مقطع ممزق^(٢) والصيغة الثلاثية تؤدي المعنى نفسه، فثوب شَمِق: مخرق^(٣). والتقطيع والتمزيق الذي تدل عليه البنية الرباعية أكثر وأعمق من الخرق الذي تدل عليه الصيغة الثلاثية.

صرق

نقل ابن منظور عن الأزهري: يقال: سمعتُ لرجله صَرْقَةً وَفَرْقَةً بمعنى واحد^(٤) والفرقة: الصَوْتُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ يُضْرَبَانِ^(٥) والصيغة المجردة (صقع) تدل على الصوت، فالصَّقْع: رفعُ الصوت، وصقع بصوته يصقَع صَقْعًا وَصُقَاعًا: رفعه، وصَقْع الديك: صوته^(٦) ولم تذكر المعاجم العربية غير غير هذا القول "سمعت لرجله..." شاهدًا على الصرقعة، بل إنه لم يرد من الرباعي (صرق) غير هذه الكلمة، لذا فالراجح أن الأصل هي الصيغة الثلاثية (صقع) الدالة على الصوت، وزيدت الراء للمبالغة في التعبير عن التصويت، إذ الصرقعة فيها صوت متكرر يناسبه التكرار الذي في الراء.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١٠، ص ١٨٦.

(٢) المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٧٤.

(٣) المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٨٦.

(٤) المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٠٠.

(٥) المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥١.

(٦) المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٠٣.

صمرد

والصَّمارِيدُ: الأَرْضُون الصَّلَاب. وبئرٌ صِمْرِدٌ: قليلة الماء^(١) ويقال شاة صِمْرِدٌ: قليلة اللبن^(٢) وناقاة صِمْرِدٌ: يابسة الأخلاف قليلة اللبن^(٣). فالمعنى العام يدل على الصلابة واليبس والجفاف، وهذا متفق تمامًا مع ما جاء في الأصل الثلاثي (صمد) فالصَّمَدُ: المكان الغليظ المرتفع من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلًا، وجمعه أصماد وصمود، قال أبو النجم^(٤): (الرجز)

يغادرُ الصَّمَدَ كَظْهَرِ الْأَجْزَلِ

والمصَّمَدُ: الصلب الذي ليس فيه خور... وقال أبو عمرو: الصَّمَدُ: الشديد من الأرض^(٥). وفي معجم ديوان الأدب الصَّمَدُ: المكان المرتفع الغليظ، قال ذو الرمة^(٦):

على ظْهَرِ صَمَدٍ بَغْشَةٍ لَمْ تَسِيلِ

-
- (١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٥٩.
- (٢) ابن دريد، محمد بن الحسن (٣٢١هـ/٩٣٣م)، جمهرة اللغة، ج ٣، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٤٩٧.
- (٣) المصدر السابق، ٢، ١١٤٧.
- (٤) أبو النجم العجلي (١٣٠هـ/٧٨٤م) ديوانه، تحقيق محمد أديب جمران، مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٦م، ص ٣٤٩.
- (٥) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٥٩.
- (٦) الفارابي، إسحاق بن إبراهيم (٣٥٠هـ/٩٦١م)، معجم ديوان الأدب، ج ٤، تحقيق أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ١٠٣. والبيت في: ذي الرمة، غيلان (١١٧هـ/٧٣٥م)، ديوانه، اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٢٢٥ وصدر البيت:
- رَشِيفَ الْهَجَانِينَ الصَّقَا رُقِرَقَتْ بِهِ

وجعل ابن فارس مادة (صمد) أصلين أحدهما الصلابة في الشيء^(١) وهذا متفق مع الأراضي الصلبة (الصماريد) ومع الناقة أو الشاة قليلة اللبن يابسة الضرع (صيمرد) ومع البئر قليلة الماء (صيمرد) لأنه كلما قل ماؤها اقتربت من الجفاف واليبس والصلابة، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الصّاغاني (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) من أن الميم أصلية ردًا على الجوهري (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) الذي رآها حرفاً زائداً وأن الأصل (صرد)^(٢).

وأمر اليبس والصلابة أمر قابل للتفاوت والزيادة والمبالغة فجاءت الراء لتعبر عن هذا المعنى.

طرخم:

"اطرخم الرجل: أي شمخ بأنفه وتعظم اطرخمًا، واطرخم الرجل وهو عظمة الأحمق... الأصمعي: إنه لمطرخم ومطلخم أي متكبر"^(٣) والثلاثي منه طخم، ويقال: طخم الرجل وطخم: تكبر^(٤) وتشابه المعنى واضح بين الصيغتين الثلاثية والرباعية، ولا نعدم معنى إضافياً في الرباعي فالتكبر فيه لا يخلو من مبالغة ورفع للأنف، أو أنه تكبر من أحمق لا يملك مقومات

(١) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٠٩.

(٢) الزبيدي، محمد (١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، تاج العروس، ٤٠ ج، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الهداية، ج ٨، ص ٢٩٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١، ص ٢، ٣٦١، ٣٦٢.

(٤) المصدر السابق، ج ١٢، ص ٣٦٠.

التكبر لذا يبدو شموخه مبالغاً فيه، وعلى الرغم من تشابه المعنى إلا أن القدماء لم يعترفوا بزيادة الراء وعدوها حرفاً أصلياً، نستشف ذلك من قول الزبيدي في تصغير مُطَرَحِمٍ: "قَالَ شَيْخُنَا: وَجَمَعَهُ طَرَاخِمٌ، وَكَذَلِكَ يُصَغِّرُونَهُ عَلَى طَرِيخِمٍ، بِحَذْفِ زَائِدَيْهِمَا: المِيمُ الْأُولَى، وَالْمُدْغَمَةُ"^(١).

كما نلاحظ في كلام الأصمعي تولّد صيغة رباعية أخرى هي طَلَخَم وهي لا شك ناتجة عن التبادل الصوتي بين الراء واللام فهما حرفان لثويان مشتركان في المخرج.

طرمس

الطَّرْمِسَ والطَّرْمِسَاء، ممدودة: الظلمة... وطَّرْمَسَ اللَّيْلَ وطَّرْسَمَ: أَظْلَمَ^(٢) وفي الصيغة الثلاثية طَمَسَ الطريقَ وطَسَمَ يَطْمِسُ طُمُوسًا: درسَ وَاْمَحَى أثره... وروى عن أبي زيد: طَمَسَ الرَّجُلُ الْكِتَابَ طُمُوسًا إذا درسه^(٣) ونلاحظ أن كلا الصيغتين تحمل معنى الطمس والإزالة، والليل أشد طمسًا وستراً للأشياء.

عركس

"عَرَكَسْتُ الشَّيْءَ: إِذَا جَمَعْتَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ"^(٤) وفي البنية الثلاثية نجد: "عَكَسَ الشَّيْءَ... رَدَّ آخِرَهُ عَلَى أَوَّلِهِ"^(٥) فالعكس شيء واحد منظم، هو

(١) الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج٣، ص٣، ١٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٦، ص١٢٢.

(٣) المصدر السابق، ج٦، ص١٢٦.

(٤) المصدر السابق، ج٦، ص١٣٨.

(٥) المصدر السابق، ج٦، ص١٤٤.

رد آخر الشيء على أوله، أمّا العَرَكْسَة فتجميع للشيء فوق بعضه، فالمعنى الأخير فيه زيادة وكثرة، واليوم نقول: تعركست الأمور إذا تعقدت ولم تسر كما يُراد لها.

عرمس

العَرْمَسُ: الصخرة والعَرْمَسُ: الناقة الصلبة الشديدة وهو منه، شبهت بالصخرة^(١) وفي الصيغة الثلاثية نجد: حربٌ عَمَاسٌ شديدة، وكذلك ليلة عَمَاس، ويوم عَمَاس: مظلّم... وأمر عَمَسٌ وعَمَوس وعَمَاس ومُعَمَس: شديد مظلّم^(٢) فكلا الصيغتين فيها معنى الشدة، وفي البنية الرباعية زيادة في المعنى إذ أطلق على الصخرة والناقة الصلبة الشديدة، وهذه أشياء نلمس فيها الشدّة والصلابة فهي أعيان، أما البنية الثلاثية فهي في المعنويات (الليل والحرب) فالمعنى يكون فيها أقل ظهوراً.

عكرد

غلام عَكْرُد وعُكروود وعُكْرِد: سمين، وقد عكردَ الغلام والبعير يُعكِرِدُ عَكْرِدَة إذا سمن^(٣).

وفي البناء الثلاثي (عكد) نجد: عَكِدَ الضبُّ يعكِدُ عَكْدًا فهو عَكِد... سمين وصلب لحمه... ناقة عَكِدَة: سميّنة^(٤). فالمعنى واحد في البنائين، وفطن

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٦، ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق، ج٦، ص١٤٧.

(٣) المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٠.

(٤) المصدر السابق، ج٣، ص٣٠٠.

الأصبهاني إلى الزيادة في هذا البناء الرباعي (عكرد) لكنه لم يجزم ما إذا كانت الدال هي الزائدة أم الرءاء^(١). والسّمّن ليس واحداً، بل يتفاوت من جسم إلى جسم.

عكرش

العِكرشُ: نبات شبه الثيل خشنٌ أشدَّ خشونة من الثيل تأكله الأرنب... وسميت أنثى الأرنب عِكرشة لكثرة وبرها والتفافه... والعِكرشة: التقبُّض^(٢) وفي الثلاثي نجد أن: عكش النبات والشعر وتعكّش: كثر والتف وشعر عكش ومتعكش إذا تلبّد، وشعر عكش الأطراف إذا كان جعداً... وشجرة عكِشة: كثيرة الفروع مُتَشَجِّنة^(٣). واليوم نقول: تعكرش الحبل وتعقرش إذا تعقد عقداً كثيرة وصعب حلّه.

غطرش

غطرش الليل بصره: أظلم عليه^(٤). والغَطَشُ في العين شبه العَمَش... والغَطَشُ: الضعف في البصر... والغَطاش: ظلمة الليل واختلاطه^(٥). نلاحظ

(١) انظر: الأصبهاني، محمد (١٥٨١هـ/١١٨٥م)، المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، ج٣، تحقيق عبدالكريم العزباوي، دار المدني، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٨٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٦، ص٣١٩-٣٢٠.

(٣) المصدر السابق، ج٦، ص٣١٩.

(٤) المصدر السابق، ج٦، ص٣٢٥.

(٥) المصدر السابق، ج٦، ص٣٢٤.

أن البنية الثلاثية تدل على ضعف البصر، لكن البنية الرباعية تدل على انعدامها. والفعل غطرش ومصدره غطرشة ما زال مستعملاً في لهجاتنا العامية بمعنى غطى على الموضوع أو أهمله.

فرش

"فَرَشَ الرجلُ في صَلَاتِهِ، وَهُوَ أَنْ يُفَحِّجَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ جِدًّا وَهُوَ قَائِمٌ" (١) وفي البنية الثلاثية نجد "فَشَحَ وَفَشَحَ وَفَشَّحَ إِذَا فَرَّجَ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، بِالْحَاءِ وَالْجِيمِ" (٢) فزيادة الراء اكتسبت البنية زيادة في المعنى عبر عنها ابن منظور بقوله (جِدًّا).

فرشط

فرشطت الناقة: إِذَا تَفَحَّجَتْ لِلْحَلَبِ... والفرشطة: أَنْ تَفَرِّجَ رِجْلَيْكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا (٣) ونجد في الصيغة الثلاثية (فشط) انفشط العود: انفضخ ولا يكون إلا في الرطب (٤) فإذا كان الفشط أو الانفشط يكون في الشيء الرطب كما ذكر أغلب العلماء (٥) فإن الفرشطة بزيادة الراء صارت صالحة لغير الرطب،

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٤٢.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٤٤.

(٣) المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٧١.

(٤) المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٧٢.

(٥) انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨١٦، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج ٨، ص ٢٠، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٨١، والزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٥٤٤.

وغير الرطب يحتاج قوة أكبر وفيه شدة وزيادة، كما إن تفحيج الرجلين أكبر من انفضاخ العود، فأدت الراء هذا المعنى الإضافي.

فرطس

روت المعاجم أنَّ فرطيسة الخنزير وفنطيسته هي خطمه، وأنف فرطاس: عريض. والفتس: عرض قصبة الأنف... وقيل الفتس بالتحريك: انخفاض قصبة الأنف وتطامنهما وانتشارها... والفتيسة والفنطيسة والفرطيسة: خطم الخنزير^(١) ويبدو أن الراء زيدت عند الدلالة على أنف الخنزير وذلك للزيادة في عرضه.

قرفط

أقرنفت: تقبض... وأقرنفت العنز إذا جمعت قطريها عند السفاد لأن ذلك الموضع يوجعها^(٢) وفي البنية الثلاثية (قفت) وقفت الطائر الأنثى: سفدها... ابن شميل: القفت: شدة لحاق الرجل المرأة أي شدة احتفازه... والتيس يفتفت إليها ويقنفتها إذا ضم مؤخره إليها^(٣). والمبالغة في الصيغة الرباعية واضحة.

واليوم نقول في العامية: شعره مقرفط، بمعنى ملتف بعضه على بعض.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ٦، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٧٦.

(٣) المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٨٤-٣٨٥.

قرمط

قَرَمَطَ فِي خَطْوِهِ: إِذَا قَارَبَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ... وَالْقَرَمَطَةُ: الْمَقَارِبَةُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ... وَقَرَمَطَ الْبَعِيرُ: إِذَا قَارَبَ خُطَاهُ^(١) وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: قَرَمَطَ الْكَاتِبُ: إِذَا قَارَبَ بَيْنَ كِتَابَتِهِ. وَقَرَمَطَ الْبَعِيرُ: إِذَا قَارَبَ خُطَاهُ^(٢) وَمَادَّةُ (قَمَطُ) الثَّلَاثِيَّةُ تَدُلُّ فِي عَمُومٍ مَعْنَاهَا عَلَى التَّقْرِيبِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، فَالْقَمَطُ: شَدُّ كَشْدِ الصَّبِيِّ فِي الْمَهْدِ... وَقَمَطَ الْأَسِيرُ: إِذَا جُمِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ^(٣) وَالْقِمَاطُ: حَبْلٌ يُشَدُّ بِهِ قَوَائِمُ الشَّاةِ عِنْدَ الذَّبْحِ، وَكَذَلِكَ مَا يُشَدُّ بِهِ الصَّبِيُّ فِي الْمَهْدِ^(٤) وَقَالَ ابْنُ فَارَسٍ: الْكَافُ وَالْمِيمُ وَالطَّاءُ أُصِيلٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَجْمَعُ^(٥).

قرهب

وَالْقَرْهَبُ مِنَ الثَّيْرَانِ: الْمُسَنَّ... الْأَزْهَرِيُّ: الْقَرْهَبُ وَالْقَلْهَبُ وَهُوَ التَّيْسُ الْمُسَنَّ، وَأَحْسَبُ الْقَرْهَبَ الْمُسَنَّ فَعَمَّ بِهِ لَفْظًا^(٦) وَالثَّلَاثِي قَهَبٌ وَمِنْهُ الْقَهَبُ: الْمُسَنَّ... وَيُقَالُ لِلشَّيْخِ إِذَا أَسَنَّ قَحَبٌ وَقَهَبٌ^(٧) فَالْصِّيغَتَانِ مُتَحَدَتَانِ فِي الدَّلَالَةِ

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٧، ص٣٧٧.

(٢) الأزهرى، أبو منصور (٣٧٠هـ/٩٨٠م)، تهذيب اللغة، ج٨، تحقيق محمد عوض

مرعب، دار إحياء التراث، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ج٩، ص٣٠٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق ج٧، ص٣٥٠.

(٤) الجوهرى، الصحاح، مصدر سابق، ج٣، ص١١٥٤.

(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج٥، ص٢٧.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١، ص٦٧١.

(٧) المصدر السابق، ج١، ص٦٩١.

والسنّ من الأشياء غير الثابتة فالمسنيات من الدواب مثلاً تتفاوت فربما كانت زيادة الراء للمبالغة في كبر السن، فتولد عن الصيغة الثلاثية (قهب) صيغة رباعية (قرهب) للمبالغة. وأزعم أن قهب في الأصل للدلالة على اللون وليس العمر، وإلى هذا ذهب ابن فارس في المقاييس "الْقَافُ وَالْهَاءُ وَالْبَاءُ أَصِيلٌ يَدُلُّ عَلَى لَوْنٍ مِنَ اللَّوَانِ. يَقُولُونَ: الْقُهْبَةُ: بَيَاضٌ تَعْلُوهُ حُمْرَةٌ"^(١) وعلى هذا يرد المعنى الأول في معظم معجمات اللغة، فالقهب فيها الأبيض من أولاد المعز والبقر ونحوها^(٢) أمّا المسنّ من الحيوان والإنسان فأرى أنه القحب التي تدل في أصلها على سُعال الحيوان أو الإنسان^(٣) وصرح الخليل بن أحمد بأنه سُعال الشيخ^(٤) فانتقلت دلالتها من سُعال المسنّ إلى المسنّ نفسه، ثم أبدلت الحاء هاء، فكلاهما صوت حلقي تسمح قوانين اللغة بالتبادل بينهما، فصارت (قهب) وللزيادة في المعنى والمبالغة فيه زيدت الراء فنتجت الصيغة الرباعية (قرهب).

كرثاً

الكرثثة رُغوة المَخْض إذا حُلِب عليه لبن شاة فارتفع، وتكرثاً السحاب تراكم^(٥) وكرثاً شعر الرجل: كثر والتف^(٦) والثلاثي منه كثأ وكثأت القدر:

-
- (١) ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق ج ٥، ص ٣٤.
 (٢) انظر: الفراهيدي، العين، ج ٣، ص ٣٧١، وابن دريد، جمهرة اللغة، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٧٦، والجوهري، الصحاح، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٧، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٢٩.
 (٣) انظر ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج ٥، ص ٦٢.
 (٤) انظر: الفراهيدي، العين، مصدر سابق، ج ٣، ص ٥٣.
 (٥) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٧.
 (٦) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج ٧، ص ١٢٩.

أزبدت للغلي، وكَثَّأَتْهَا: زَبَدُهَا... وهو ما ارتفع منها بعد الغلي وكَثَّأَ اللبن: طُغَاوَتُهُ فوق الماء، وقيل: هو أن يعلو وسمُّه وخنثورته رأسه^(١) فمعنى الصيغتين يدل على شيء واحد وهو التجمع والتراكم كما إنهما يشتركان في الدلالة على الرغبة. وقد تسببت الصيغة الرباعية في توليد صيغة جديدة عن طريق إبدال الثاء فاء فنتجت تكرّفاً وهي في المعنى نفسه^(٢). وإبدال الثاء فاء أمر معروف في العربية كما في الجذث والجدف والثوم والفوم، لذا أرى أن سيبويه قد فطن لذلك عندما عدّ كَرثاً وما يشتق منه ثلاثياً وليس من الرباعي^(٣) وفي الصيغة الرباعية معنى الكثرة والزيادة وتراكم ما وقع له الفعل فوق بعضه.

كردن

الكَرْدَيْن: الفأس العظيمة لها رأس واحد وهو الْكَرْدُنُ أَيْضاً^(٤) والثلاثي كدن والكِذْن: شيء من جلود يُدَقُّ به كالهون^(٥) والهاون والفأس ينطلقان من محور دلالي واحد فكلاهما له ذراع وكلاهما يضرب به الشيء، وزيادة الراء دلت على زيادة في المعنى فالكَرْدُنُ ليس بأي فأس، وإنما هي الفأس العظيمة.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٦.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٧.

(٣) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج ٧، ص ١٦٩، والزبيدي، تاج

العروس، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨٥.

(٤) المصدر السابق، ج ١٣، ص ٣٥٧.

(٥) المصدر السابق، ج ١٣، ص ٣٥٦.

كرزم

رجل مُكْرَزَم: قصير مجتمع^(١) والثلاثي منه كزم، والكَزَمُ في الأذن والأنف والشفة واللحي واليد والفم والقدم: التقلص والاجتماع^(٢). فالمعنى متطابق تمامًا بين الصيغتين، إلا أنَّ زيادة الراء منحتة معنى إضافيًا فبعدما كان يطلق على جزء من جسم الانسان صار يطلق على جسمه كله وفي هذا مبالغة وتكثير، قال الليث: "الكَزَمُ: قَصَرَ في الأنفِ قَبِيحٌ، وقَصَرَ في الأصابع شديداً، تقول: أنفٌ أَكْزَمُ، ويدٌ كَزَمَاءُ"^(٣).

وكما تشابها في هذا المعنى تشابها في معنى آخر قال أبو بكر الأنباري: "الكَزَمُ: شدة الأكل من قولهم: كَزَمَ الرجل الشيء يكزمه"^(٤) وقال الزبيدي: "الْكُرْزُمُ: كثير الأكل"^(٥) والمبالغة واضحة في قول الزبيدي في الصيغة الرباعية.

كرشم

الْكُرْشوم: القبيح الوجه^(٦) والثلاثي منه كشم والكَشَمُ: نقصان الخلق والحسب، والأكشم: الناقص الخلق^(٧) وذكر الخليل أن "الكَشْمُ والجَدْعُ اسمان

(١) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق، ج٧، ص١٦٩، والزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج١٢، ص٥١٦.

(٢) المصدر السابق، ج١٢، ص٥١٨.

(٣) الأزهري، تهذيب اللغة، مصدر سابق، ج١٠، ص٦١.

(٤) الأنباري، محمد بن القاسم (٣٢٨هـ/٩٤٠م)، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج٢، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٤٨٥.

(٥) الزبيدي، تاج العروس، مصدر سابق، ج٣٣، ص٣٥٤.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٢، ص٥١٧.

(٧) المصدر السابق، ج١٢، ص٥١٨.

في قطع الأنف^(١) فالمعنى متقارب بين الصيغتين بل يكادان يتطابقان فنقص الخلق هو قبح، وأدت زيادة الراء معنى جديداً هو تعميم الدلالة من قبح ناتج عن جدع الأنف إلى القبح العام في الوجه.

كرنف

الكرناف والكرناف: أصول الكَرَب التي تبقى في جذع السعف...
الكرُناف، والكرنافة والكرنوفة: أصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة، والمكرُنف: الذي يلقط التمر من أصول الكرائيف^(٢)؛ فالمعنى يدل على الالتصاق والتجاور الشديد، والصيغة الثلاثية (كنف) تدل على هذا المعنى، فالكَنَفُ ناحية الشيء، وتكَنَّفَ الشيء واكتنفه: صار حواليه... وناقاة كنوف: هي التي إذا أصابها البرد اكتنفت في أكناف الإبل تستتر بها من البرد^(٣) ونحن نلاحظ بجلاء أن الالتصاق في الصيغة الرباعية أشد فهو التصاق حقيقي، أما في الصيغة الثلاثية فهو التصاق مجازي أي هو تجاور تام وليس التصاقاً، لذا كانت الصيغة الرباعية أشد وأقوى، فأدت زيادة الراء هذا المعنى.

هردم

الهرْدَمَة: العجوز، وعن كراع كالهردبة^(٤) والثلاثي منه (هدم) والهِدْم: الشيخ الذي قد انحطم مثل الهم والعجوز المتهدمة: الفانية الهرمة^(٥) وكبر

(١) الفراهيدي، العين، مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٩، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٣) المصدر السابق، ج ٩، ص ٣٠٧.

(٤) المصدر السابق، ج ١٢، ص ٦٠٨.

(٥) المصدر السابق، ج ١٢، ص ٦٠٥.

السنّ والهرم من الموضوعات النسبية القابلة للمبالغة، فليس من المستبعد أنهم بالغوا في وصف العجوز (الهدم) بزيادة الراء فقالوا: هرّدم، ثم هرّدم بتضعيف الميم للزيادة في المبالغة.

وأثبت هنا جدولاً بالألفاظ الواردة في البحث ومعانيها العامة ووصف بنيته:

اللفظ	المعنى	وصف البنية
برتك	قطع	فعل
البرجد	الكساء الغليظ	صفة
البرشع والبرشاع	سيء الخلق	صفة
المبرقة	الشاة بيضاء الرأس	صفة
الثرملة	البقية من التمر	اسم ذات
جراهم	ضخم	صفة
الخرطوم	الأنف	اسم ذات
الجرفاس والجرفاس	الغليظ العظيم	صفة
الحرماس	الصلب الشديد	صفة

الخَذْرَفَة	ما ترمي الإبل من الحصى بأخفافها	اسم ذات
الخِرْبَاق	المرأة العظيمة الطويلة	صفة
الخُرْفَع	القطن	اسم ذات
المخرمد	المقيم في منزله	صفة
الخَرْمَشَة	إفساد الكتاب	مصدر
خُطُروف	يجعل الخطوتين خطوة (سريع)	صفة
المُذْرَنْفَق	المسرّع	صفة
الزغردة	هدير الإبل	اسم
السُّبُروت	الغلام الأمرد	صفة
سرمد	طويل	صفة
شُمارق وشُبَّارِق	ممزق	صفة
الصَّرْقَعَة	صوت ضرب شيئين	اسم
الصماريد	الأرضون الصّلاب	صفة

اطرخمَ	شمخ بأنفه	فعل
الطَّرمس والطَّرمساء	الظلمة	اسم
عركسَ الشيء	جمعه بعضه فوق بعض	فعل
العِرمس	الناقة الصلبة	صفة
عُكْرُد	سمين	صفة
العكرش	نبات	اسم
غطرشَ	أظلم	فعل
فرشخَ	فتح بين رجليه	فعل
فرشطت الناقة	تفحّجت للحلب	فعل
الفرطاس	العريض	صفة
اقرنُفطَ	تقبَّضَ	فعل
قرمط	قارب بين قدميه	فعل
القرهَب	المُسَنّ	صفة

الكرثة	رغوة الحليب	اسم
الكردين	الفأس العظيمة	صفة
مُكرزم	قصير	صفة
الكرشوم	القبیح الوجه	صفة
الكرناف	أصول النخل	اسم
الهردمّة	العجوز	اسم

ومما سبق يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

أولاً: تُسهم الرّاءُ في تربيع الفعل الرباعي بشكل كبير، فقد كانت أكثرَ حرفٍ يُزاد على الثلاثي عند ابن فارس، إذ بلغت الكلمات الرباعيّة المزيّدة بالراء عنده خمساً وثلاثين كلمة^(١).

ثانياً: تؤدي زيادة الراء على البنية الثلاثية أثراً في المعنى، هو المبالغة والتكثير، وهذه الزيادة غالباً ما تكون في بنى دالة على الوصفية كما هو ظاهر في الجدول السابق؛ إذ كانت الألفاظ الدالة على الوصفية أكثر من النصف، وهذا له ما يفسره، فالأوصاف أمر قابل للتزيّد والمبالغة والتكثير.

(١) الصاعدي، عبدالرزاق، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، مرجع سابق، ص ٢٠١.

ثالثاً: غالباً ما تزداد الراء لتأدية معنى المبالغة في الموقع الثاني من البنية الرباعية، فقد زيدت في هذا الموضع في خمس وثلاثين كلمة، وزيدت في الموقع الثالث في ست كلمات فقط.

رابعاً: لم أعر على بنى رباعية نشأت بزيادة الراء في الموقع الأول.

المصادر والمراجع

- الأزهرى، أبو منصور (٣٧٠هـ/٩٨٠م)، تهذيب اللغة، ج٨، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.
- الأصبهاني، محمد (٥٨١هـ/١١٨٥م)، المجموع المغيـث في غريب القرآن والحديث، ج٣، تحقيق عبدالكريم العزباوي، دار المدني، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨م.
- الأنباري، أبو البركات (٥٧٧هـ/١١٨١م)، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج٢، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر. د.ت.
- الأنباري، محمد بن القاسم (٣٢٨هـ/٩٤٠م)، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج٢، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن جني، أبو الفتح (٣٩٢هـ/١٠٠١م)، المنصف شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، دار إحياء التراث القديم، ١٩٥٤م.
- ابن جني، عثمان (٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، الخصائص، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، القاهرة، د.ت.
- حسان، تمام، (١٤٣٣هـ/٢٠١١م)، مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء، ط٢، المغرب، ١٩٧٤م.
- ابن دريد، محمد بن الحسن (٣٢١هـ/٩٣٣م)، جمهرة اللغة، ج٣، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.
- ذو الرمة، غيلان (١١٧هـ/٧٣٥م)، ديوانه، اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط١، بيروت، ٢٠٠٦م.

- الزبيدي، محمد (١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، تاج العروس، ج٤٠، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الهداية، د.ت.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السريّ (٣١٦هـ/٩٢٨م)، الأصول في النحو، تحقيق عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، د.ت.
- سيبويه، عثمان بن قنبر (١٨٠هـ/٧٩٦م)، الكتاب، ج٥، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، المحكم والمحيط الأعظم، ج١١، تحقيق عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الشايب، فوزي، الإلحاق في اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، ١٩٧٢م.
- الشدياق، أحمد فارس (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م)، سر الليال في القلب والإبدال، المطبعة السلطانية بالآستانة، ١٢٨٤هـ.
- الصاعدي، عبدالرزاق، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، ج٢، عمادة البحث العلمي، ط١، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٢م.
- الصاعدي، عبدالرزاق، حروف الزيادة اللغوية الأحفورية، جريدة المدينة، الجمعة ٣٠/١١/٢٠١٢م، صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة المدينة للنشر، المملكة العربية السعودية.

- عباسي، أديب، أصول الفعل الرباعي، المقتطف، مجلد ٩٧، ١٩٤٠م.
- ابن عصفور، علي بن مؤمن (٦٦٩هـ/١٢٧٠م)، الممتع الكبير في التصريف، ج٢، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط٤، بيروت، ١٩٧٩م.
- العلايلي، عبدالله، مقدمة لدرس لغة العرب، المطبعة المصرية، د.ت.
- عمايرة، إسماعيل (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، معالم دراسة في الصرف، الأقيسة الفعلية المهجورة، دراسة لغوية تأصيلية، دار الحنين، ط٢، عمان، ١٩٩٣م.
- الفارابي، إسحاق بن إبراهيم (٣٥٠هـ/٩٦١م)، معجم ديوان الأدب، ج٤، تحقيق أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ابن فارس، أحمد (٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، مقاييس اللغة، ج٦، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠هـ/٧٨٦م)، العين، ج٨، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ابن القوطية، محمد (٣٣٦هـ/٩٧٨م)، كتاب الأفعال، تحقيق علي فوده، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣م.

- كامل، مراد، تربيع الفعل الثلاثي في العربية وأخواتها من اللغات السامية، ص ٧٣ وما بعدها، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٣١، ١٩٧٣م.
- كراع النمل، علي بن الحسن الهنائي (٣٠٩هـ/٩٢١م)، المنتخب من غريب كلام العرب، ج ٢، تحقيق محمد العمري، جامعة أم القرى، ١٩٨٩م.
- الكنتوري، كرامت، مقدمة من فقه اللسان، مطبعة لوكنشوربريس، لكنهو، الهند، ١٩١٥م.
- لبيد ابن أبي ربيعه، ديوانه، شرح الطوسي، تحقيق حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م.
- المبرد، محمد أبو العباس (٢٨٥هـ/٨٩٨م)، المقتضب، ج ٤، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- معاينة، ريم، بنى الأفعال العربية في معاجم الأفعال، دراسة صوتية صرفية، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٨م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ—/١٣١١م)، لسان العرب، ج ١٥، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ميهوبي، الشريف، دراسة في التطور والتأصيل، تطور الفعل الرباعي في العربية ولهجاتها مقارنة بأخواتها الساميات، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ٢٠٠٢م.
- أبو النجم العجلي (١٣٠هـ/٧٨٤م)، ديوانه، تحقيق محمد أديب جمران، مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٦م.

- النحاس، مصطفى: مدخل إلى دراسة الصرف العربي في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، مكتبة الفلاح، ط١، الكويت، ١٩٨١ م.
- هنري فليش، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق عبدالصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، ط١، بيروت، ١٩٦٦ م.

- Ibḳ Alqūṭiyah, Moḥammad, kitāb Al'afaāl, (in arabic), edt. Ali fūdah, (Cairo, Maktabat Alkhākī, 1993) 2st
- Kurā> Annaml, Ali, Almontakhab, (in arabic), edt. moḥammad Al>umarī, (Makkah, Um Alqora unevirsety, 1989).
- Alkantūrī, Krāmt, Muqaddimah Fī fiqh Allisān, (in arabic), India, Lukinshūr Press, 1915).
- Labīd Ibn Abī Rabī>ah, Addīwān, (in arabic), edt. Ḥanna Naṣr Alḥattī, (Beirut, Dār Alkitāb Al>arabī, 1993) 1st
- Almubarrid, Moḥammad, Almoqtadib, (in arabic), edt. Moḥammad Abd Alkhāliq >udaymah, (Beirut, >ālam Alkutob).
- Ma>āyṭah, Rīm, Bina Al'af>āl Al>arabiyyah, (in arabic), (Amman, dār Azmenah, 2008)
- Ibn Mandūr, Moḥammad, Lisān Al>arab, (in arabic), (Beirut, Dār ṣāder, 1993).
- Mahyūbī, Aṣṣarīf, Dirāsah Fī Attaṭawwur Watta'ṣīl, (in arabic), (Algeria, Writers Union, 2002).
- Abu Annajm Al>ajalī, Addīwān, (in arabic), edt. Moḥammad Adīb Jamzān, (Damascus, A.L. Majma>, 2006).
- Anahās, Muṣṭafa, MadKhal Ila Dirāsah Aṣṣarf Al>arabī, (in arabic), (Kuwait, Maktabat Alfalāḥ, 1981) 1st
- Hinrī Flish, Al>arabiyah Alfūṣḥa, (in arabic), edt. Abd Aṣṣabūr šāhīn, (Beirut, catholic Press, 1966) 1st

- Alfayrūz 'ābādī, Moḥammad, Alqāmūs Almuḥīṭm (in arabic), edt. Editor office, (Beirut, Mu'assasat Arrisāalah, 2005) 8st
- Alfarāhīdī, Aḥmad, Alayn, (in arabic), edt. Maḥdī Almakhzūmī & Ibrāhīm Assāmirrā'y, (Beirut, Dār Wamaktabat Alhilāl).
- Ibn Fāris, Aḥmad, Maqayīs Allugah, (in arabic), edt. Abd Assalām Hārūn, (Beirut, Dār Alfīkr, 1979).
- Alfārābī, Ishāq, Muajam Dīwān Alaarab, (in arabic), edt. Aḥmad Mukhtār Omar, (Cairo, Mu'assasat Dār Aṣṣaab, 2003).
- Amāyreh, Ismāaīl, maaālem dārisah Fi Aṣṣarf Alarabiyy, (in arabic), (Amman, dār Alḥanīn, 1993) 2st
- Al'alāyī, Abdallah, Muqaddemah Liderāsāt lugat Al'arab, (in arabic), (Cairo, Egyptian Press)
- Ibn Auṣfūr, Ali, Almumtia, (in arabic), edt. Fakhr Addīn Qabawah, (Beirut, Dar al'Faḡ Aljadīdah, 1979) 4st
- Aṣṣāaidī, Abd Arrazzāq, Ḥurūf Azziyādah Allugawiyyah Al'uḥfūryyah, (in arabic), (K.S.A, Almadīnah news paper, 30/11/2012).
- abbasī, Adīb, Uṣūl Alfīal Arrufaay, (in arabic), (Cairo, Al moqtaṭaf magazine, folder 97, 1979).

- Aṣṣāidī, Abd Arrazzāq, Tadākhul Al'uṣūl Allugawiyah W'tharuhu Fi Binā' Almuajam, (in arabic), (K.S.A, Islamic University, 2002), 1st.
- Ibn Durayd, Moḥammad, Jamharat Allughah, (in Arabic), edt. ramzī Ba>lbakī, (Beitut, Dār Al>ilm lilmalāyīn).
- Tho Arrimmah, ghaylān, Addīwān, (in arabic) edt. Abd Arraḥmān Almaṣṭāwī, (Beirut, Dār Alma>rifah, 2006) 1st
- Azzabīdī, Moḥammad, Tāj Al>rūs, (in Arabic), edt. Muṣṭafā Hījāzī & Others, (Beirut, dār Iḥyā Atturāth).
- Ibn Assarrāj, Al'uṣūl Fi Annaḥw, (in arabic), edt. Abd Alhusayn Alfatī, (Beirut, Mu'sasat Arrisālah).
- Sībawayh, >othmān, Alketāb, (in arabic), edt. Abd Assalām Hārūn, (Cairo, Maktabat Alkhānjī, 1988) 3st
- Ibn sīdah, Ali, Almuḥkam, (in Arabic), edt. Abd Alḥamīd Alhindāwī, (Beirut, dār Alkotob Alilmyyah, 200) 1st
- Aṣṣiyāb, Fawzī, Appending in language, (in Arabic), (Egypt, 1972)
- Aṣṣidyāq, Aḥmad, Sirr Allayāl Fi Alqalb Walibdāl, (in Arabic), (Turkey, 1867).

References

- Al-Azharī, Abu manṣū, Tahthīb Allughah, (in Arabic), ed. Moḥammad >wadh mor>ib,(Beirut: Dār iḥyā Atturāth, 2001) 1st
- Al-Aṣḥbahānī, Moḥammad, Al-Majmū> Al-mughlith fī gharīb Al-Qur'ān Walḥadīth, (in Arabic) ed. Abd Al-karīm Al->zbāwy, (K.S.A, dār Al-Madanī, 1988) 1st
- Al-Anbārī, Abu Al-Barakā, Al-Inṣāf fī masa'il alkhilāf, (in arabi), ed. Moḥammad Moḥyiy Addīn Ramadhān, (Beirut, Dār al-fikr).
- Al-Anbārī, Moḥammad, Azzāher Fī Ma>nī kalimāt Annaās, (in arabi), ed. Ḥātim Addhāmen, (Beirut, Mu'asasat ArresāaAh, 1992).
- Ibn Jenniyy, >othmānm, Almunṣif, (in arabic) et. Ibrāhīm Muṣṭafā & Abd Allah Amīn, (Ciro, Dār Iḥyā' Atturāth Alqadīm, 1954).
- Ibn Jenniyy, aothmān, Alkhaṣa'iṣ, (in Arabic), (Cairho, Alhay'ah Almaṣreyyah Alaāmmah Lilkitāb)4st
- Ḥāssān, Tammām, Research Methods in Language, (Morocco, 1974) 2st

تقويم مقرّر تعليم المفردات العربية بوصفها لغةً ثانيةً للدارسين الكبار بماليزيا

د. نورالهدى بنت عثمان (*) ود. محمد شهرير (**)

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مقرّر تعليم المفردات العربية بوصفها لغة ثانية للدارسين الكبار بماليزيا. وقد حاول الباحثان الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما اهتمامات الدارسين الكبار لتعليم المفردات العربية بوصفها لغة ثانية التي على ضوءها تمّ اختيار المفردات؟ وكيف تمّ عرضها في دروس المقرر؟ وما المقرر المناسب المقترح لتعليم المفردات العربية للدارسين الكبار بماليزيا؟.

لقد قام الباحثان بتصميم أداة الدراسة وتطويرها وهي عبارة عن استبانين موزعين على ٧٢ دارساً في معهد تنمية اللغة الذين يدرسون اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، و ١٠ مدرسين فيه، وفضلاً عن إجراء المقابلة الشخصية مع ٤ خبراء في مجال تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية للكبار.

(*) محاضرة بقسم لغة القرآن، مركز اللغات والتنمية العلمية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

(**) أستاذ مشارك بكلية التربية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

تمّ تحليل إجابات الدارسين للاستبانة إحصائياً بـ (SPSS 11.5)، وتمّ تحليل إجابات المدرسين حسب تكرار الإجابة، وتصنيف إجابات الخبراء إلى المحاور المهمة للإجابة عن أسئلة البحث.

وتوصل الباحثان إلى بعض النتائج القيّمة لإعداد دروس المفردات العربية للدارسين الكبار، منها: الدارسون الكبار يواجهون مشكلات في تطبيق المفردات في سياقها المناسب.

لذلك، يجب التركيز على التعبير الشفهي والتحريري، وعرضها بصورة مبسّطة، لتحقيق هدف الاتصال الذي يسعى إليه الدارسون الكبار، وتعزيز الدارسين الكبار بالصور والرسوم لتوضيح وظيفة الكلمة نحويّاً في جملة معيّنة، وتقديم نماذج من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأدعية اليومية؛ لتحقيق هدف التفقه في الدين، وأن يتدربوا عليها بالتدريبات المتنوعة المهمّة بالتكرار.

كلمات مفتاحية: التعليم، تعليم الكبار، المقرر، المفردات العربية، اللغة العربية بوصفها لغة ثانية

models of Quranic verses, prophetic hadiths, and daily prayers; to achieve the goal of religion understanding, by taking into account variety of exercises.

Keywords: Teaching, Teaching adults, syllabus, Arabic vocabularies, Arabic as second language.

Evaluation of Teaching Arabic Vocabulary as a Second Language for Adult Learners in Malaysia: An Analytical Study at Centre for Languages and Pre-University Academic Development (CELPAD), Islamic International University Malaysia (IIUM)

Abstract

This research aims to find out the vocabulary syllabus for teaching Arabic as a second language for adult learners, Malaysia. Researchers have tried to answer the following questions: 1- What are the concerns of adult learners to learn Arabic vocabularies as a second language which the vocabularies selected are based on it? 2- How it is presented in course lessons?, 3- What are the appropriate syllabus to teach Arabic vocabularies for adult learners in Malaysia?. Tools of studies have been designed and developed to be distributed to over 72 learners at the Institute for Language Advancement (IFLA) those who learn Arabic as a second language, and 10 lecturers there, as well as personal interview with four experts in teaching Arabic as a second language for adults. The responses of students have been analyzed statistically using SPSS 11.5, meanwhile lecturers' answers have been analyzed by frequency of answers, and experts answers have been classified into themes in order to answer research questions. Researchers found some valuable results to prepare Arabic vocabularies lessons for adult learners which are: Adult learners are facing problem with Arabic vocabularies that relates to its using in appropriate context. Therefore, we should focus on this problem by taking into account the vocabulary use in simple sentences in order to achieve communication goal by adult learners, and using pictures and diagrams to explain the function of the word correctly in term of context and grammar in a particular sentences, and

المقدمة

يشكّل عدد المسلمين في العالم ١.٨ بليون نسمة لسنة ٢٠٠٦م^(١)، ٢٥٠ مليون منهم يقيمون في جنوب شرقي آسيا^(٢). ونظراً لكثرة عدد المسلمين، فإن اللغة العربية تُعدّ من أهم اللغات في العالم، فضلاً عن أنها لغة القرآن الكريم لأن الله أنزله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - باللغة العربية، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وماليزيا بلد إسلامي لأن معظم سكانها مسلمون، وتبلغ نسبتهم ٦٠.٤%، والنسبة الباقية حوالي ٤٠% تضم الصينيين والهنود، فماليزيا دولة تتعايش فيها العرقيات والأجناس في انسجام وتجانس وسلام، واللغة العربية في ماليزيا تحظى بانتشار واسع لأن المسلمين يدرسونها من أجل الدين، ولتعليم الطلاب في مدرسة، وللاتصال الاجتماعي، وللأغراض الاقتصادية.

لقد اهتمت الحكومة الماليزية بتعليم اللغة العربية بشكل رسمي ومنظم في المدارس، وفي مؤسسات التعليم العالي. فضلاً عن ذلك، ظهر كثير من المؤسسات التي تهتم بتنظيم الإدارة، والمعلمين، والمواد التعليمية لتعليم اللغة العربية بشكل غير رسمي.

-
1. Abdul Rahim Anuar, "Ekonomi Barat boleh digugat", <<http://www.ipislam.edu.my/index.php/artikel/read/712/Ekonomi-Barat-boleh-digugat>>, at 1, 15/1/2009., retrieved on 19/10/2010.
 2. Mazlan Nordin, "Nasib Penduduk Minoriti Islam", *Mingguan Malaysia*, 12 April, 2009.

يرى كثير من الباحثين أنَّ اللغة العربية في ماليزيا لغة أجنبية لأنها تُعلَّم لأغراض مُعيَّنة، وهي لغة اختيارية، ولا يصل مستوى استخدامها إلى مرتبة اللغة الثانية التي تُستخدم بطريقة مستمرة فضلاً عن اللغة الأم^(١). وبالنسبة للكبار الذين يدرسون اللغة العربية في ماليزيا، يرى الباحثون أنَّها لغة ثانية لهم؛ لأنهم مسلمون ويعيشون في الثقافة الإسلامية ويتعاملون معها منذ صغرهم، كما أنَّ العلاقة بينها وبين اللغة العربية مثل علاقة عضوية. فتكتسب ألسنتهم هذه اللغة، وفي نفس الوقت يتعرَّفون على الكلمات العربية المستخدمة في اللغة الملايوية؛ لأن اللغة الثانية هي التي تُعلَّم وتُستعمل باستمرار بعد اللغة الأم. لذلك يمكن القول بأنَّ اللغة العربية للدارسين الكبار بماليزيا لغة ثانية بسبب ارتباطها القوي بالدين الإسلامي^(٢).

إنَّ تعليم الكبار يندرج تحت التعليم المفتوح غير الرسمي حيث إنه يتم في أوقات الفراغ التي تناسب الكبار. ويتم تعليم الكبار خارج المدارس وتراعى فيه ظروفهم وعقلياتهم وقدراتهم الخاصة في صورة منظمة

١. ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٧م)، ص ٤٢، ورشدي أحمد طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه (الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو"، ط. ١، ١٩٨٩م)، ص ٢٨، وحجاج علي، ونايف خرما، اللغة الأجنبية: تعلمها وتعليمها، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٠م)، ص ١١٦.

٢. انظر محمد زيد بركة، مكانة اللغة العربية للناطقين بها والناطقين بغيرها وعلاقتها باللغة المحلية، (ورقة قُدِّمت في المؤتمر "نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة"، عمان: المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٤-٢٧ يوليو ١٩٩١م، ص ٢٨٩. و

Sabri bin Sahrir, *Pelajari bahasa Arab tingkat pemahaman al- Muhammad Quran*, 2011/04/09, <http://www.bharian.com.my/bharian/articles/PelajaribahasaArabtingkatpemahamanal-Quran/Article/>, at 1, viewed on 29/1/2012.

ومقصودة، وفي زمنٍ محدّد، وتتولاه هيئة أو جماعة تشرف عليه^(١). ويحتاج تعليم وتعلّم اللغة العربية للكبار إلى مقررات لأنها تحتوي على المنهج التعليمي الذي يساعد المدرسين والدارسين في إجراء تناسب التعليم والتعلم، وتشمل المواد التعليمية من شرائط تسجيلات صوتية، ووسائل سمعية بصرية. ويتكوّن مقرر تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية من الأهداف، والمحتوى، وطرق تدريسه، والتقويم والقياس. ويودّ الباحثان أن يركزا على محتوى المقرر من حيث المفردات لأنها أساس في التعبير الشفوي والتحريري، وفهم النصوص واستيعابها الذي يؤدّي إلى اكتساب القواعد اللغوية العربية بشكل غير مباشر^(٢). ومن الضروري أن يتناسب مقرر تعليم المفردات العربية للدارسين الكبار مع مستوياتهم الدراسية ومراحلهم العمرية، من أجل تحقيق الأهداف المنشودة من التعليم والتعلّم، وإجراء أنسب التعليم في الفصول بشكل فعّال ومبسط حتى يتمكن الدارسون الكبار من ممارسة اللغة في حياتهم اليومية.

-
1. Saad. Ibrahim, *Perubahan Pendidikan di Malaysia: Satu Cabaran*, (Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka, 1992), 78.

وانظر: أبو القاسم محمد نجيب، *تعليم الكبار في تنمية المجتمع المحلي*، ورقة قدّمت للمشغل التربوي ومديرات ومعلمي ومعلمات مراكز محو الأمية وتعليم الكبار بالمنطقة الداخلية، سلطنة عمان، ١٥-١٦ نوفمبر ١٩٩٣م، ص ٢-٣.

٢. منى كنتباي أبو قرجة، *الأسس النفسية لتعليم اللغة العربية للكبار من غير الناطقين بها*، ص ٧٣. Collins (Ed.) (2003) *Essential English Dictionary*, Glasgow: Harper Collins Publishers, p. 885, and Staphen D. Krashen, *Relating Theory and Practice in Adult Second Language Acquisition*, in: *Second Language Acquisition and Second Language Learning*, (UK: Prentice Hall), 1st. ed., 1988, at. 109, and Md Nasir Omar, "Pengajaran Bahasa Arab Kepada Pelajar-pelajar Peringkat Permulaan di Pusat Matrikulasi Universiti Islam Antarabangsa Malaysia", (Unpublished Masters Thesis University of Malaya, Kuala Lumpur, p.60, 1996).

تجربة تعليم اللغة العربية بمعهد تنمية اللغة بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

تمّ تأسيس مركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في يوليو ١٩٨٣م، وكان يُسمى في ذلك الوقت بـ"مركز اللغات" (The centre for languages). ثمّ أُعيدت التسمية لهذا المركز ليصبح "مركز اللغات والتنمية الأكاديمية ما قبل الجامعة" (Centre for Languages and Pre-University Academic Development)، وذلك في سنة ١٩٩٣م^(١). يُقدّم هذا المركز برامج تعليم اللغات؛ الإنجليزية، والعربية، والملايوية، بالإضافة إلى تلاوة القرآن. ويهدف برنامج اللغة الإنجليزية إلى تمكين الدارسين في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في اللغة الإنجليزية من أجل اكتساب المعرفة. أما برنامج اللغة العربية، فيهدف إلى إعداد الدارسين في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وتمكينهم الدارسين الخبراء بالعربية لفهم المحاضرات بهذه اللغة، وتدوينها مباشرة، وكتابة النصوص العربية، ومراجعة المصادر العربية لغرض كتابة البحوث. وأمّا برنامج اللغة الملايوية فيهدف إلى تزويد الدارسين بالمهارات اللغوية الملايوية اللازمة من أصواتها، وقواعدها الأساسية في التواصل اليومي. ويهدف برنامج تلاوة القرآن إلى تأهيل الدارسين لقراءة القرآن الكريم بطريقة

1. <http://www.iiium.edu.my/celpad/about/overview>, retrieved on 2nd February 2012.

صحيحة تقوم على التجويد وأحكامه الضابطة، ويحفظون السور اللازمة في الصلوات الخمس، ويُؤهلون لأن يكونوا أئمةً في صلاة الجماعة^(١).

وتكون دراسة اللغات الإنجليزية والعربية والملايوية ضرورية لأنها من متطلبات التخرج في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. فكل الطلاب الذين يلتحقون بالجامعة سيدرسون هذه اللغات لاختيار مستوى معين يؤهلهم لمواصلة دراستهم في الكليات التي يرغبون فيها. ونظراً لحاجات الكثير من المجتمع الماليزي فقد أقام مركز اللغات فصولاً دراسية خاصة بتعليم اللغات الثلاث للراغبين من الجمهور بالإضافة إلى تعليم التلاوة. وذلك في إطار توجيهات الجامعة إلى جميع الكليات بإنشاء مراكز ربحية تساهم في الحصول على مبالغ مالية إضافية لتحسين الأمور الإدارية وذلك عام ٢٠٠٥م.

برنامج تعليم اللغة العربية ومفرداتها للكبار في المعهد

تُعتبر اللغة العربية هي اللغة الإسلامية الحضارية في يومنا الحاضر، واتسع دورها كلغة اتصالية. وبالنسبة للمسلمين في ماليزيا، فهم يستخدمون اللغة العربية يومياً خاصة في الأمور الدينية. لذلك، بدأ مركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا إنشاء فصول دراسية لتعليم اللغة العربية

1. <http://kelasquran.blogspot.com/2009/04/tilawah-al-quran-iiium-uiam.html>,

retrieved on 5th March 2012, Centre for Language and Pre-University Academic Development (CELPAD), Bahasa Melayu Course outline, 31 January 2011, <http://www.iiium.edu.my/cfs/departments-5>, retrieved on 4th April 2012, <http://www.iiium.edu.my/cfs/academic-services/department-languages-celpad>, retrieved on 4th April 2012, <http://www.iiium.edu.my/cfs/academic-services/department-languages-celpad>, retrieved on 4th April 2012.

للجمهور من الكبار الذين يرغبون في تعلّم اللغة العربية لأغراض دينية وثقافية وغيرها. وفيما يلي بيان موجز عن هذه الفصول^(١):

جدول (١): تعريف برنامج تعليم اللغة العربية للكبار في المعهد

المحور	التفصيل
تأسيس الفصول.	• أسست الفصول سنة ١٩٨٦م، وكانت تحت إدارة مركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. وقام بالعمل على نشره وتنفيذه من خلال الدعاية له بطرق شتى.
الإعلانات والدعايات للبرنامج.	• أعلنت هذه الفصول في بداية تأسيسها عن طريق الدعاية في الإذاعة المحليّة مثل إذاعة "حملة الوعي اللغوي" (Institute Kefahaman Islam Malaysia (IKIM) لمدة ساعة في الأسبوع، وفي التلفاز، وفي الصحف مثل (بريتا هاريان، وأوتوسن ملايو)، وفي المصليات والمساجد المنتشرة، وعن طريق موقع الإنترنت المصمّم لها. كما تمّ توزيع نشرات متصلة عن البرنامج في كثيرٍ من المساجد، تتضمن التعريف بالبرنامج، ومواعيد الدراسة، وعدد الساعات الدراسية، والرسوم المطلوبة.

١. تمّت المقابلة مع الأستاذ تاج الدين محمد نور، والدكتور مهدي مسعود، والأستاذ وان روسلي وان أحمد، والدكتور فكري عابدين حسن، في ٢٦ أكتوبر ٢٠١١م - ٢٦ نوفمبر ٢٠١١م، في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

استجابة الكبار لهذه الفصول.	• أُقبل عدد كبير من الكبار لتعلّم اللغة العربية في بداية تأسيس الفصول إذ كان عددهم يتراوح بين ٢٧٠-٣٠٠ دارسٍ موزعين على ٩-١٠ مجموعات، ولكل مجموعة ٣٠ دارساً. • ولم تقتصر الفصول لتعليم اللغة العربية للكبار في المركز الرئيسي بجمبوق فحسب، بل شملت فرعاً في الجامعة ببتالينج جايا سـالنجور (Petaling Jaya, Selangor)، وكونتن بهنج (Kuantan, Pahang). بجانب ذلك، اشترك مركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية في تنظيم هذه الفصول بالتعاون مع مؤسسة خاصة في كوجينج بولاية سراوق (Kuching, Sarawak) في ذاك الوقت. • جاء بعض الدارسين من أماكن بعيدة مثل كوالا كوبو بهارو (Kuala Kubu Bharu)، وبنـتـونـج (Bentung)، وملاكا (Malacca). وهناك أيضاً الدارسون الأجانب مثل الصينيين، والهنود الماليزيين، بيد أن عددهم قليل. وكذلك الدارسون الأجانب مثل الإيرانيين، والباكستانيين.
كيفية تحديد مستويات الدارسين.	• يتمّ تحديد مستويات الدارسين المتقدمين للدراسة عن طريق امتحان تحديد المستوى لمعرفة المستوى الذي يمكنهم دراسته - مبتدئ - متوسط - متقدّم - قبل دخولهم في الفصل الدراسي الجديد.

أسس اختيار المدرسين.	• لم يقتصر التدريس في برنامج تعليم اللغة العربية للكبار في بداية تأسيسه سنة ١٩٨٦م على المدرسين من مركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا فقط، بل كان يشمل المتخصصين من الجامعة الوطنية الماليزية، ومن المسؤولين للسفارات، وكانوا يُختارون حسب تخصصاتهم في تدريس الكبار. • ويتم اختيار المدرسين عن طريق التناوب بينهم. ولتقويم المدرسين تُوزَّع استبانة على الدارسين في نهاية الفترة الدراسية، لاختيار المدرس المفضل لديهم في الفصول المقبلة، لأن اختيارهم له أثر كبير في استمرارهم في الدراسة.
المشكلات التي تواجه برامج تعليم اللغة العربية للكبار.	• كان من أكبر المشكلات التي ظهرت في بداية تأسيس الفصول لتعليم اللغة العربية للكبار عدم وجود موظف إداري خاص مسؤول عن تنظيم شؤون هذه الفصول، وكانت كل هذه المسؤوليات تحت عناية المنسق وحده فهذا الذي كان يتولى تنظيم كل شيء يتعلّق بهذه الفصول بالتنسيق مع الإدارة التي كانت تحت رعاية رئيس شعبة لغة القرآن بمركز اللغات. وحلّت هذه المشكلة بوجود معهد تنمية اللغة، فتحسنت الأمور الإدارية لتنظيم شؤون الدارسين. • ومن المشكلات الأخرى هي ارتفاع الأجر التي تُدفع للمدرسين القائمين بتدريس هؤلاء الكبار، وارتفاع

رسوم حجرة الفصول، وارتفاع تكلفة الإعلانات. ولحلّول المشاكل المالية، قرّر المعهد زيادة رسوم الدراسة إلى ٣٩٠ رنجتاً لكلّ دارسٍ في كلّ فترةٍ دراسية، وزيادة إلى ١٠ رنجتاتٍ ثمناً للكتاب المقرر. ومن المشاكل الأخرى هي التي تتعلّق بمقرر تعليم اللغة العربية، حيث إنه يُعتبر صعباً بالنسبة للدارسين الكبار، ويؤدي إلى تركهم لحجرة الدراسة، كما انتشرت الفصول لتعليم اللغة العربية للجمهور في عدة مؤسسات أخرى. فمن الضروري أن تأخذ إدارة المعهد في عين اعتبارها اتساع الإعلانات والدعايات لجذب الناس في المجتمع المحلي كي يختاروا هذا المعهد مكاناً للتدريب على اللغة العربية.	
تمّ تقويم الأداء اللغوي لدى الدارسين الكبار بطرح السؤال مباشرةً على الدارسين في الفصول، وبكتاباتهم العربية خلال التدريبات والواجبات. ووُضعت أسئلة الامتحان من قبل المدرّسين أنفسهم، وكان الامتحان موحّداً في نهاية كلّ فترة دراسية.	تقويم الأداء اللغوي للدارسين.

الكتب المقررة لتعليم اللغة العربية ومفرداتها بوصفها لغة ثانية للكبار في المعهد.

لقد استخدم المعهد عدداً من الكتب المقررة لتعليم اللغة العربية ومفرداتها بوصفها لغة ثانية للكبار منذ تأسيسه حتى الآن، وهي العربية للناشئين: منهج

متكامل لغير الناطقين بالعربية، وكتاب تعليم العربية للناطقين بغيرها: الكتاب الأساسي (جامعة أم القرى)، والكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، (تونس)، ودروس اللغة العربية، والعربية لغتنا: سلسلة تعليم اللغة العربية لغير العرب^(١). ومن أهم المحاور التي تؤخذ بعين الاعتبار لهذه الكتب المقررة هي الأهداف المرجوة من إعدادها، وعدد سلسلتها، والمؤلفون المسؤولون لإعدادها، ومعايير إعدادها، ومصاحباتها، والصور والرسوم فيها، والزمن المخصص لتعليمها، ومحتوياتها، وتصميم دروسها من الأصوات، والقواعد النحوية، والمفردات والتراكيب، والمهارات اللغوية، وتدريباتها، والواجبات المنزلية فيها، واختباراتها، وطرق عرض المواد اللغوية فيها. وتهدف هذه الكتب إلى التكامل بين المهارات اللغوية الأربع، وتتكون سلسلة الكتب أكثرها ٦ أجزاء، وأقلها ٣ أجزاء، وتهتم بإبقاء المؤلفين لجميع أجزاء الكتب، فهم يهتمون بالتكامل بين مهارات اللغة المختلفة شفهاً وتحريراً، ويستخدمون اللغة العربية المعاصرة اليومية مع الاهتمام بألفاظ الثقافة

١. انظر: جامعة أم القرى، تعليم العربية للناطقين بغيرها: الكتاب الأساسي، (المملكة العربية السعودية: وزارة التعليم العالي، ط. ٣، ٢٠٠٨م)، ص ٤، وتمت المقابلة مع الأستاذ تاج الدين محمد نور، والدكتور مهدي مسعود، والأستاذ وان روسلي وان أحمد، والدكتور فكري عابدين حسن، في ٢٦ أكتوبر ٢٠١١م - ٢٦ نوفمبر ٢٠١١م، في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وفي جامعة ملايا، ومحمود إسماعيل صيني، العربية للناشئين، (المملكة العربية السعودية: وزارة التعليم العالي، د. ط، د. ت)، ط. ٣، ٢٠٠٨م)، والسعيد محمد بدوي، الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٣م، د. ط، د. ت)، و. ف. عبد الرحيم، دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها، ومعهد تنمية اللغة، العربية لغتنا.

الإسلامية، ويستفيدون من الدراسات السابقة في تعليم اللغات لغير أهلها لاختيار الجوانب اللغوية المناسبة للدارسين، ويقومون بتجريب الكتب قبل طباعتها لمدة معينة لمعرفة مدى فعاليتها للدارسين. تصاحب كلّ الكتب المقرّرة في المعهد بدليل المعلم، وكتب إضافية، والمعجم، وتسجيلات صوتية، وتوجد فيها الصور والرسوم، ويُذكر فيها الزمن المخصص لتدريسها. وتهتمّ هذه الكتب كذلك بالنصوص الحوارية، والقصصية، والقرائية، وتأتي بعدها التدريبات الاستيعابية، والتركيبية، والتعبيرية، والنحوية وغيرها من الأنشطة اللغوية الأخرى. ويتمّ عرض الأصوات العربية فيها إمّا بإعداد جزء خاص لتعليمها، وإمّا يكون ضمن دروس الوحدات. علاوة على ذلك، يتمّ التدريب عليها في كلام ذي سياق مفهوم، حيث تُقدّم القواعد اللغوية في الكتب بطريقة غير مباشرة، ولا تُذكر مصطلحاتها النحوية في المستويات الدنيا، بل تُدرّس في المستويات العليا مع إعداد جزء خاص للقواعد النحوية. وتهتمّ الكتب بالمفردات الشائعة في حياة الدارسين اليومية الذين يعيشون في البلاد التي أُلّفَت فيها الكتب. ويتمّ التدريب على المهارات اللغوية في هذه الكتب بشكل متكامل بين الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة مع التركيز على مهارتي الاستماع والكلام في المستويات الابتدائية، أما القراءة والكتابة فهما للمستويات المتقدّمة. وتكثر التدريبات اللغوية في الكتب بأشكالها المختلفة شفهيّةً وتحريريّةً لتمكين الدارسين في العناصر اللغوية الأساسية من الأصوات، والقواعد النحوية، والمفردات مع الاهتمام بالتكامل بين المهارات اللغوية الأساسية الأربع من الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة.

طبيعة الكبار في تعلّم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية

تختلف مواقف تعليم اللغة الثانية حسب مراحل الدارسين العمرية، وبالتالي يختلف المقرر لكل مرحلة عمرية، فالكبار لهم خصائص نفسية، وثقافية واجتماعية، ولغوية، وتربوية تختلف عن الصغار، كما أنّ لدى الكبار احتياجات ورغبات تختلف فيما بينهم، كما تختلف أيضاً طرق تعليمهم، وأساليب التعامل معهم، والمواد التي تقدّم لهم. لذلك، سيناقد الباحثان في هذا المحور طبيعة الكبار النفسية والثقافية والاجتماعية واللغوية والتربوية التي يجب الاهتمام بها لإعداد المقرر لتعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية لهم، وهي تكون كالآتي^(١):

أولاً: الطبيعة النفسية

كثرت المناقشات في علم اللغة النفسي حول السن المناسبة لتعلّم اللغة الثانية، واختلف الخبراء في هذه القضية، وأكّد بعضهم بأن الصغار يستطيعون أن يجيدوا ثلاث أو أربع لغات إجادة تامّة، إذ تكون لديهم سهولة في النطق وقدرة على تعلّم اللغة الثانية مثل لغتهم الأصلية. أما الكبار، فلديهم صعوبات نفسية تؤخر تنميتهم للغة الثانية بسبب التغيرات الجسمية المرتبطة بالنمو العمري والتقدّم في السن، منها قلة التذكر، والسمع، والبصر، والنطق، زيادة على التغيرات الانفعالية. فكل هذه الأمور تؤثر في الكفاية اللغوية وأدائها. وعلى الرغم من وجود جوانب نقص لدى الكبار لتعلّم اللغة الثانية،

١. عبدالرحمن سعد الحميدي، مدخل إلى تعليم الكبار، ص ٢١.

إلاَّ إنَّهم يستطيعون تعلُّمها إذا كانت هناك استراتيجيات وأساليب مناسبة لتدريبهم، وملائمة لمواقفهم الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والنفسية التي تشجعهم على التمكن من اللغة الثانية^(١).

ويخل الكبار من تعلُّم اللغة الثانية، وفي بعض الأحيان يشعرون بالإحباط إذا لم يعرفوا قواعد اللغة الجديدة ونظامها، ومعاني مفرداتها، ومحتويات موادها؛ لأنهم حسب طبيعتهم العمرية في حاجة ماسة إلى فهم الموضوع الذي يدرسونه فهما جيداً وتاماً قبل أن ينتقلوا إلى موضوع جديد^(٢). ويهدف الكبار في تعلُّمهم اللغة الثانية إلى القدرة على القراءة المتقنة جهريةً صوتاً ونبراً وتنغيماً، زيادة على فهم كامل واستيعاب كلي لما يُقرأ في حياتهم اليومية، وفي دراستهم ومطالعتهم وثقافتهم حتى يستطيعوا قراءة الكتب، والمجلات، والجرائد وأي القراءات والأدوات المكتوبة بتلك اللغة. ويهدف بعض الكبار إلى التمكن من مهارتي الاستماع والكلام من أجل التواصل مع الآخرين. ويحتاج بعضهم إلى تعلُّم المهارات اللغوية من أجل الذهاب والسفر إلى البلاد

١. منى كنتابي أبو فرجة، الأسس النفسية لتعليم اللغة العربية للكبار من غير الناطقين بها، ص ٤١-٢٦. وعبدالمجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، ص ٢٠٦.

Asher, J.J and Garnica, R., (1969), "The optimal age to learn a foreign language". *Modern language journal*, 53 334-41, and Danny D. Steinberg, *Psikolinguistik: Bahasa akal budi dan Dunia*, Penerjemah: Azhar M. Simin, (KL: DBP), 1990, 1ST ed. , p. 245, and Lewis, Marilyn, *How to study foreign language*, 1999, (New York: Palgrave), 1st. ed., p. 47-49, and Johnson, J. S., & Newport, E. L. (1989). Critical period effects in second language learning: The influences of maturational state on the acquisition of English as a second language. *Cognitive Psychology*, 21, 60-99.

2. Ming Sheng Dai, (1996), Teaching english as a second language to adults: from theory to practice. "Unpublished doctoral thesis, Kansas State University", USA, at. 28.

الخارجية للسياحة ومواصلة الدراسة، وبعضهم يُتقنونها لتطوير تجارتهم، والتعرّف على الثقافة الأجنبية، وتربية أطفالهم في البيت. فيقبل الكبار التعليم الذي يحقق أهدافهم الشخصية، ورغباتهم المختلفة، واهتماماتهم اليومية، وقدراتهم المحدودة^(١).

ووفقاً لقدرات الكبار النفسية، فهم يستطيعون أن يتمكنوا من اللغة الثانية إذا راعت المواد اللغوية تغيراتهم البيولوجية والانفعالية، وحققت أهدافهم للقراءة من قراءة واستيعاب القراءات أو الأداءات المكتوبة بلغة ثانية، وكذلك أهداف التواصل مع الآخرين. لا يكفي إعداد مقرّر لتعليم اللغة الثانية للكبار بمعرفة طبيعتهم النفسية فقط، بل من الضروري مراعاة الخلفية الثقافية والاجتماعية لديهم ولأهل اللغة المستهدفة.

ثانياً: الخلفية الاجتماعية

يساهم المجتمع في تقدّم اللغة وأصحابها لأنها تدلّ على روحه المتمثّلة في أشخاصه، وتقاليده، وأماكنه، وأحداثه التاريخية، فمن المهمّ التعرف على العناصر الاجتماعية لأهل اللغة الثانية وحضارتها وعادات مجتمعتها؛ لأنّ التفاعل مع اللغة الثانية لا يقتصر على تعلمها فقط، بل يحتاج إلى فهم حياة

١. انظر: عبدالرحمن سعد الحميدي، مدخل إلى تعليم الكبار، ص ٢٤-٣٠. وفخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، (دمشق: دار الفكر، ط. ١، ١٩٩٩م)، ص ٧٠-٧١، ومحمد طه عارفين، منهج مقترح لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية للكبار في ماليزيا (المستوى الابتدائي)، ص ٤٨.

Brookfield, Stephen, Adult Learning: An Overview, in A. Tuinjmman (ed.), 1995, *International Encyclopedia of Education*. (Oxford: Pergamon Press (Forthcoming), at. 4, and Ming Sheng Dai, (1996), Teaching English as a second language to adults: from theory to practice. Unpublished doctoral thesis, Kansas State University, USA, at. 26-27.

أهلها الاجتماعية؛ لتنمية مهارات اللغة وإتقانها. ولا يقتصر إعداد المحتوى الاجتماعي على ما يتعلّق باللغة الثانية فحسب، بل من الضروري مراعاة العناصر الاجتماعية التي يعيش فيها الدارسون الكبار حتى يستطيعوا الاستفادة منها لحياتهم اليومية^(١).

وبالنسبة للكبار، يكون اختيار المحتوى الاجتماعي على أساس اهتماماتهم الاجتماعية، واهتماماتهم الثقافية، وأهدافهم الخاصة من تعلّم اللغة الثانية لتسهيل فهمهم نحو المواد المدروسة، وكذلك المقومات الثقافية للغة الثانية من أشخاصها، وتقاليدها، وأماكنها، وأحداثها التاريخية لتشجيعهم على التعامل مع تلك الثقافات^(٢).

١. انظر: محمود كامل الناقبة، ورشدي أحمد طعيمة، الكتاب الأساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ص ٤١ و ٢٨٦، وعبد الحميد عبدالله، وناصر عبدالله الغالي، أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية، ص ٢٠-٢٤.

٢. انظر: عبد الحميد عبدالله، وناصر عبدالله الغالي، أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية، ص ٢٠-٢٤، وعلي أحمد مذكور، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: النظرية والتطبيق، ص ٢٧٠-٢٨٦، ومنى كنتباي أبو قرجة، الأسس النفسية لتعليم اللغة العربية للكبار من غير الناطقين بها، ص ٢٨، ومحمد طه عارفين، منهج مقترح لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية للكبار في ماليزيا (المستوى الابتدائي)، ص ٤٠. وسام عمر، التجديد في تعليم اللغة العربية للكبار: الطريقة التواصلية أنموذجاً، ص ٣.

Ming Sheng Dai, (1996), Teaching English as a second language to adults: from theory to practice. Unpublished doctoral thesis, Kansas State University, USA, at. 26, and Stephen D. Krashen, Relating Theory and Practice in Adult Second Language Acquisition, in: *Second Language Acquisition and Second Language Learning*, (UK: Prentice Hall), 1st. ed., 1988, at. 100, and Cunningsworth, A. 1995, *Choosing your coursebook*, Cambridge University Press., at. 90, and Kilickaya, Ferit, Guidelines to evaluate cultural content in textbooks, The Internet TESL Journal, vol. X, No. 12, December 2004. <http://iteslj.org/Techniques/Kilickaya-CulturalContent/>, retrieved on 26 November 2010, at. 1.

ثالثاً: الجانب اللغوي

تهتمّ الأسس اللغوية لتعليم اللغة الثانية بعناصرها الأساسية من الأصوات، والقواعد اللغوية، والمفردات، بجانب مهاراتها الأربع وهي الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة. فيجب الاهتمام بهذه العناصر لتعليم اللغة الثانية للكبار كذلك. وبالنسبة للمفردات فهي تعني الكلمات التي يعرفها الشخص، والكلمات المتضمنة في لغة ما، والمصطلحات الخاصة المستخدمة في أي مادة، والكلمات المترجمة من لغة إلى لغة أخرى، ومجموعة من الرموز الدالة على الفنون. وترتبط المفردات بفهم النصوص واستيعابها. ويستند تمكين الدارسين في فهم النصوص إلى كثرة المفردات لديه، ويؤدي إلى اكتساب القواعد اللغوية بشكل غير مباشر. وبالنسبة للكبار، عندما يتعلمون اللغة الثانية فإنهم يكتسبون المفردات الجديدة مع تعابيرها المختلفة، ويُطبّقونها في سياقات واسعة. لذا من الضروري تقديم مفردات في مقرر للكبار عن طريق عبارات وجمل تسهل مهمة التذكر والاستيعاب، مع مراعاة المفردات الأقرب لبيئة الدارسين الكبار بالتدرج من الجمل القصيرة إلى الجمل الطويلة خاصة للمرحلة الابتدائية^(١).

١. منى كنتبائي أبو قرجة، الأسس النفسية لتعليم اللغة العربية للكبار من غير الناطقين بها، ص ٧٣.
Collins (Ed.) (2003) Essential English Dictionary, Glasgow: Harper Collins Publishers, p. 885, and Staphen D. Krashen, Relating Theory and Practice in Adult Second Language Acquisition, in: *Second Language Acquisition and Second Language Learning*, (UK: Prentice Hall), 1st. ed., 1988, at. 109.

رابعاً: الأسس التربوية

تشير الأسس التربوية إلى تحديد الأهداف العامة والخاصة التي سيحققها الدارسون الكبار في نهاية تعليمهم للغة الثانية، وعرض المحتويات اللغوية المناسبة لهم، وطرق عرض الموضوعات المناسبة لإجراء تلك المحتويات، وكيفية قياس التنمية اللغوية لدى الدارسين. والأهداف المرجوة لدى الكبار من تعلّمهم للغة الثانية وهي أن يكونوا متمكنين من القراءة إضافةً إلى حاجات التواصل مع الآخرين. فمن الضروري تحديد هذه الأهداف في المقرر لتعليم اللغة الثانية للكبار^(١).

وتكون محتويات الدروس أفضل إذا كانت تتعلّق بالحياة العامة للدارسين الكبار، والترابط بين الموضوعات وأهداف التعليم، ونوع المهارة، والزمن المخصص لها، والتنوع والمرونة في الأسلوب بمراعاة تصميم وحدات دراسية لغوية بناءً على رغبات الدارسين نحو التواصل اليومي لدى

١. انظر: محمود كامل الناقة، ورشدي أحمد طعيمة، الكتاب الأساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، إعداده وتحليله وتقويمه، ص ٤٧-٦٠، وعلي القاسمي، الكتاب المدرسي لتعليم العربية لغير الناطقين بها، ص ٩٩-١٠٥، وعبدالرحمن سعد الحميدي، مدخل إلى تعليم الكبار، ص ٢٤-٣٠. وفخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، ص ٧٠-٧١، ومحمد طه عارفين، منهج مقترح لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية للكبار في ماليزيا (المستوى الابتدائي)، ص ٤٨.

Brookfield, Stephen, Adult Learning: An Overview, in A. Tuinjmman (ed.), 1995, *International Encyclopedia of Education*. (Oxford: Pergamon Press (Forthcoming), at. 4, and Ming Sheng Dai, (1996), Teaching English as a second language to adults: from theory to practice. Unpublished doctoral thesis, Kansas State University, USA, at. 26-27.

المجتمع حولهم، بحيث يتم تنظيم الوحدات في عدّة دروس حسب الترتيب المنطقي، يعني البدء بالموضوعات السهلة، والانتهاء بالموضوعات المعقّدة تدريجياً، والاعتماد على السرد، والحوار، والمعالجة القصصية في النصوص، وإبراز المهارات في كل وحدة مع تكاملها فيما بينها وتدرجها^(١).

واختلف بعض الباحثين في طرق تقديم المحتوى لتعليم اللغة الثانية للكبار، فيرى بعضهم أنه من الأفضل استخدام الطرق الاستنتاجية لتقديم الدروس للكبار وفقاً لتأثير أسلوب الترجمة والطريقة التقليدية للوصول إلى المعلومات، وحسب طبيعتهم التي تشعر بالارتياح إذ يفهمون القواعد اللغوية ونظام اللغة جيداً. وأما الآخرون فهم يؤكدون من الطريقة الاتصالية بدلاً من التركيز على القواعد لأنّ الكبار يكتسبون اللغة الثانية بشكل غير مباشر عند ممارستها في سياقات متعددة. فتبدأ هذه الطريقة بالوحدة الصوتية والأنماط الصوتية قبل محاولة القراءة والكتابة، وتحرم استعمال الترجمة خشية التداخل اللغوي، وتستخدم القواعد النحوية في مواقف اتصالية حية، بالإضافة إلى استعمال تراكيب نافعة كثيرة ويستفيد منها الدارسون ويجعلونها وسيلة فعالة للتواصل، وتتوفر فيها المفردات والتراكيب اللغوية التي تشكل الحاجات اللغوية الضرورية له في مواقف التواصل اليومي. لذلك، تهتم هذه الطريقة بالكلام والكتابة، والأنشطة التي تخلق مواقف واقعية حقيقية لاستخدام اللغة

١. انظر محمود كامل الناقبة، خطة مقترحة لتأليف كتاب أساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ص ٢٧١-٢٧٢، وعلي أحمد مذكور وآخرون، المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط. ١، ٢٠١٠م)، ص ٢٣٢-٢٣٣.

من خلال مهاراتها الرئيسة الأربع: الاستماع والكلام والقراءة والكتابة مستعينة بمختلف الوسائل السمعية البصرية مثل الشرائط المسجلة، والصور، والرسوم، واللوحات، والأفلام^(١).

تُقاس قدرة الدارسين على التعليم بالتدريبات والاختبارات التي تشمل الأنشطة والأسئلة والتكليفات المطلوبة، فهي تهدف إلى اكتشاف نواحي القوة والضعف في أداء الدارسين، واستظهار قدرات الدارسين واستعداداتهم للدروس، وتزويدهم بالتقويم الذاتي لتحسين مستواهم اللغوي. فيجب أن تعكس تناسب التدريبات والاختبارات أهداف المقرّر، وتشمل كل عناصر اللغة من الأصوات، والقواعد اللغوية، والمفردات، بجانب مهارات لغوية أساسية من الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة. وبالنظر إلى طبيعة الكبار الذين يحبّون التكريم، فهم يخلون إذا يقعون في الخطأ، لذلك لا يفضلون الاختبارات خوفاً منه. وعلى الرغم من ذلك، من الضروري إعداد الاختبارات البسيطة للكبار مرّة أو مرتين في فصل دراسي واحد لتعزيز قدرتهم اللغوية^(٢).

١. محمد طه عارفين، منهج مقترح لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية للكبار في ماليزيا (المستوى الابتدائي)، ص ٤٩، وسام عمر، التجديد في تعليم اللغة العربية للكبار: الطريقة التواصلية أنموذجاً، ص ٢-٣، ومنى كنتباي أبو قرجة، الأسس النفسية لتعليم اللغة العربية للكبار من غير الناطقين بها، ص ٦٨، وفيصل محمود موهيندو، حاجات الدارسين الكبار في تعلم اللغة العربية بوصفها لغة أجنبية ص ٤٧-٤٨.

Ming Sheng Dai, (1996), Teaching English as a second language to adults: from theory to practice. Unpublished doctoral thesis, Kansas State University, USA, at. 25-28, and Lewis, Marilyn, How to study foreign language, 1999, (New York: Palgrave), 1st. ed., at. 47-49.

٢. انظر: علي أحمد مذكور وآخرون، المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ص ٦٣٦.

Wiggins, G.P. (1994). Toward More Authentic Assessment of Language Performances. In C. R. Hancock (Ed.). *Teaching, testing, and assessment: making the connection* (pp 69-85) Northeast Conference Report. Lincolnwood, IL: National Textbook Company.

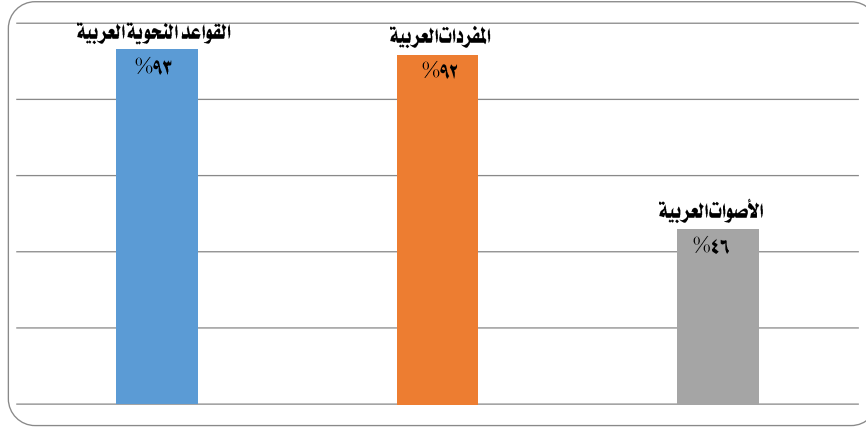
بعد استعراض الأسس النفسية، والاجتماعية، والتربوية، تبين أنه ينبغي تحديد الأهداف في المقرر المخصص لتعليم الكبار مع وضوح المحتوى، وطرق عرض الموضوعات لإفهام الدارسين محتوى المقرر، ووضع أسئلة التدريبات والاختبارات وأنشطتها لتقويم أدائهم لمعرفة مدى فهمهم وتنميتهم لدى المعلومات المدروسة في المقرر، واكتشاف جوانب القوة والضعف الموجودة في المنهج، إضافة إلى مراعاة تكامل العناصر اللغوية ومهاراتها لأنها تمثل خطوة تمهيدية لها.

طرق عرض المفردات العربية للدارسين الكبار بوصفها لغة ثانية

يفهم معنى المفردات عن طريق استخدامها في التعابير وسياقاتها الصحيحة. وأشارت الدراسات السابقة إلى أنه يتم اختيار المفردات الجديدة في مقرر تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية بناءً على شيوع استخدامها في مواقف حياة الدارسين اليومية، وتقديم الكلمات المألوفة لديهم، وتجنب الكلمات النادرة، وكثرة استعمالها في مجالات ومواقف الحياة الكثيرة، وعلى ضوء غاية التعلم^(١).

تمثل المفردات محوراً مهماً في تعليم اللغات الثانية والأجنبية وتعلمها، وكلما زادت حصيلة الدارس من المفردات زادت ثروته على التعبير. ويواجه الكبار كذلك المشكلات في تنمية المفردات وتطبيقها في سياقها المناسب كما يدل عليها الشكل (١) مع النسبة المئوية ٩٢%؛ لأن الكبار يتقيدون بمشكلة القواعد النحوية وتطبيقها في جمل سليمة.

١. انظر: محمد طه بن عارفين، منهج مقترح، ص ٥٩، وعبدالرحمن تشيك، معايير التحكم في الألفاظ في تعليم العربية للمجتمعات الإسلامية في جنوب شرق آسيا، ص ١١١-١٥١.



شكل (١): المشكلات التي يواجهها الكبار لتعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية في العناصر اللغوية.

واختلف الخبراء في مجال تعليم اللغة في عدد المفردات التي تُقدّم لتعليم الدارسين حسب مراحلهم الدراسية، فهناك دراسة تدلّ على أنّ عدد المفردات التي تناسب جميع المستويات حوالي ١٥٠٠-٢٠٠٠ كلمة، وترى دراسة أخرى أن عددها المناسب هو ٤٨٠٠ كلمة. ولا تكفي التنمية اللغوية لدى الدارسين إذا استظهر عدد مفرداتها فقط، بل يجب التحكم في تراكيبها، وأنماطها، مع مراعاة اهتمامات الدارسين. كما يقول ابن خلدون في قضية المفردات^(١):

١. انظر: رشدي أحمد طعيمة، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص ٤٨، ومحمود فهمي حجازي، كتب اللغة العربية للمدارس الحكومية في ماليزيا، الورقة قدّمت في ندوة تطوير تعليم اللغة العربية في ماليزيا، نظمتها الجامعة الإسلامية العالمية بالتعاون مع وزارة التربية الماليزية ومعهد العلوم الإسلامية والعربية السعودي بجاكرتا، في الفترة ٢٥-٢٧ أغسطس ١٩٩٠م، ص ٦.

Mackey, William F.: *Language Teaching Analysis*. Essex: Longman, 1965, at. 170.

"اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب"^(١).

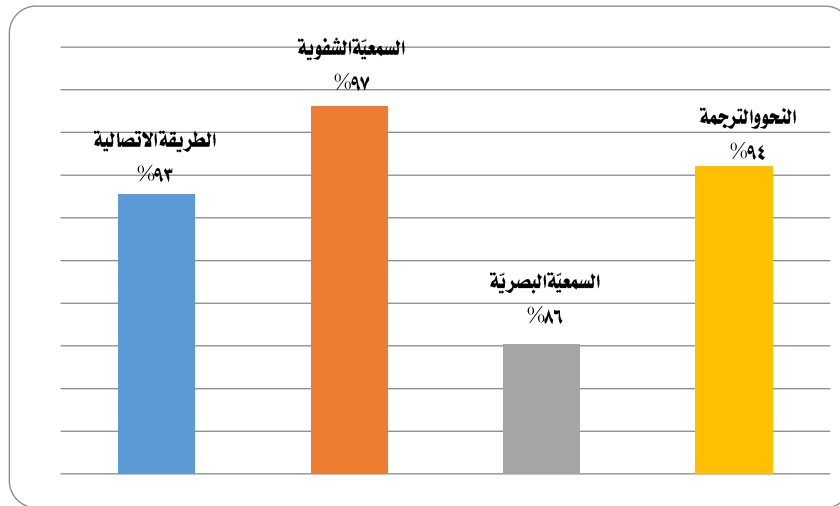
فمن المهم بعد اختيار الكلمات المناسبة للدارسين، وضعها في مقرر لتعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية بطرق صحيحة ومتناسقة، ومن أهمها^(٢):

١. انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج. ٢، ص ٧٢٢.
٢. ميكائيل إبراهيم، إستراتيجية تعلم المفردات العربية وأثرها على اكتساب مهارتي الكتابة والمحادثة لدى طلبة جامعة العلوم الإسلامية الماليزية: دراسة ميدانية تجريبية، في: أحمد شيخ عبدالسلام، إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، ج. ٢، (كوالالمبور: دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، ط. ١، ٢٠٠٧م)، ص ٤٢٧-٤٢٨، ومحمود إسماعيل صيني وآخرون، العربية للناشئين، ج. ٤، (المملكة العربية السعودية: دار عكاظ، د. ط، د. ت)، وباهيج مولا هويجه (Bahige Mulla Huech)، طارق: الدورة العربية الأساسية بوسيلة الحاسوب، (مكة المكرمة: ديداكو، د. ط، د. ت)، ومحمد زكي بن مت وآخرون، اللغة العربية الاتصالية للسنة الثانية، (كوالالمبور: ديوان بهاس دان بوستاك، د. ١، ٢٠٠٣م)، وعبدالكريم الحيارى وآخرون، لغتنا العربية، (عمان: وزارة التربية والتعليم، ط. ١، ١٩٩٤م)، وإسلام يسري علي، سلسلة العربية للعالم، ونورلي محمد نور، اللغة العربية السهلة، (ماليزيا: AE Books Enterprise، ط. ١، ٢٠٠٩م)، ص ٣ و ١٠، وصالح بوعلي وآخرون، سلسلة الأمل: القراءة والتعبير، المستوى الرابع، غرناطة للنشر والتوزيع، ط. ١، ٢٠٠٥م، ص ٥، ومحمد علي أبو حمدة وآخرون، لغتنا العربية: الصف السادس، الجزء الثاني، (الأردن: وزارة التربية والتعليم، ط. ١، ١٩٩٢م)، ص ١١، ومحمد فوزي يوسف وآخرون، القاموس الفريد، (ماليزيا: Telaga Biru Sdn. Bhd، ط. ١، ٢٠٠٩م)، ص ٥٦١-٥٧٢، و Mary E. Curtis, *The role of vocabulary Instruction in Adult basic Education*, at. 63-64.

- أ. تحديد متوسط عدد المفردات التي تُضاف إلى كلّ درس تقريباً. وغالباً ما يتراوح عدد المفردات الجديدة المقدّمة في درس واحد حول خمس إلى عشر كلمات فقط.
- ب. تقديم أمثلة للمفردات الجديدة في جمل مختلفة تحمل السياقات المختلفة لها. والتدريب على الأنشطة الكتابية لاتساع الفهم.
- ج. تنمية المفردات العربية عن طريق المتضادات، والمترادفات، ومعرفة معان جديدة لكلمة واحدة (المشترك اللغوي)، وفهم معاني الكلمات من السياق.
- د. الاقتران بالصورة الدالة عليها خاصة للمستوى المبتدئ. وتستخدم الصور كذلك لتنمية المفردات بأضدادها، ومرادفها، وجمعها، واستبدالها من المذكر إلى المؤنث، ومن الماضي للمضارع للأمر، ومن المتعدي لل لازم، ومن المجرد للمزيد، ويكون منها الجمل والعبارات.
- هـ. تحليل الكلمات الجديدة بالتدريب على تجريدتها، ووصلها، وتركيبها، واشتقاقها.
- و. تدريب الدارسين على ترتيب الكلمات في جمل مفيدة.
- ز. تكرار الكلمات الجديدة الواردة في درس واحد.
- ح. إعادة الاستخدام للكلمات التي سبق تدريسها في دروس سابقة للدروس التي تليها.
- ط. وضع الكلمات في قائمة إما في بداية الدرس، أو في نهايته، أو في هامش الصفحة، وإعداد المسرد أو قاموس للمفردات الجديدة لكل درس في نهاية الكتاب مع شرح المعنى ليتعرف عليها الدارسون.
- ي. تكرار المفردات وترابطها في جميع الدروس في الكتاب.

وتعرض المفردات العربية الجديدة للدارسين الكبار استناداً إلى شيوخ استخدامهما في حياتهم الثقافية والاجتماعية لسهولة الفهم، وكذلك النصوص من القرآن والحديث لتحقيق أهدافهم في فهم الدين، مع مراعاة التكرار من أجل التذكر.

وإلى جانب ذلك، يجب التنوّع في طرق عرض الدروس الذي تُنمّي قدرة الدارسين الكبار على تعلّم اللغة العربية. ويشير الجدول الآتي إلى طرق التدريس المفضلة لديهم^(١):



شكل (٢): طريقة التدريس المفضلة لدى الدارسين الكبار لتعلّم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية.

١. انظر: محمد طه عارفين، منهج مقترح لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية للكبار في ماليزيا، ص ٥٩.

يتبين من النتائج في شكل (٢) أنّ الدارسين الكبار يفضلون كلّ طرق التدريس التي سبق ذكرها فيه؛ لأنّ النسبة التي تشير إليها تتراوح بين ٨٦%-٩٧%. وذلك لأنّ التنوع في طريقة التدريس يؤدي إلى استيعاب أكثر لمحتوى المادة المدروسة.

قياس أداء الدارسين في تعلّم المفردات العربية بوصفها لغة ثانية.

تُقاس قدرة الدارسين وتنميتهم اللغوية بالتدريبات، والواجبات المنزلية، والأنشطة المتنوعة، والاختبارات للتعرف على مدى فهمهم للدروس وتحقيقهم لأهداف التعلم^(١). وتشير هذه الدراسة إلى أنّ أفضل التدريبات للكبار هي التكرار ليتم التذكر أو الحفظ، والترجمة من اللغة العربية إلى لغة الدارسين الأم وبالعكس، ومطابقة الكلمات، واستبدالها من حيث الأسماء، والأفعال. ويجب أن تكون هذه التدريبات متوازنة ومتنوعة، وتهتمّ بالفروق الفردية بين الدارسين.

١. محمد طه عارفين، منهج مقترح لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية للكبار في ماليزيا، ورشدي أحمد طعيمة، التخطيط والتنظيم والإدارة لبرامج تعليم الكبار، تعليم الكبار: تخطيط برامج، تدريس مهاراته، إعداد معلمه، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٩م)، ١٧-٥٨، ومحمود كامل الناقه، ورشدي طعيمة، الكتاب الأساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ص٤٧-٦٠، وعلي القاسمي، الكتاب المدرسي لتعليم العربية لغير الناطقين بها، ص٩٩-١٠٥.

David R. A. Litz, Textbook evaluation and ELT management: A South Korean case study, Asian EFL Journal, 21 November 2010, http://www.asian-efl-journal.com/Litz_thesis.pdf, at 13, retrieved on 29 November 2010, and Joshua Miekly, ESL Textbook evaluation checklist, The reading matrix, Vol. 5, No. 2, September 2005.

ولقد استنتج الباحثان من المناقشة السابقة أنّ المفردات هي لبّ اللغة العربية سواء أكانت تُعلّم بوصفها لغة أولى أم لغة ثانية؛ لأنها أساس التعبير الشفوي والتحريري، ووسيلة لفهم النصوص.

ويتمّ اختيار المفردات للدارسين الكبار نظراً إلى خلفياتهم النفسية، والاجتماعية، والثقافية، واللغوية، والتربوية. ويجب أن تسعى المفردات إلى أهداف التفقه في الدين، والتواصل مع الناس الآخرين. ويُستحسن أن تُعرض المفردات للدارسين الكبار مُراعاة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وتكرار الكلمات الجديدة في كل درس من الدروس، واستخدامها في التعبيرات السهلة شفهياً وتحريراً حول مواقف الحياة اليومية للدارسين الكبار، ومصاحبة الدروس بالصور الملونة الواضحة. ومن الضروري إعداد التدريبات والواجبات المنزلية، والاختبارات لمعرفة مدى فهم الدارسين الكبار نحو المفردات المدروسة واستيعابها، ولتمكينهم من استخدامها بصورة صحيحة سليمة. ويُعزّز استخدام المفردات استماعاً وكلاماً وقراءةً وكتابةً بحسن اختيارها لمستوى الدارسين التعليمي.

الاقتراحات والتوصيات.

لقد ناقش الباحثان في هذه الدراسة مقرر تعليم المفردات العربية بوصفها لغة ثانية للكبار مستنداً إلى الأهداف، والمحتوى، وطرق عرضه، وطريقة القياس والتقويم. واستفادوا منها لوضع المقرر المناسب لهم، كما هو موضح في الجدول الآتي^(١):

١. انظر: رشدي طعيمة، دليل عمل، ص ٥، وجير ولد كمب، تصميم البرامج التعليمية، ص ٣٢، و Mager, Robert F, *Menyediakan Objektif Pengajaran*, translated by: Razmah Man, (Kuala Lumpur: Institute Terjemahan Negara), 1st ed., (2009), at. 13.

م	العنصر	البيان	المستوى			
			الأول	الثاني	الثالث	الرابع
أ-	أهداف الدارسين الكبار لتعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية:	١- معرفة الكلمات الوظيفية المتداولة حول حياة الدارسين الكبار.	√	√	√	√
		٢- معرفة الكلمات الشائعة في الأحداث المعاصرة.	√			
		٣- معرفة الكلمات المهمة السهلة في الصلاة، والأدعية، والأذكار.	√	√	√	
		٤- الإلمام بالكلمات المهمة عن أحداث وشخصيات في التاريخ الإسلامي.	√	√		
ب-	نوعية المحتويات:	٥- البيئة الاجتماعية للدارسين الكبار.	√	√	√	
		٦- البيئة الإسلامية الاجتماعية مع مراعاة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأدعية، والأذكار.	√	√	√	
		٧- المفردات الاتصالية ذات الوظيفة المهمة في حياة الدارسين اليومية.	√	√	√	√
		٨- المفردات المقتبسة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية.	√	√	√	
		٩- المفردات المعاصرة في الصحف والجرائد.	√			
		١٠- يتم عرض المفردات الجديدة بالاستعانة بالصور الملونة، وتكرار ٥-٢ كلمات مدروسة في درس جديد.	√			
		١١- يتم عرض المفردات الجديدة في جملة قصيرة مصاحبة بالصور الملونة، وتكرار ٥-٢ كلمات مدروسة في درس جديد.		√		

	√			١٢- يتمّ عرض المفردات الجديدة من خلال جُمْل في فقرة قصيرة مصاحبة بالصّور الملونة، وتكرار ٢-٥ كلمات مدروسة في درس جديد.		
√				١٣- يتمّ عرض المفردات الجديدة من خلال النصوص القصيرة المصاحبة بالصّور الملونة، وتكرار ٢-٥ كلمات مدروسة في درس جديد.		
		√	√	١٤- التعبيرات السهلة شفهيّاً.		
	√			١٥- التدريب على الحوار في مواقف الحياة اليومية للدارسين الكبار.		
√				١٦- التدريبات التطبيقية، وهي: الحوار، ومناقشة الموضوع المعين وتقديمها في حجرة الدراسة.		
			√	١٧- قراءة الكلمات المصاحبة بالصّور الملونة.		
		√		١٨- قراءة الجُمْل القصيرة المصاحبة بالصّور الملونة واستيعابها.		
	√			١٩- قراءة النصوص المصاحبة بالصّور الملونة في فقرة واحدة تتكون من سبعة أسطر.		
√				٢٠- قراءة النصوص في فقرة قصيرة تتراوح بين عشرة أسطر مصحوبة بالصّور الملونة.		
√	√			٢١- التدريب على مهارة استخدام المعجم.		

ج-	طرق التدريس المفضلة لدى الدارسين الكبار	٢٢- الطريقة الاتصالية	√	√	√	√
		٢٣- الطريقة السمعية الشفوية	√	√	√	√
		٢٤- الطريقة السمعية البصرية	√	√		
		٢٥- طريقة النحو والترجمة	√	√	√	√
د-	مصاحبات المقرر لتعليم المفردات العربية	٢٦- كراسة التدريبات للمفردات	√	√	√	√
		٢٧- قرص مبرمج	√	√	√	√
		٢٨- معجم مصور	√	√		
		٢٩- كتب قرائية إضافية	√	√		
		٣٠- معجم ثنائي اللغة المشتمل على نماذج استخدام الكلمات في جمل صحيحة.	√	√		
المجموع الكلي لعناصر مقرر تعليم المفردات العربية للدارسين الكبار			٤٠%	٥٠%	٦٠%	٦٧%

الجدول (٢) :

نتائج الدراسة في عناصر المقرر لتعليم المفردات العربية للدارسين الكبار يظهر في الجدول السابق: أن نتائج الدراسة في عناصر المقرر لتعليم المفردات العربية للدارسين الكبار تكون أكثر للمستوى الرابع مع النسبة ٦٧%. وذلك عندما زادت قدرة الدارسين على استخدام اللغة، ستتتوَّع الدروس المقدَّمة لهم. وأما بالنسبة للمستوى الأول، فنسبة عناصر المقرر فيه أقل وهي ٤٠%، ربما لأن المفردات المدروسة محدودة جداً نظراً إلى غياب خلفية الدارسين في تعلُّم اللغة العربية. في ضوء ما تقدَّم من النقاش، يقدِّم الباحثان بعض الاقتراحات الضرورية والمهمة لتحسين كتب سلسلة "العربية لغتنا" وتطويرها، كما هي موضَّحة في الجدول الآتي:

أولاً: مقترحات لتحسين الكتاب الأول.

جدول (٣): الاقتراحات لتحسين الكتاب الأول.

المجال	المقترحات
الأهداف المنشودة لدروس الكتاب	١- إعداد مقدّمة لكلّ درسٍ في الكتاب توضح للدارسين أهداف الدرس والنواتج التي سيحققونها في نهاية الدرس.
عناصر اللغة في الكتاب	١- ضرورة التكرار للمفردات الجديدة، حوالي ٢-٥ من المفردات التي تمّ تعلّمها في درسٍ سابق مع إضافة ٢-٥ كلمات جديدة في درسٍ جديد. ٢- إضافة قائمة بالكلمات الجديدة مع ترجمتها إلى لغة وسيطة في كل درسٍ، وتوضيح حروفها الأصلية ليُسهل على الدارسين البحث عنها في المعجم. ٣- تدريس القواعد النحوية المعيّنة وشرحها باختصار حتى يفهمها الدارسون قبل مرور بالتدريبات.
المهارات اللغوية في الكتاب	١- زيادة دروس مهارة الاستماع في الكتاب ودعمها بإعداد القرص المضغوط لتسجيل الأصوات حتى يستفيد منها الدارسون. ٢- إضافة تدريبات لكل موضوع في الكتاب خاصة مهارة الكلام في الحوارات المناسبة فيه عن طريق التكرار، والاستبدال. ٣- تدريس مهارة الكتابة بالتعرف على طريقة كتابة الحروف الهجائية في أشكالها ومواقعها المختلفة، والتدريب على الإملاء المنقول للتدريب على الكتابة العربية التي تبدأ من اليمين إلى اليسار.

التدريبات اللغوية في الكتاب	١- ترجمة تعليمات التدريبات إلى اللغة الوسيطة كاللغة الملايوية أو اللغة الإنجليزية لسرعة الفهم لدى الدارسين الكبار. ٢- إضافة التدريبات على كتابة الجمل القصيرة، لأنّ الدارسين الكبار في هذا المستوى لا يعرفون كيفية بناء الجمل البسيطة بطريقة صحيحة. ٣- إعداد الواجبات المنزلية البسيطة لتنمية اللغة العربية لدى الدارسين الكبار.
تنظيم محتويات الكتاب	١- تحسين الدروس في الكتاب بتنظيمها حتى تكون مترابطة بينها. ٢- تزويد فهم النصوص بالصور الكبيرة والملوّنة الموضّحة لها. ٣- اختيار الموضوعات الملائمة لحياة الدارسين الكبار. ٤- التنوع في طرق عرض محتويات الكتاب بالطريقة السمعية الشفوية، وطريقة النحو والترجمة، والطريقة الاتصالية، والطريقة السمعية البصرية لأنها من الطرق التي يُفضّلها الكبار.
فترة تدريس الكتاب	١- زيادة الساعات التدريسية للكتاب من ٤ ساعات في الأسبوع إلى ٨ ساعات لأن الكبار يحتاجون إلى زمن طويل للتدريب على اللغة العربية.
تقويم اللغة العربية لدارسين	١- إعداد نموذج من أسئلة الاختبار التحصيلي حتى يستعدّ الدارسون الكبار لأنواع الأسئلة فيه.

ثالثاً: مقترحات لتحسين الكتاب الثاني

جدول (٤): الاقتراحات لتحسين الكتاب الثاني

المجال	المقترحات
الأهداف المنشودة في الكتاب	١- إعداد مقدّمة لكل درس في الكتاب توضح للدارسين أهداف الدرس والنواتج التي سيحققونها في نهاية الدرس.
عناصر اللغة في الكتاب	١- إضافة تدريبات الأصوات العربية في الكتاب مع الاهتمام بمهارة النطق لتحقيق هدف الكلام لدى الكبار. ٢- إفهام الدارسين للمفردات الجديدة بتوضيحها في سياقات مناسبة ومختلفة في جمل صحيحة. ٣- تدريس القواعد النحوية المعيّنة وشرحها، وتقديم نماذج تطبيقية لها. ٤- إضافة المواد الصرفية المهمة حتى يستطيع الدارسون تطبيقها في كتابة الجمل والفقرات. ٥- تقديم النماذج للكلمات والجمل وقواعدها النحوية من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأدعية اليومية. ٦- تغيير الكلمات النادرة إلى الكلمات الشائعة والمهمة والمألوفة لدى الدارسين الكبار. ٧- ضرورة تكرار المفردات الجديدة، حوالي ٢-٥ من المفردات التي تمّ تعلمها في درس سابق مع إضافة ٢-٥ كلمات جديدة في درس جديد.
المهارات اللغوية في الكتاب	١- إضافة تدريبات لمهارتي الاستماع والكلام لأنهما لا تتوفران في الكتاب.
التدريبات اللغوية في الكتاب	١- إضافة تدريبات المفردات خاصة تدريبات الحفظ لتعزيز المفردات لدى الدارسين الكبار.

٢- زيادة التدريبات المتعلقة بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وتطبيقها، وتمثيل النصوص، وتدريبات الإملاء. ٣- زيادة تدريبات كتابة الجمل والفقرات بصورة صحيحة، لأن الدارسين الكبار في هذا المستوى يحاولون فهم كيفية بناء الجمل والفقرات البسيطة بطريقة صحيحة. ٤- إعداد الواجبات المنزلية البسيطة لتنمية اللغة العربية لدى الدارسين الكبار.	
١- تزويد النصوص بالصور والرسوم الملونة المؤشحة لها تعزيزاً لفهم الدارسين الكبار لها. ٢- تحسين الكتاب بتباعد الفقرات بالمسافة التي تسمح للدارسين بكتابة المذكرات والتعليقات. ٣- تبسيط النصوص بأن تكون في فقرة واحدة ولا تتجاوز نصف صفحة. ٤- التنوع في طرق عرض محتويات الكتاب بالطريقة السمعية الشفوية، والطريقة الاتصالية، والطريقة السمعية البصرية، مع الاهتمام بالوسائل التعليمية الحديثة. ٥- تزويد الدارسين بكراسة التدريبات، وكتب قرائية إضافية، والقرص المضغوط.	تنظيم محتويات الكتاب
١- زيادة الساعات التدريسية للكتاب من ٤ ساعات في الأسبوع إلى ٨ ساعات تناسب المقرر فيه، وتلائم طبيعة الكبار التي تحتاج إلى زمن طويل للتدريب على اللغة العربية.	فترة تدريس الكتاب
١- إعداد نموذج من أسئلة الاختبار التحصيلي حتى يستعد الدارسون الكبار لأنواع الأسئلة فيه.	تقويم اللغة العربية للدارسين في الكتاب

رابعاً: مقترحات لتحسين الكتاب الرابع.

جدول (٥): الاقتراحات لتحسين الكتاب الرابع.

المقترح	الشرح
الأهداف المنشودة للدروس في الكتاب	١- إعداد مقدمة لكل درس في الكتاب توضح للدارسين أهداف الدرس والناتج التي سيحققونها في نهاية الدرس.
عناصر اللغة في الكتاب	١- تقليل عدد المفردات الجديدة في كل درس، وتبسيط مستواها ليتمكن الدارسون من فهمها واستيعاب معانيها. ٢- تنوع التدريبات على المفردات الجديدة مع الاهتمام بتوظيفها لتحقيق هدف الاتصال لدى الدارسين الكبار. ٣- إضافة المواد الصرفية المهمة حتى يستطيع الدارسون تطبيقها في كتابة الجمل والفقرات. ٤- إضافة التدريبات التي تعزز مهارة استخدام الكلمات خاصة فيما يتعلق بالاشتقاق وأحرف الزيادة. ٥- تجنب من الكلمات النادرة في الكتاب، وتغييرها إلى الكلمات الشائعة والمهمة والمألوفة لدى الدارسين الكبار.
المهارات اللغوية في الكتاب	١- تحسين المحتوى اللغوي للكتاب لملاءمة اهتمامات الدارسين الكبار للكلام بالعربية. ٢- زيادة التدريبات على مهارة الاستماع لفهم المواقف العامة بتخيل الأحداث التي يتناولها المتكلم في حديثه؛ لأن مهارة الاتصال تحتاج إلى التعامل في المواقف التي تستدعي الانتباه إلى الكلام المسموع. ٣- الاهتمام بمهارة الكلام وتنميتها لدى الدارسين الكبار بزيادة عدد التدريبات التطبيقية لتحقيق هدف الاتصال.

	٤- إعداد جزء خاص للتدريب على الكلام بإعطاء حرية للدارسين لاختيار موضوع من الموضوعات المعاصرة، وتتم مناقشته وعرضه في الفصل. ٥- تحسين تدريبات مهارة القراءة باستخراج الأفكار الرئيسة من النصوص المقروءة، وتدريبات على القراءة الحرة.
التدريبات اللغوية في الكتاب	١- عرض تعليمات التدريبات باختصار ويُسّر. ٢- التوازن في عرض التدريبات التطبيقية لمهارات اللغة وعناصرها. ٣- إعداد الواجبات المنزلية البسيطة لتنمية اللغة العربية لدى الدارسين الكبار.
تنظيم محتويات الكتاب	١- تزويد الدارسين بالصور والرسوم الكبيرة والملونة المؤنّحة لها لفهم النصوص. ٢- تحسين الكتاب بتباعد الفقرات بالمسافة التي تسمح للدارسين بكتابة المذكرات بينها. ٣- التنوع في طرق عرض محتويات الكتاب بالطريقة السمعية الشفوية، والطريقة الاتصالية، والطريقة السمعية البصرية، مع الاهتمام بالوسائل التعليمية الحديثة. ٤- إعداد مصاحبات الكتاب كقرص مبرمج، وكراسة التدريبات، ومرشد المعلم، وإعداد قائمة مواقع الإنترنت لتعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية تشجّع الدارسين على التعلم الذاتي.
فترة تدريس الكتاب	١- زيادة الساعات التدريسية للكتاب من ٤ ساعات في الأسبوع إلى ٨ ساعات تناسب المقرر فيه، وتلائم طبيعة الكبار التي تحتاج إلى طول الزمن للتدريب على اللغة العربية.
تقويم اللغة العربية للدارسين	١- إعداد أنموذج من أسئلة الاختبار التحصيلي حتى يستعدّ الدارسون الكبار لأنواع الأسئلة فيه.

خامساً: الاقتراحات لإدارة معهد تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية للكبار

١. تكوين لجنة متخصصة تتولى تخطيط إعداد المناهج والكتب المقررة تخطيطاً دقيقاً اعتماداً على الدراسات النفسية، والثقافية، والاجتماعية، واللغوية، والتربوية للكبار، حتى يكون هذا العمل أكثر تركيزاً مُحققاً الأهداف المرجوة.

٢. الاهتمام بكفاءة المؤلفين ومؤهلاتهم العلمية والتربوية، وبالخبرات الطويلة في مجال تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية للكبار، ومن الأفضل أن يكونوا من أبناء المجتمع المحلي حتى يفهموا عاداتهم، وتقاليدهم ومن ثم ربط اللغة العربية بهذه العادات والتقاليد، واختيار الكلمات، والتعابير، والتراكيب المناسبة لهم.

سادساً: توصيات للدراسات المستقبلية

بناءً على مناقشة النتائج السابقة، يقدم الباحثان بعض التوصيات لإجراء الدراسات المستقبلية وهي على النحو الآتي:

١. إجراء الدراسات النفسية، والاجتماعية، والثقافية، واللغوية، والتربوية الخاصة للكبار بماليزيا.

٢. تصميم وحدات الدروس للدارسين الكبار بماليزيا حسب المقرر المقترح في هذه الدراسة.

٣. إجراء دراسة لمعرفة مدى تأثير التكرار لتنمية اللغة العربية لدى الدارسين الكبار.

٤. تصميم المبرمجات العربية التي تشمل دروس اللغة العربية ليسهل على الدارسين الكبار متابعتها.

الخاتمة

لقد أجرى الباحثان هذه الدراسة حول تعليم اللغة العربية بوصفها لغةً ثانيةً للكبار في معهد تنمية اللغة بمركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا والتي تساهم في تقويمه وتطويره من خلال استطلاع آراء الدارسين، والمدرسين، والخبراء. ولعل نتائج الدراسة هذه تفيد الآخرين في مجال تعليم اللغة العربية بوصفها لغةً ثانيةً للكبار في جوانبها المتعددة، وهي قد تختلف وتتغير حسب اهتمامات الدارسين والبيئة الدراسية التي ينتمي إليها الدارسون.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربية:

- إبراهيم، ميكائيل. (٢٠٠٧م). **إستراتيجية تعلّم المفردات العربية وأثرها على اكتساب مهارتي الكتابة والمحادثة لدى طلبة جامعة العلوم الإسلامية الماليزية: دراسة ميدانية تجريبية**، في: عبد السلام، أحمد شيخ. **إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية**، ج.٢، (الطبعة الأولى). كوالا لمبور: دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة.
- ابن خلدون، (١٩٨٤م). **المقدمة**. (الجزء الثاني). الدار التونسية للنشر.
- أبو حمدة، محمد علي. (١٩٩٢م). **لغتنا العربية**، الصف السادس، الجزء الثاني، (الطبعة الأولى)، الأردن: وزارة التربية والتعليم.
- أبو القاسم محمد نجيب، **تعليم الكبار في تنمية المجتمع المحلي**، ورقة قُدِّمت للمشغل التربوي ومديرات ومعلمي ومعلمات مراكز محو الأمية وتعليم الكبار بالمنطقة الداخلية، سلطنة عمان.
- أبو قرجة، منى كنتباي. (١٩٨٣م). **الأسس النفسية لتعليم اللغة العربية للكبار من غير الناطقين بها**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الدول العربية، الخرطوم.
- بركة، محمد زيد. (١٩٩١م، يوليو). **مكانة اللغة العربية للناطقين بها والناطقين بغيرها وعلاقتها باللغة المحلية**. الورقة المقدّمة في مؤتمر حول نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة التي أُقيمت في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان.

- بوعلي، صالح. (٢٠٠٥م). سلسلة الأمل: القراءة والتعبير، المستوى الرابع. (الطبعة الأولى). غرناطة للنشر والتوزيع.
- جامعة أم القرى، تعليم العربية للناطقين بغيرها: الكتاب الأساسي، (المملكة العربية السعودية: وزارة التعليم العالي).
- حسن، طاهر أحمد. (١٩٨٣م). وحدة دروس نموذجية للمبتدئين الكبار في بنغلاديش. رسالة الدبلوم غير منشورة، جامعة الدول العربية، الخرطوم.
- الحيارى، عبد الكريم. (١٩٩٤م). لغتنا العربية. (الطبعة الأولى). عمان: وزارة التربية والتعليم.
- سعد الحميدي، عبد الرحمن. (١٩٩٢م). مدخل إلى تعليم الكبار. (الطبعة الأولى). الرياض: المملكة العربية السعودية.
- صيني، محمود إسماعيل. العربية للناشئين. ج. ٤، المملكة العربية السعودية: دار عكاظ.
- طعيمة، رشدي أحمد. (١٩٨٥م). دليل عمل في إعداد المواد التعليمية لبرامج تعليم العربية. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
- طعيمة، رشدي أحمد. (١٩٨٩م). تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه. (الطبعة الأولى). الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو".
- طعيمة، رشدي أحمد. (١٩٩٩م). التخطيط والتنظيم والإدارة لبرامج تعليم الكبار. في طعيمة، رشدي أحمد. تعليم الكبار: تخطيط برامج، تدريس مهاراته، إعداد معلمه (ص. ١٧-٥٨). القاهرة: دار الفكر العربي.

- عارفين، محمد طه. (١٩٩٤م). (منهج مقترح لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية للكبار في ماليزيا المستوى الابتدائي). رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالا لمبور.
- عبد الله، عبد الحميد. أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية. الرياض: دار الغالي.
- علي، إسلام يسري. (٢٠٠٩م). سلسلة العربية للعالم. (الطبعة الأولى). القاهرة: مركز الديوان.
- علي، حجاج. (١٩٨٠م). اللغة الأجنبية: تعلمها وتعليمها. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
- عمر، سام. (٢٠٠٥م، نوفمبر). التجديد في تعليم اللغة العربية للكبار: الطريقة التواصلية أنموذجاً. الورقة القدمة في ندوة عن العلوم التربوية والنفسية: تحديات وتطبيقات مستقبلية التي أقيمت في جامعة اليرموك، الأردن.
- القاسمي، علي. (١٩٨٠م). الكتاب المدرسي لتعليم العربية لغير الناطقين بها. في: صيني، محمود إسماعيل، والقاسمي، - علي محمد، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها (ص. ٧٥-١٠٨). الرياض: عمادة شؤون المكتبات.
- قباوة، فخر الدين. (١٩٩٩م). المهارات اللغوية وعروبة اللسان، (الطبعة الأولى)، دمشق: دار الفكر.
- ماريوباي. (١٩٨٧م). أسس علم اللغة. ترجمة أحمد مختار عمر. القاهرة: عالم الكتب.

- مت، محمد زكي. (٢٠٠٣م). اللغة العربية الاتصالية للسنة الثانية، (الطبعة الأولى)، كوالا لمبور: ديوان بهاس دان بوستاك.
- محمد زيد بركة، مكانة اللغة العربية للناطقين بها والناطقين بغيرها وعلاقتها باللغة المحلية، (ورقة قُدمت في المؤتمر "نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة"، عمان: المملكة الأردنية الهاشمية.
- مذكور، علي أحمد. (١٩٩٦م). منهج تعليم الكبار: النظرية والتطبيق، (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الفكر العربي.
- مذكور، علي أحمد. (٢٠١٠م). المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، (الطبعة الأولى). القاهرة: دار الفكر العربي.
- موهيندو، فيصل مسعود. (٢٠١٠م). حاجات الدارسين الماليزيين الكبار في تعليم اللغة العربية بوصفها لغة أجنبية: دراسة وصفية وتحليلية. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالا لمبور.
- الناقة، محمود كامل. (١٩٨٥م). خطة مقترحة لتأليف كتاب أساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في: الرشيد، محمد الأحمد. وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. (ص ٢٣٧ - ٢٨١). الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- الناقة، محمود كامل. الكتاب الأساسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، إعدادة وتحليله وتقويمه. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
- نجيب، أبو القاسم محمد. (١٩٩٣م، نوفمبر). تعليم الكبار في تنمية المجتمع المحلي. الورقة المقدّمة للمشغل التربوي ومديرات ومعلمي

ومعلمات مراكز محو الأمية وتعليم الكبار بالمنطقة الداخلية التي أُقيمت في سلطنة عمان.

- نور، نورلي محمد، (٢٠١٠م). حوار اللغة العربية السهلة، الكتاب الأول، (الطبعة الأولى). ماليزيا: AE Books Enterprise.

- هويجة، باهيح مولا، طارق، مكة المكرمة: الدورة العربية الأساسية بوسيلة الحاسوب.

- يوسف، محمد فوزي. (٢٠٠٩م). القاموس الفريد. (الطبعة الأولى). ماليزيا: Telaga Biru Sdn. Bhd.

- El-Naqah, Mahmoud Kamil (1985). A proposal for writing a basic book for teaching Arabic to non-Arabic speakers (in Arabic). In: Al-Rasheed, Mohammed Al-Ahmad. Proceedings of seminars for teaching Arabic to non - native speakers. (Pp. 237-281). Riyadh: Arab Bureau of Education for the Gulf States.
- El-Naqah, Mahmoud Kamil (no year). Basic book for teaching Arabic language to speakers in other languages, preparation, analysis and evaluation(in Arabic). Mecca: Umm Al-Qura University.
- Najib, Abu al-Qasim Mohammed. (1993, November). Adult education in community development (in Arabic). The paper presented to the educational operator and the directors, teachers and teachers of literacy centers and adult education in the internal region established in the Sultanate of Oman.
- Nur, Nurly Mohammed (2010). Dialogue of the Easy Arabic Language (in Arabic), Vol. 1, (First Edition). Malaysia: AE Books Enterprise.
- Hawija, Bahij Mulla, Tariq (no year). Makkah: Basic Arabic course by computer (in Arabic).
- Yusuf, Mohammed Fawzi. (2009). The unique dictionary (in Arabic). First edition. Malaysia: Telaga Biru Sdn. Bhd.

- Omar, Sam. (2005, November). Reform in Teaching Arabic to Adults: The Communication Method is a Model (in Arabic). The paper was presented at a seminar on educational and psychological sciences: Future Challenges and Applications held at Yarmouk University, Jordan.
- Al - Qasimi, Ali. (1980). Textbook to teach Arabic to non - native speakers (in Arabic). In: Siniy, Mahmoud Ismail, Qasimi, Ali Muhammad, Scientific Record of the First International Symposium on Arabic Teaching for Non-Speakers (pp. 75-108). Riyadh: Deanship of Library Affairs.
- Qabbawah, Fakhreddin (1999). Language skills and Arabism (in Arabic), first edition, Damascus: Dar al-Fikr.
- Maribay. (1987). Foundations of linguistics (in Arabic). Translated by Ahmed Mokhtar Omar. Cairo: The World of Books.
- Mat, Mohammed Zaki. (2003). Communication Language for the Second Year (in Arabic). First Edition, Kuala Lumpur: Diwan Bhas Dan Postak.
- Mohammed Zaid Baraka (no year). The Status of Arabic Language for Speakers and Non-Speakers and their Relation to the Local Language (in Arabic). Paper Presented at the Conference Towards Building Contemporary Islamic Educational Theory, Amman: The Hashemite Kingdom of Jordan.
- Madkour, Ali Ahmed. (1996). Adult Curriculum: Theory and Practice (in Arabic), First Edition. Cairo: Arab Thought House.
- Madkour, Ali Ahmed. (2010). Reference in Arabic Language Curriculum for Speakers of Other Languages (in Arabic). First Edition. Cairo: Arab Thought House.
- Mohindo, Faisal Massoud. (2010). The Needs of Malaysian Senior Learners in Teaching Arabic as a Foreign Language: A descriptive and analytical study (in Arabic). Master Dissertation, International Islamic University Malaysia, Kuala Lumpur.

- Hiyari, Abdul Karim. (1994). Our Arabic Language (in Arabic). (First edition). Amman: Ministry of Education.
- Saad Al-Humaidi, Abdul Rahman. (1992). Introduction to Adult Education (in Arabic). (First edition). Riyadh, Saudi Arabia.
- Siniy, Mahmoud Ismail. Arabic For Boys (in Arabic). Kingdom of Saudi Arabia: Dar Ukāz.
- Tua'ima, Roshdy Ahmed. (1985). A working guide in the preparation of educational materials for Arabic education programs (in Arabic). Mecca: Umm Al-Qura University.
- Tua'ima, Roshdy Ahmed. (1989). Teaching Arabic to non - native speakers and methods (in Arabic). First edition. Rabat: Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization (ISESCO).
 - Tua'ima, Roshdy Ahmed. (1999). Planning, organizing and managing adult education programs (in Arabic). In Taima, Roshdy Ahmed. Adult education: planning his programs, teaching his skills, preparing his mentor (pp. 17-58). Cairo: Arab Thought House.
- Arifin, Mohamed Taha. (1994). Proposed curriculum for teaching Arabic as a second language to adults in Malaysia for primary level (in Arabic). Unpublished MA, Islamic International University of Malaysia, Kuala Lumpur.
- Abdullah, Abdul Hamid. The basics of preparing educational books for non-Arabic speakers (in Arabic). Riyadh: Dar Al-Ghali. Ali, Islam Yousry. (2009). Arabic series of the world. (First edition). Cairo: Diwan Center.
- Ali, Hajjaj. (1980). Foreign Language: Learn and teach (in Arabic) Kuwait: The World of Knowledge Series.

References

- Ibrahim, Mika'il (2007). The strategy of learning Arabic vocabulary and its impact on the acquisition of the skills of writing and conversation among the students of the University of Islamic Sciences of Malaysia: A field experimental study (in Arabic), in: Abdul Salam, Ahmed Sheikh. Contributions of language and literature in the civilization of the Islamic ummah (in Arabic), Vol. 2 (First Edition). Kuala Lumpur: Dār Al-Tajdīd for printing, publishing and translation.
- Ibn Khaldun, (1984). The introduction (in Arabic). (The second part). Tunisian Publishing House.
- Abu Hamda, Mohammed Ali. (1992). Our Arabic Language (in Arabic), 6th Grade, Part Two, (First Edition), Jordan: Ministry of Education.
- Abu Al-Qasim Mohammed Najib (no year). Adult education in community development (in Arabic). A paper presented to the educational operator and directors, teachers and teachers of literacy centers and adult education in the interior region, Sultanate of Oman.
- Abu Karja, Mona Kantbay. (1983). The psychological foundations of teaching Arabic to adults who are not native speakers (in Arabic). Unpublished MA thesis, League of Arab States, Khartoum.
- Bouali, Saleh. (2005). Hope Series: Reading and Writing (in Arabic), Level 4. (First edition). Granada for Publishing and Distribution.
- Umm Al-Qura University (no year). Arabic Teaching for Non-Native Speakers: Basic Book (in Arabic). Saudi Arabia: Ministry of Higher Education.
- Hassan, Tahir Hasan, Taher Ahmed. (1983). A typical lessons module for adult beginners in Bangladesh (in Arabic). Unpublished diploma dissertation, League of Arab States, Khartoum.

المصادر والمراجع الأجنبية

- Abdul Rahim Anuar. (January 15, 2009). Ekonomi Barat boleh Digugat. Retrieved on 19/10/2010. <http://www.ipislam.edu.my/index.php/artikel/read/712/Ekonomi-Barat-boleh-digugat>
- Asher, J.J, & Garnica, R,. (1969), The optimal age to learn a foreign language. *Modern language journal*, Vol. 53(5) 334-341. Wiley online Library. Retrieved on January 15, 2013. <http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1540-4781.1969.tb04603.x>
- Azhar M. Simin. (1990). *Psikolinguistik: Bahasa akal budi dan Dunia*. (1st. ed.). Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka.
- Brookfield, Stephen, (1995). Adult Learning: An Overview, in A. Tuinjmman. (4th ed.). *International Encyclopedia of Education*. Oxford: Pergamon Press..
- Collins. (2003). *Essential English Dictionary*. Glasgow: Harper Collins Publishers.
- Cramer, Duncan. (1998). *Fundamental Statistics for Social Research: Step-by-step calculations and computer techniques using SPSS for windows*. (1st. ed). New York: Routledge.
- Cunningsworth, Alan, (1995). *Choosing Your Coursebook*, Cambridge University Press.
- Curtis, Mary E. (2006). The role of vocabulary Instruction in Adult basic Education, in *Annual Review of Adult Learning and Literacy*. Vol. 6(1) 63-64. http://www.ncsall.net/fileadmin/resources/ann_rev/comings_ch3.pdf,
- Dai, Ming Sheng. (1996). Teaching English as a Second Language to Adults: From Theory to Practice. Unpublished doctoral dissertations. Kansas State University.

دلالات الزمن في (قنديل أم هاشم)

د. نزار عبد الله خليل الضمور(*)

د. أسماء محمد ذياب الزريقات(**)

الملخص

يهدف هذا البحث للكشف عن مواطن الجمال الفني في رواية (قنديل أم هاشم) من خلال عنصر الزمن، الذي يكاد يمثل شخصية رئيسة من شخصيات هذه الرواية؛ بما يحمله من تشابك فني مبدع مع عناصر القصة الأخرى، وما بثه فيه الكاتب من روح وحيوية ساهمت في زيادة التشويق لدى المتلقي.

وقد تبين أن الزمن كان فاعلاً في الأحداث، متفاعلاً مع الشخصيات من جهة الظاهر والباطن، أو الخارج والداخل، تظهر آثاره في أشكالهم كما تظهر في نفسياتهم، إضافة إلى الأثر الحيوي الجميل في الكشف عن هدف الرواية الرئيس وهو صراع الزمن الحضاري بين الشرق والغرب، أو بين الأصالة والمعاصرة.

(*) أستاذ مشارك/ قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الطفيلة التقنية.

(**) أستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الطفيلة التقنية.

Aesthetics of Time in (Qandil um Hashim)***Dr. Nizar Abdullah Al-Dhmour******Dr. Asma Mohammed Al-Zraiqa***

The current research paper uncovers the aesthetic value of time in the novel of Qandil Um Hashim. Time is personified as a major character in the plot of that novel. It artistically and creatively interrelates with the other elements of the work. The spirit and energy the writer places in time make the work more interesting and appealing to the reader.

The study finds that time effectively influences the progress of events as well as the conscious and unconscious beings of the characters through its interaction with them. Time also signifies conflicts between the civilizations of the east and west, modernity and traditions as a major objective of the novel.

تقديم:

الزمن عنصر أساسي من عناصر السرد الروائي؛ لكنه ليس عنصراً مستقلاً بذاته؛ لأنه يمتد في ثنايا الرواية منذ بدايتها وحتى النهاية، ثم هو يتلاحم مع العناصر الأخرى لتعمل كلها مجتمعة، ولكي تشكل "بناءً قصصياً متكاملًا، وتخلق عالماً متخيلاً، له وحدة فنية، وصورة متميزة في تاريخ النوع الذي ينتمي إليه"^(١)، ويبدو أن الدراسات العربية الحديثة التي تناولت الزمن الأدبي في الإبداع العربي قليلة؛ لأن "الأدب العربي المعاصر يجتري من ماضيه العتيق أكثر مما يغترف من حاضره الطريف"^(٢).

ومن هنا فإننا نجد الدراسات العربية الأولية للقصة والرواية تتحدث عن الزمن والمكان معاً، وتطلق عليهما عنصر البيئة^(٣)، ولا تفصل في كل منهما على حدة، مع أن "الكثيرين من الباحثين يؤكدون أن الزمن أعم وأشمل من المسافة (المكان)؛ لعلاقته بالعالم الداخلي للانطباعات والانفعالات والأفكار"^(٤)، إلا أنهما لا ينفصلان عن بعضهما وعن بقية العناصر إلا لدواعٍ منهجية فقط؛ لأن الزمن والمكان لا ينفصلان، فهما وحدة واحدة ويرتبط كل

(١) وادي، طه، دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٥١.

(٢) مرتاض، عبدالمك، بنية الخطاب الشعري، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، لبنان، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٥٧.

(٣) انظر: مريدن، عزيزة، القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، ص ٣٠.

وانظر: نجم، محمد يوسف، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ص ١٠٨.

(٤) المطلبي، مالك يوسف، الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٣.

منهما بالشخصيات، وتسلسل الأحداث، ويؤثر الزمن فيها جميعاً لأنه المحور الذي يمنح الرواية شكلها^(١).

إضافة إلى ذلك فإنه المحور الرئيس في تشكيل النصّ الروائي، إذ "يحدّد إلى حدّ بعيد طبيعة الرواية ويشكلها؛ بل إنّ شكل الرواية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعالجة عنصر الزمن، ولكلّ مدرسة أدبيّة تقنيّتها الخاصّة في عرضه"^(٢). وعليه فالزمن كامن في وعي الإنسان، غير أنّ كمونه في وعي الكاتب أشدّ، معتمداً على نوعين من الزمن هما: الزمن الأدبيّ والزمن النفسيّ، حيث يقترب مفهوم الزمن النفسيّ والفلسفيّ من الزمن الأدبيّ من خلال أداتين هما: الذاكرة والديمومة، فالذاكرة هي مستودع الأحداث الماضية، والديمومة هي السيّلان المستمرّ للزمن^(٣).

إلاّ أنّه يجب التفريق بين الزمن الفلسفيّ (Time) الذي يدلّ على زمن الوجود، والزمن اللّغويّ (Tense) الذي يدلّ على صيغ ذوات دلالات زمنيّة، أمّا الزمن الفلكيّ فهو آلة قياس الإنسان للأحداث والخبرات، فنحن مضطرونّ إلى ربط أعمارنا بالسّاعة التي تقيس أحد أبعاد الزمن، وكما أنّ للزمن الفلكيّ أبعاده وقياسه كذلك للزمن اللّغويّ أبعاده وقياسه، وهما يشتركان في الماضي والحاضر والمستقبل وهو الزمن الفيزيائيّ^(٤).

(١) القواسمة، محمّد عبدالله، البنية الروائيّة في رواية (مدن الملح) لعبد الرحمن منيف، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٩م، ص ٦٩، بتصرف.

(٢) قاسم، سيزا، بناء الرواية، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٢.

(٣) مبروك، مراد عبدالرحمن، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٥-٧ بتصرف.

(٤) يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، ط ٢، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٦١. وانظر: المطليبي، مالك يوسف، ص ١٠-١٣ بتصرف.

وفي إشارته إلى أهميّة إيجاد نظريّة لسانيّة للزّمن في الجملة العربيّة؛ يؤكّد يقطين وجود إشارات عميقة في دراسات القدماء تتجاوز التقسيم الثلاثيّ الكلاسيكيّ للزّمن، وتتعدّاه إلى محاولة معاينة بعض الخروجات التي تتمّ في الاستعمال اللّغوي، وانتباههم إلى أنّ منبع الزّمن هو الحال أو حاضر المتكلّم^(١).

أمّا مصطلح (الزّمن) فلم يرد لفظه في القرآن الكريم، وإنّما وردت ألفاظ دالّة عليه كالدهر، والحين، والآن، والمدة، واليوم، والأجل، والأمد... وغيرها، في إشارة واضحة إلى الزّمن الاصطلاحيّ، بخاصّة عندما يقترن بحدث كيوم القيامة، أو يوم البعث^(٢)، فنجد كلمة (اليوم) مثلاً: تتكرّر في القرآن الكريم ٣٤٨ مرّة، والأمس ٤ مرّات، والغد ٤ مرّات^(٣).

وقد أقرّ بعض النّقاد بأنّ الرواية هي "فنّ شكّل الزّمن بامتياز؛ لأنها تستطيع أن تلتقطه وتشخصه في تجلياتها المختلفة: الميثولوجية، والدائرية، والتاريخيّة، والبيوجرافيّة، والنفسية"^(٤)، ولذلك فإنّ لكلّ رواية نمطاً زمنياً خاصاً بها، بوصف الزّمن هو محورها وجوهر بنائها وتشكّلها" وللشيء الذي

(١) يقطين، سعيد، ص ٨٤ بتصرّف.

(٢) العاتي، إبراهيم، الزّمان في الفكر الإسلاميّ، دار المنتخب العربيّ، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٦-١٧ بتصرّف.

(٣) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧٧٥.

(٤) برّادة، محمّد، "الرواية أفقاً للشكّل والخطاب المتعدّدين"، مجلّة فصول، مج ١١، ع ٤٤، ١٩٩٣م، ص ٢٢.

نقص عنه زمنه، لكنّ لفعل القصّ نفسه زمنه؛ لذا يطرح القصّ مسألة ازدواجيّة الزّمن: فالقصّ يصرّف -كما يقول تودوروف (Todorov)- زمناً في آخر، يصرّف زمن الشّيء الذي يقصّ عنه في زمن فعله، أو في زمن قصّه^(١).

وفي دراساتهم للرواية اهتمّ النّقاد العرب بالبنية الروائيّة، وحدّدوا عناصرها المختلفة، مع محاولات تطبيق ذلك على الروايات العربيّة منذ العشرينات، وكان للزّمن نصيبه في الدّراسات المتأخّرة منذ فترة التسعينات؛ وذلك اعتماداً على الدّراسات الغربيّة عند النّقاد والأدباء والروائيّين أمثال: (آلان روب جرييه (Alan Rob Grieh)، وميشيل بوتور (Michel Butor)، إذ يرى جرييه (Grieh) أنّ الزّمن الروائيّ هو مدّة قراءة الرواية، بينما يجعله بوتور (Butor)، متعدّد الأشكال: فهناك زمن الكتابة، وزمن المغامرة، وزمن الكاتب، ممّا يؤكد انعكاس الزّمن الواقعيّ على الرواية، لأنّ الكاتب "يقدم لنا خلاصة قصّة نقرأها في ساعة، جرت أحداثها خلال يومين أو أكثر، أو حوادث تمتدّ على مدى عامين، أو عكس هذا تماماً"^(٢).

وتطوّرت الدّراسات الغربيّة، وتبعثها العربيّة لتظهر لدينا أزمنة الرواية الثلاثة:

(١) العيد، يمنى، تقنيات السرد الروائيّ في ضوء المنهج البنيويّ، دار الفارابي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م، ص٧٢.

(٢) انظر: يقطين، سعيد، ص٦٧-٦٩، وانظر: مبروك، مراد، ص٨-٩، بتصرّف.

١- زمن الخلق: زمن كتابتها.

٢- الزمن الخارجي: الزمن الذي يبتدئ مع بداية الرواية وينتهي بنهايتها.

٣- الزمن الداخلي: الذي يرتب الأحداث ترتيباً متتالياً، فهو يقف عند تفصيل صغير، أو يسبق الحوادث، أو يكدسها^(١).

وهكذا يكون تعريف الزمن الروائي بأنه: "صيرورة الأحداث الروائية المتتابعة وفق منظومة لغوية معينة، تعتمد على الترتيب والتتابع والتواتر، والدلالة الزمنية، بغية التعبير عن الواقع الحيائي المعاش وفق الزمن الواقعي أو السيكلوجي، أو الفلسفي"^(٢).

إن الباحث أو القارئ يهتم بالسؤال عن الفترة الزمنية التي تقع فيها الأحداث، وهل تاريخ كتابة القصة هو تاريخ الفترة التي تدور فيها أحداثها؟ ومعنى ذلك التركيز على الكيفية التي يحرك بها المؤلف الزمن عندما يكون مرتبطاً بالحدث، يسميها بعضهم^(٣) الزمن التاريخي أو الزمن النفسي، ويطلق عليها آخرون^(٤) زمن القصة، أو زمن السرد، حيث يقوم زمن السرد أو الزمن النفسي بكسر سياق الزمن التاريخي، مهتماً بالعالم الداخلي للشخصية عن طريق الاسترجاع أو التنبؤ:

(١) القواسمة، محمد عبدالله، ص ٧٠، بتصرف.

(٢) مبروك، مراد، ص ١٠.

(٣) وادي، طه، ص ٣٦.

(٤) يقطين، سعيد، ص ٧٤.

١- الاسترجاع: استدعاء حادثة سابقة لها علاقة بطبيعة الموقف.

٢- التنبؤ: تخيل أن شيئاً تتمناه أو نخشاه سوف يحدث^(١).

ويستخدم بعض الباحثين مصطلح (الزمكانية) عند تحليل الروايات العربية تأثراً بباختين (Bakhtin)، الذي تتكون عنده من العلاقة الضرورية التي لا تنفصل بين الزمان والمكان، ويلعب الزمان في هذا الثنائي الدور الأساسي، فهو الحركة التي تحيي المكان، والتي تمنح عقدة العمل الأدبي ثراءها ودلالاتها^(٢)، وهو الذي يمتزج فيه "المشهد الزماني" بالمشهد المكاني، حيث تتوالد مشاهد صغيرة متداخلة في تحررها، وطوفانها عبر المكان، والعموم في داخل الشخصية دون التقيد بالزمن التاريخي^(٣).

ثم إن هناك الزمن الغائب الذي لا بد من الإشارة إليه عند دراسة جدلية العلاقة بين النص الغائب والنص الحاضر، "فغياب الزمن في النص الأدبي يعني عدم تحديد الحقبة الزمنية التي يتحدث عنها الكاتب في نصه"^(٤)، وهذا

(١) انظر: يقطين، سعيد، ص ٧٧. وانظر: وادي، طه، ص ٣٦-٣٧ بتصرف.

(٢) رشيد، أمينة، "رواية الأرض وعلاقة الزمان بالمكان"، مجلة فصول، م ٥، ع ٤، ١٩٨٥م، ص ٢٠٣-٢١٠.

(٣) إبراهيم، عبدالله، المتخيل السرد، مقاربات نقدية في التناص والروى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٣٦.

(٤) الزعبي، أحمد، "النص الغائب، دراسة في جدلية العلاقة بين النص الحاضر والنص الغائب"، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، م ١٢، ع ١، ١٩٩٤م، ص ٢٢٣-٢٥١.

يتطلب قراءة دقيقة للنص الحاضر ترصد الإشارات والدلالات والرموز لاستنتاج الزمن والوقت الذي تدور فيه أحداث النص الأدبي ووقائعه لنتمكن من فهم النص الحاضر وإدراك فحواه^(١).

وتتمثل تقنيات السرد الزمني في الرواية من أربعة عناصر، وهي العناصر التي يتحكم عن طريقها الراوي بزمان الرواية تحكماً تاماً، فيستطيع أن يطوي السنين في جمل قصيرة، وقد يخصص حدثاً بسيطاً بعدة صفحات، "فهناك زمن يمضي ونص يُكتب، وتُسمى العلاقة بينهما بسرعة النص"^(٢).

وهذه التقنيات هي:

- ١- الخلاصة أو التلخيص: تلخيص الأحداث دون الخوض في تفاصيلها.
- ٢- المشهد: نقيض التلخيص فهو لا يوجز بل يعنى بالتفاصيل.
- ٣- الوقفة: تتشكل من وقف الأحداث المتنامية إلى الأمام؛ للتأمل فيها.
- ٤- الثغرة أو الحذف: إشارات محددة أو غير محددة للفرات الزمنية التي تستغرقها الأحداث في تناميها باتجاه المستقبل، أو في تراجعها نحو الماضي، والإشارات الزمنية منها الظاهر، ومنها الضمني والمفترض^(٣).

(١) الزعبي، أحمد، "النص الغائب، دراسة في جدلية العلاقة بين النص الحاضر والنص الغائب"، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، م ١٢، ع ١، ١٩٩٤م، ص ٢٢٩، بتصرف.

(٢) القواسمة، محمد عبدالله، ص ٨٢.

(٣) انظر: نجار، وليد، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللبناني، ط ١، بيروت، ١٩٨٥ م، ص ٨٢-٨٧، بتصرف، والقواسمة، محمد، ص ٨٢-٨٧، بتصرف.

دلالات الزمن في (قنديل أم هاشم):

تتميّز هذه الرواية بلغة شعريّة عالية متدفّقة، وهذا يحتاج إلى بحث خاصّ للنظر في ألفاظها وعباراتها وتراكيبها التي تدلّ على ذلك، أمّا من حيث عنصر الزمن فإنّ الكشف عن دلالاته وجماليّاته والتقنيات الفنيّة التي استخدمها الكاتب في هذه الرواية يمثّل الهدف الرّئيس لهذا البحث، وقد اختار الباحثان هذه الرواية لبروز هذا العنصر فيها بشكل واضح يمنحه صفة أساسيّة متقدّمة على العناصر الأخرى، ويكاد يكون شخصيّة من الشّخصيّات النّامية الحيّة المتطوّرة، ممّا يستدعي دراسته بالتّفصيل، وقد اتّفق الباحثان على دراسته وفقاً للترتيب الآتي:

أولاً- زمن الخلق:

صدرت هذه القصّة (قنديل أم هاشم) التي ترتقي إلى مستوى الرواية كأول كتاب ليحيى حقّي، فهو من أتباع المدرسة الحديثة، التي كان لها الفضل في تعريف البيئة المصريّة بالقصّة في مفهومها الحديث من خلال صحيفة الفجر، ويمكن تصنيف هذه الرواية (أو القصّة الطويلة) ضمن إطار موضوعيّ يعبر عن الصّراع الحضاريّ وأزمة التّفاعّل مع الحضارة الغربيّة.

كان يحيى حقّي دائم الحنين إلى الحيّ القاهريّ الشّعبيّ، وإلى الرّوح الشّعبيّة الصّابرة لأهل مصر، وهو يؤكّد ذلك قائلاً بأنّه كان يشّاق إلى تلك الجموع الغفيرة من الغلابي والمساكين الذين يعتمدون على طلب أرزاقهم يوماً بيوم، وحين عاد إلى مصر عام ١٩٣٩م شعر بجميع الأحاسيس التي

تجمّعت طوال سنيّ الغربة تنطلق عبر (قنديل أم هاشم)، فبطل القصة إسماعيل شابّ يريد أن يهزّ الشعب المصريّ هزّاً عنيفاً، ويقول له: "تحرك، فقد تحرك الجماد"^(١).

لقد كان الصّراع الفكريّ بين الشرق العربيّ والغرب على أشده في بداية القرن الماضي، ولعلّ هذه هي القضية المحوريّة في هذه الرواية، الصّراع بين الأصالة والمعاصرة، بين القيم الشرقيّة العربيّة والحضارة الغربيّة، ويعبّر البطل عن ذلك بقوله: "من يستطيع أن ينكر حضارة أوروبا وتقدّمها، وذلك الشرق وجهله ومرضه وفقره؟ لقد حكم التاريخ ولا مردّ لحكمه"^(٢)، وقد ظهرت دعوات التحديث، أو التّغريب، وقابلتها دعوات الرّفض الكامل للنّموذج الغربيّ، وجاءت بينهما فكرة التّمازج والتّأمّل في النّموذج الغربيّ واختيار الأنسب الذي لا يتعارض مع تراث الأمّة وتاريخها وحضارتها، ودعا طه حسين عام ١٩٣٧م إلى قضية الثقافة والتّعليم وربطهما بماضي مصر القديم والحديث، ودعا محمّد حسين هيكل إلى بعث حضارة الشرق أو ما يُسمّى بالأدب القوميّ، ومحاولات تحديث التّعليم، والنّظرة للتّعليم في الغرب، ورحلات الشّباب لطلب العلم في الغرب^(٣)، وبدأت ساحة الأدب تعالج مشكلة

(١) حقّي، يحيى، "صحيفة الرّأي الأردنيّة، كتاب في جريدة، تقديم فؤاد دبّورة"، رقم ٣٨، ٦ ديسمبر/ كانون الأوّل ٢٠٠٠م، بالتّعاون مع وزارة النّقافة والتّعليم العالي، بيروت، لبنان، ص ٣، بتصرّف.

(٢) حقّي، يحيى، قنديل أم هاشم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٥١.

(٣) بهي، عصام، دراسات أدبيّة، الرّحلة إلى الغرب في الرواية العربيّة الحديثة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩١م، ص ١١.

غياب المشروع العربي الحضاري المتكامل، وكان نصيب (القنديل) في معالجتها كبيراً وخطيراً في وقتها بعد ظهور عدّة روايات منها: "عودة الروح"، ثم "عصفور من الشرق" للحكيم، وقبلها "أديب" طه حسين، التي ساهمت في التهيئة لظهور الرواية الجديدة بدءاً بـ"سارة" عام ١٩٣٨م^(١).

لقد كان يحيى حقي يعيش واقعاً عربياً يناقش ويحاول ويفكر، ويبحث عن حلول تناسب الزّمن الذي يعيش؛ فأدلى حقي بدلوه بذكاء من خلال بطله إسماعيل طالب طبّ العيون في أوروبا، العائد بأحلام التّغيير، وصناعة حياة جديدة مليئة بالعلم، مؤكّداً أنّه صراع أبديّ يتعالى على أيّ صراع: "كلّ نور يفيد اصطداماً بين ظلام يجثم، وضوء يدافع، إلّا هذا القنديل بغير صراع"^(٢)، وهو حين يرى ألوان التّقدّم الحضاريّ في الغرب لا يفوته أن يرصد الجانب الآخر وهو افتقاد الجانب الروحيّ والإنسانيّ فيها من خلال الشخصيّات.

ثانياً- الزّمن الخارجي:

يبدأ الزّمن الخارجي في القنديل بهذه العبارة: "كان جدّي الشيخ رجب عبدالله إذا قدم القاهرة وهو صبيّ..."^(٣)، وهو أسلوب فنيّ معروف في الحديث عن الزّمن الماضي باستخدام الفعل الناقص كان، وهو الأكثر

(١) آلن، روجر، الرواية العربيّة مقدّمة تاريخيّة ونقدية، ترجمة حصّة منيف، المؤسسة

العربيّة للدراسات والنّشر، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٦-٣٩ بتصرّف.

(٢) حقي، يحيى، قنديل أمّ هاشم، ص١٨.

(٣) حقي، يحيى، قنديل أمّ هاشم، ص٥.

استخداماً في الحكايات والروايات العربيّة، ذلك أنّ الزّمن الخارجيّ يمثّل الإطار الخارجيّ للرواية، أي أنّه يقف عند طرفي الرواية "البداية والنهاية"؛ ولذلك هو مرتبط بالزّمن التاريخيّ، وما يحتويه من موضوعات اجتماعيّة^(١).

أمّا السّارد كليّ العلم فإنّه يروي الأحداث بضمير المتكلّم، وكأنّ هذا السّارد الشّاهد على الأحداث بعيد من ناحية الزّمن عن الأحداث، حيث يفهم المتلقّي أنّ السّارد يستلّ الأحداث من ذاكرته، ثمّ يرويها بعد زمن من حدوثها، وهو يعلّق أحياناً على ما يقول، ويذكر رأيه، يقول: "اتّسع المتجر وبورك فيه -وهذا من كرامات أم هاشم-"^(٢)، ويصف أفكار فاطمة ومشاعرها مع أنّه لم يعيش معها، فيقول: "وحَتّى فاطمة النّبويّة -بنت عمّه اليتيمة أبا وأماً- تعلّمت كيف تكفّ عن ثرثرتها وتسكن أمامه في جلستها صامتة، كأنّها أمةٌ وهو سيّدها"^(٣).

وهذا السّارد الذي سيظهر لنا كشاهد على الأحداث هو ابن أخ لإسماعيل، إذ يكشف عن نفسه بقوله: "بقي الابن الأصغر-عمّي إسماعيل- آخر العنقود..."^(٤)، ولعلّ هذا الاختيار يوحي بما تقتضيه هذه التّقنيّة السّردية من عدم خروج السّرد عن دائرة المعرفة المتعلّقة بالراوي السّارد، وهي حيلة

(١) التّواني، مصطفى، دراسة في روايات نجيب محفوظ، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، ١٩٨٦م، ص ١٠٩.

(٢) حقّي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٦.

(٣) المصدر السّابق، ص ٨.

(٤) المصدر السّابق، ص ٦.

ذكّية يكشف فيها عن نفسيّة إسماعيل، وروحه وشخصيّته بدرجة كبيرة؛ لأنّ ابن أخيه أصغر منه سنّاً، وهو يحبّ عمّه، ويلتقط أخباره من هنا وهناك، ولا يمثّل السارد العارف الخبير، أي أنّها حيلة ذكّية لإخفاء الزّوايا والجوانب الحرجة في حياة البطل؛ إذ يندمج الرّأوي مع بطل الرّواية في بعض المواقف، حيث يدافع عنه السارد، ويخفي ما يستطيع إخفاءه، ويعتذر عمّا ظهر منها منذ صغره، مستخدماً التّرتيب الزّمنيّ إلى أن توفاه الله.

وقد ظهر ذلك في تعبيره عن النّهاية بتذكّر أهل الحيّ لعمّه بالخير والعرفان بالجميل، ثمّ بدعائهم له بالمغفرة عن حبّه للنساء، وميله لهنّ، رغم أنّ الكاتب لم يُشرّ إلى تورّط إسماعيل بعلاقات نسائيّة غير مشروعة، إلّا أنّ الكاتب المشارك يفهم ضمناً أنّها المؤانسة والمضاحكة والمداعبة، بخلاف تصريحه المباشر عن علاقاته النسائيّة في أوروبا، فيقول: "إلى الآن يذكره أهل حيّ السيّدة زينب بالجميل والخير، ثمّ يسألون الله له المغفرة،... رحمه الله"^(١)، فالزّمن الخارجيّ يقدّم لنا حياة البطل إسماعيل منذ ولادته إلى وفاته.

إنّها السّيرة الذاتيّة للشّخصيّة الرّئيسة في القنديل، والصّراع الرّوحيّ الذي عاشه متنقلاً من الحيّ الشّعبيّ بجوار السيّدة زينب إلى أوروبا، وإسكتلندا بريفيها وبردها، ثمّ العودة إلى الحيّ والشّعب، فهو زمن منتظم ومرتب، ومتتابع، لقد مهّد له بتقديم انتقال الجدّ من القرى والأرياف، وانتقاله وهجرته ليستقرّ تماماً في القاهرة، ويكون مقامه وسكنه بجوار مقام السيّدة

(١) حقّي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٥٨.

زينب؛ ليرتبط زمانهم بزمانها، ومكانهم بمكانها: "وهكذا عاشت الأسرة في ركاب السّتّ وفي حماها، أعياد السّتّ أعيادنا، ومواسمها مواسمنا، ومؤذنّ المسجد ساعتنا"^(١).

لقد عبّر يحيى حقّي عن شعوره الدّاخليّ وإحساسه بالاندماج الشّديد بتربة مصر وأهلها رغم كونه من أصل تركيّ قريب^(٢)، فعاد بطله إليها ومات فيها. وتظهر سنوات الدّراسة دليلاً على فترة الزمن الخارجيّ في الرّواية بوصفه يمثّل عمر البطل منذ ولادته؛ بل قبلها بسنوات، وحتىّ توفاه الله، حيث إنّ هذه السّنّوات قد مرّت كاملة بليلها ونهارها، وأيامها، وسنواتها. وسوف يلقي الباحثان الضّوء على التفاصيل الزّمنيّة الدّقيقة الّتي استخدمها الكاتب بذكاء وتنظيم جميل، فالأيام والليالي والصّباح والمساء لم تردّ في الرّواية عفواً أو عبثاً؛ وإنّما هي جزء من تنظيمه للزّمن بدقّة وعناية.

١ - اليوم والأيام:

كان لكلمات (اليوم والأيام) وضوحها السّاطع في القنديل، وارتباطها القويّ بالأحداث منذ بدايتها، فيوم الأسرة لا ينتهي إلا إذا أوى إسماعيل إلى فراشه، فينقضي يومها لتعدّ له ما يلزمه من الغد^(٣)، فأَيّام الأسرة كلّها قلق وتعب وعمل مستمرّ في سبيل راحته، وبقي الأمر كذلك بعد سفره؛ فوالده لم يتأخّر في يوم من الأيّام عن وضع النّقود له في البنك^(٤).

(١) حقّي، يحيى، قنديل أم هاشم ، ص ٦.

(٢) حقّي، يحيى، صحيفة الرّأي الأردنيّة، كتاب في جريدة، مقدّمة فؤاد دبّورة، ص ٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٧.

وعيون فاطمة تسوء حالها يوماً بعد يوم^(١)، وبعدما عالجها أيضاً ساءت حالتها يوماً بعد يوم حتى اختلط البياض في عينيها بالسواد^(٢)، وكان هو قد عاندهم فمكث أياماً كثيرة لا يغادر فراشه، إلى أن قام فجأة وبدأ بعلاجها^(٣)، وبين هذه الأيام العصبية فإنه في ذات يوم جديد يقف وهو يرى فاطمة سليمة، فلم يدهش^(٤)، لإيمانه بعلمه.

أمّا ماري فيتذكر أيامه معها، وكيف ودّعته، وتمنّت أن تراه يوماً من الأيام في مصر، قائلة له: "أمل أن أراك في مصر يوماً من الأيام، ومن يدري؟ فإلى اللقاء إذاً، ولا أقول وداعاً"^(٥)، فهو حلم جميل مرّ عابراً لا أمل بعودته من جديد، لأنه رفض العمل في أوروبا، وفضل العودة إلى وطنه.

أمّا والده فينظر لهذه الأيام نظرة مغايرة، إنه يلعن أيام سفره لأنه عاد كافراً^(٦)، ويعدّ يوم سفره بالذات يوماً ملعوناً؛ لأنه ذهب فيه إلى أوروبا التي أفسدته: "لعن الله اليوم الذي سافرت فيه يا إسماعيل! ليتك ظلت بيننا ولم تفسدك أوروبا فتفقد صوابك، وتهين أهلك، ووطنك، ودينك"^(٧).

(١) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٦.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٤١.

(٧) المصدر السابق، ص ٤٦.

إنّها أيام تتوالى، وهي تحمل الاسم نفسه، وتمثّل عنصراً من عناصر الزمن، وسبباً في الحضور الاستقباليّ للقادم من الأحداث بكلّ ما فيها، لكنّها تمتزج بالشّعور النفسيّ لكلّ شخصيّة فتراه بعينها مختلفاً تماماً عن غيرها، فالיום المبهج السعيد لأحدهم هو نفسه يوم شقاء وألم وحزن لشخص آخر.

٢- الصّباح:

يمثّل الاستيقاظ في الصّباح البداية الأولى لنهار طويل، والمقدّمة الأولى للفعل والحركة، لكنّه كان دائماً يدفع إسماعيل نحو الصّراع؛ ولذلك شكّل الصّباح في ذهنه هاجساً حقيقيّاً، لقد استيقظ والده مرّة، واستيقظت فاطمة مرّة، واستيقظ هو عدّة مرّات، لكنهم لم يجدوا شيئاً جديداً، التّغيير المأمول لا يأتي، والزمن لا يتقدّم، فمتى يحدث الاستيقاظ الحقيقي... هكذا كان يصرخ إسماعيل، ويردّد اللاوعي الكامن في أعماق الكاتب.

استيقظ والد إسماعيل من غفوة قصيرة بعد الفجر سمع فيها صوتاً يقول له: "توكّل على الله"، فعزم على إرساله إلى أوروبا^(١)، فكان هذا الصّباح بداية لصراع عنيف وألم ممتدّ لسنوات في الغربة وكذلك بعد عودته، وقد استيقظ هو نفسه ذات صباح في أوروبا فإذا روحه خراب^(٢)، واستيقظ في صباح آخر بعد أزمتة الروحيّة التي طرحت في الفراش أياماً عديدة بعد عودته، وإذا به لا يؤمن بشيء.

(١) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ١٩.

(٢) المصدر السّابق، ص ٣١.

و ذات صباح آخر استيقظ وقرّر أن يعالج فاطمة، هذا القرار كان بداية للصراع مع الخرافة والعلاج بالزيت فكان هذا الاستيقاظ وبالأعلى فاطمة، ها هي تجلس بين يديه في الصباح للعلاج، ولكن فتحت عينها ذات صباح آخر فلم تر شيئاً^(١)، لأنها ستبدأ بمصارعة الظلام، وقد يشير إلى توقف الزمن الفيزيائي بالنسبة لها، وبما تمثله من رمزية في القصة فلا يهمها ليل أو نهار ما دامت بقرب إسماعيل، تؤمن به وتعتمد عليه.

أوروبا المحلية كانت له بالمرصاد كل صباح، إنها صاحبة البنسيون التي جاءت ذات صباح تسأله أن لا يطيل السهر حرصاً على الكهرباء، وها هي ذات صباح آخر تكاد أن تحاسبه على تحية الصباح فتضعها في حسابه^(٢)، إنها صورة من صور الأنانية والطمع، فقد اختار الكاتب (مدام إفتالي Eftaly) ليسكن البطل عندها، فدفعته بسلوكاتها هذه إلى إعادة تقييم موقفه من تلك الحضارة الغربية الصادمة، لقد كان نهاره في أوروبا مرحاً وفرحاً مع ماري يتجولان على الدراجة طول النهار، بينما هو يعاني الصدمة تلو الصدمة كل صباح في بلده، كان النهار في أوروبا يوماً للعمل والحركة والنشاط، أمّا مكان الشفقة عندهم فهو بعد العمل وانتهاء النهار^(٣)، كما كان يرى ويشاهد ويقارن بنفسه.

أمّا المفارقة العجيبة التي صنعها الصباح في نفسه فهي مشاعره الغربية المتضادة التي تملكته عندما كان ينظر كل صباح في وجوه الناس في بلده

(١) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٩-٥٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٥١.

فيرى آثار استغراق في النوم، فلا معنى للزمن عندهم، يسرون بجمود، خيالات المخدر، وأحلام النائم والشمس طالعة كما يصفها^(١)، إن الصّباحات بحدّ ذاتها كمفهوم زمنيّ أو فيزيائيّ لا تتغيّر ولا تختلف؛ لكنّه رأى الاختلاف في استقبالها والتعامل معها بين شعبين، أو بشر في الغرب وآخرين في الشرق لا يعون مفهوم الزمن كما يريد، هذه المفارقة بين صباحين أو نهارين جعلته يصرخ عالياً: "متى تستيقظ مصر، متى؟!"^(٢).

٣- المساء والليل:

أحبّ إسماعيلُ المساء، إنه يتقدّم فينبعث معه نسيم ذو دلال، وترافقه ضحكات الناس في القهاوي^(٣)، وإذا أقبل تخفت حركة الميدان، ويسكن الناس ويهدأ صخبهم، ويتحولون إلى أشباح حزينة تعبّة يحركها نوع من المسرح^(٤)، الليل فرصته لزيارة درديري حارس المقام ليتندّر بحديثه في أغلب الليالي^(٥)، وكان الليل محبوباً له أيضاً في أوروبا حيث كانت ماري تزيقه في الليل متعة الحبّ أشكالاً وألواناً^(٦)، كانت متعته قبل سفره أن يتجول في الميدان حتّى منتصف الليل، وهكذا فعل بعد عودته ووقوعه في أزمتة فلم يكن يغادره كلّ

(١) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣.

(٥) المصدر السابق، ص ١٦.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٢.

ليلة إلا بعد أن تُطفأ الشّموع^(١)، اجتمع له حبّ الليل وحبّ الميدان فلم يكن يفارقهما، فهل تكون بداية الاستيقاظ في الليل وبيدأ الحلّ منهما؟

في أثناء هذا الصّراع ميّز ذهن إسماعيل وتفكيره المشحون بالتناقضات عدداً من الليالي التي أثّرت في نفسيّته، وغيّرت مجرى الأحداث تغييراً جذرياً:

أ- ليلة الحضرة:

أفضى له درديري بسرّها، وأخبره أنّها ليلة مشهودة يحضرها الإمام الحسين، والشافعي، والإمام الليث، ولها نور خاصّ، وزيتها فيه الشّفاء، فهو يرى فيها نور القنديل مختلفاً وكأنّه يتوقّف دون صراع، فلا ليل ولا نهار، ولا أمس ولا غد^(٢)، كان إسماعيل لحظتها يستمع ويستغرب كيف تؤمن الجموع الغفيرة بهذه الخرافات.

إنّ رؤية إسماعيل المختلفة لنور القنديل في هذه الليلة وكأنّه لا يمتلك شعاعاً ممتدّاً، ولا يفصل بين ليل ونهار أو أمس وغدّ تؤكد الشّعور النفسيّ العميق لدى البطل بتوقّف الزّمن تماماً في الشرق العربيّ، إنّها حالة الجمود والركود التي يحاربها، ويحاول أن يكشف عنها، ليدفع الزّمن العربيّ ليتقدم للأمام ويلحق بالحضارة.

(١) حقي، يحيى، قنديل أمّ هاشم، ص ١٣، ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦، ص ١٧، ص ١٨.

ب- ليلة السفر:

كانت هي نفسها ليلة قراءة فاتحته على فاطمة^(١)، التي لم يكن يرى فيها زوجة المستقبل، فبدأ الصّراع ينهشه من الدّاخل، وأخذ يتساعل بينه وبين نفسه هل سيفي بوعده لوالده.

إنّ القارئ المتلقّي عندما يقف عند هذا التّساؤل يخفق قلبه مستشعراً بحدثٍ مستقبليّ قادم لا محالة بعد سنوات عند عودة إسماعيل؛ وكأنّه يحوي صراعاً عنيفاً بين الأجيال، صراع الأب مع ابنه، صراع المحافظة على العادات والتّقاليد مع الأفكار المدنيّة الحديثة، فابنة العم لابن عمّها وإن كانا مختلفين في التّقافة والعلم والمكانة الاجتماعيّة، وقراءة الفاتحة ليلة السّفر بمنزلة العقد الاجتماعيّ المؤكّد؛ فضلاً عن كونه عقداً شرعيّاً لا يجوز التّراجع عنه في عرف السيّد رجب والمجتمع العربيّ بعامّة.

ج- ليلة العودة:

كانت ليلة الصّدّام العنيف لعلمه مع الجهل والخرافة، لقد شاهد علاج أمّه لفاطمة بوضع الزيت في عينيها^(٢)، فتحوّلت اللّيلة الموعودة منذ سنين من ليلة الفرح والسعادة بعودته إلى نقيضها تماماً، لقد تلوّنت هذه اللّيلة بالحزن والبكاء من أسرته كلّها؛ بل من مجتمعه العربيّ على ما صنعتها

(١) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٢١.

(٢) المصدر السّابق، ص ٣٩.

الحضارة الغربيّة بأفكاره وإيمانه، لقد بكوا في ليلة الفرح "على ضياع صوابه المفقود"^(١).

في هذه اللحظة يتحرّر الصّراع، فينتقل من نفسيّة إسماعيل إلى علاقته مع مجتمعه وأسرته، ويبدأ هو بمواجهتهم جميعاً بأفكاره الجديدة، ولا يقتصر ردّ الفعل الغاضب على أسرته؛ بل يقرّر أن يحطّم القنديل؛ لأنّه اعتقد أنّه السبب في عمى العيون، ثمّ يحاول معالجة فاطمة ليثبت صحّة علمه، لكنّ محاولته تفشل؛ عندئذٍ يهرب من البيت.

د- ليلة القدر:

وأخيراً جاءت ليلة القدر فكان لها حنان عظيم في ذاكرته^(٢)، لها في قلبه منزلة مباركة لأنّه تربى على الإيمان بها، وبمنزلتها، وفضلها، ولا يشعر في ليلة أخرى بمثل ما يشعر به في هذه الليلة من خشوع وقنوت وخشية من الله، إنّهُ يرى لها منزلة بين الليالي لا تعادلها ليالي العيد، وهي غرّة وسط سواد الليالي، ثمّ هي ليلة مباركة كما يخبره درديري لأنّها وافقت ليلة الحضرة، فيطلب منه الزيت لعلاج عيني فاطمة^(٣)، تعبيراً عن تصالحه مع نفسه، ومع مجتمعه، ومع أمّته، وأخذ دوره لعلاج عيني أمّته حتّى ترى الحقيقة وتستيقظ من جديد، فشفاء فاطمة هو دليل على صحّة تصرف

(١) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٥.

إسماعيل، ومحاولته الجادة لإيجاد حلّ للمشكلة، عن طريق احترام عادات هذا المجتمع وتقاليده، وتقديم العلوم الحديثة له بطريقة مناسبة دون صدام وصراع مع معتقداته.

لقد كان لنهار الأمة نظرة سوداء في عيني إسماعيل، كان يراه مظلماً، حزيناً، زمنه جامد لا يتحرك، ولا أمل فيه للتغيير، بالمقابل رأى بصيص الأمل في الليل الذي ارتبط عنده بنور القنديل، فاستطاع أن يحرك الزمن المتوقف عنده لتعود عجلة الحياة من جديد، وعندها سيشرق صباح مختلف، ويستيقظ النائمون.

ثالثاً- الزمن الداخلي:

إنّ الزمن المرتبط بالشخصية المحورية، وهو الزمن المستحضر من الماضي بواسطة الذاكرة، وهو زمن المستقبل المعاش في الأحلام بنوعيه: حلم النوم وحلم اليقظة، فهو الزمن التخيلي الذي لا يقاس، لكنه يتجسّد بالإحساس بالديمومة^(١).

لقد تداخلت حلقات الماضي والحاضر والمستقبل في القنديل؛ فكثيراً ما يتدخل الراوي بشكل مباشر لينقل السرد من الماضي إلى الحاضر أو المستقبل، فإسماعيل أصغر الإخوة الثلاثة بقي بعد أخويه في دراسته وذلك لكي: "يهيئه القدر واتّسع رزق أبيه لمستقبل أبهى وأعطر"^(٢)، فأصبح أملاً لوالده: "سلّمه بقلب مفعم بالآمال إلى المدارس الأميرية..."^(٣)، كان نجيباً، لا ينادونه إلا "سي إسماعيل" وهو لم يزل صبيّاً، أحبّته الأسرة وتعلّقت به،

(١) انظر: التّواتي، مصطفى، ص ١١٨.

(٢) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٧.

وبذلت الكثير لأجله: "جيل يُفني نفسه، لينشأ فرد واحد من ذريته..."، ولماذا هذا التعلّق به، يجيب الراوي: "جواب هذا السؤال عند قلبي، فما من مرة تمثّلت فيها هذه الأيام إلّا وجدته يخفق بذكرها... ويبدو لي وجه جدّي رجب وحواليه هالة من وضاعة ونور..."^(١)، إنّها ذكريات مرتّبة زمنياً تنهال على ذهنه لترسم صورة واضحة المعالم للبطل، وكيف رسم تقدّم الزمن شخصيته بين أهله وأقاربه وأصدقائه.

وفي وصفه لسفره يتعمّد الاختزال قائلاً: "وداع الأسرة، وما أمره! في الدار وسط النّحيب والبكاء، والمحطّة، والقطار، ثم الميناء والحركة، والباخرة المجهولة وصغيرها"، يتدخّل هنا مرة أخرى مستذكراً حديث عمّه له عن هذه اللحظات، إلّا أنّه يفصلها بشيء من تخیلاته: "إنّني أتخيّله صاعداً سلّم الباخرة، شاباً عليه وقار الشيوخ، بطيء الحركة..." ثمّ يقول: "أقسم لي عمّي إسماعيل فيما بعد أنّه كان يحمل في أمّته قبقاباً"^(٢)، يتداخل الزمن الماضي في سير الحدث مع زمن الراوي المستحضر بالذاكرة، ثمّ يرتدّ للوراء سريعاً، وقد كرّر ذلك مراراً، كما في قوله عندما وصف ليلة وصول إسماعيل: "اعترف لي إسماعيل فيما بعد بأنّه حتّى في اللّحظة التي كان يجب أن تشغله سعادة العودة إلى أحضان والديه عن القياس والمقارنة والنقد، لم يملك نفسه عن التّساؤل: كيف سيستطيع أن يعيش بينهم؟"^(٣).

(١) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٨.

إنّها حالة الاستفهام التي جعلته يعيش صراعاً داخلياً عميقاً قبل أن يقرّر العودة، حيث يدخل الرّاوي إلى نفس البطل ويطرح الأسئلة المستقبلية، أسئلة الزّمن القادم التي تدور في ذهنه: هل يعود من أوروبا؟ لم لا يتزوّج هناك؟ إنّ أسلوب الاستفهام الذي يصف حالة الصّراع الدّخلي في هذه المرحلة، فالسؤال يعبر عن التّردّد، وهو أسلوب السّؤال عن الغدّ القريب والبعيد، عن المشاريع المستقبلية، عمّا سيكون، وعمّا سيفعل.

إنّ الصّراع الدّخلي في نفس إسماعيل منذ صارت روحه خراباً، كيف يكون التّعامل مع الآخر، زمني غير زمنهم، فما الحلّ: الرّفص أم التّعاش، التّعالّي عليهم بسلّاح العلم ومحاربة التّقاليد والتّراث والجذور أم التّلطّف بهم حتّى ينقلهم معه، وكيف يفعل ذلك وهو لم يتصالح مع نفسه بعد؟ لقد استخدم الكاتب هنا عنصر الزّمن بذكاء، واستطاع أن يوظّف الاستذكار ليعيد إلى البطل روحه بعد فترة غير بسيطة من الصّراع.

ويستخدم الزّمن النّفسي في حديثه عن الرّحلة بإيجاز شديد: "ومرّت سبع سنوات، وعادت الباخرة"^(١)، ويتساءل إسماعيل: "لماذا تتعمّد البواخر هذا التلكؤ عند الوصول، وما كان أسرعها عند الفراق"، ويجيب نفسه بنفسه: "إنّها تتهاوى بدلال العودة، ما لها وللركاب وما يشعرون"، فالإحساس بالزّمن يختلف بين لحظات الفرح، ولحظات الحزن، بين ساعات اللّقاء وساعات الفراق، ولذلك كانت هذه السّنوات السّبع مختلفة عند أهله، يصفها الرّاوي

(١) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٥.

مباشرة على ألسنتهم: "أقبل يا إسماعيل فإننا إليك مشتاقون، لم نرك منذ سبع سنوات مرّت كأنها دهور" (١).

وعندما يتذكّر إسماعيل يوم سفره يتدخّل الراوي مباشرة ليتساءل: "كيف تقوى ذكرى هذا اليوم على البقاء بعد سبع سنوات قضاها في إنجلترا قلبت حياته رأساً على عقب" (٢)، وعندما يشاهد إسماعيل والدته لأول وهلة يستغرب كم شاخت، وتهذّلت، وضعف صوتها وبصرها فيتدخّل الراوي قائلاً: "إنّ الغائب في وهم، يتوقّع أن يعود لأحبابه فيجدهم كما تركهم منذ سنوات" (٣).

ويلجأ الكاتب إلى تسريع النصّ؛ لكي يُغفل زمنًا مُعيّنًا، وذلك من خلال استخدام تقنية سرديّة تُسمّى الثّغرة: ها هو إسماعيل يحلم أحلام اليقظة، فيتصوّر نفسه في المستقبل كاتباً أو خطيباً: "وسرح ذهنه فإذا هو كاتب في الصّحف، أو خطيب في أحد المجتمعات يشرح للجمهور آراءه ومعتقداته" (٤)، ثم يتابع القطار طريقه، ولا يتحرّك إسماعيل لإرسال البرقيّة، ويعاود أحلامه بعد قليل: فهو لن يخدم في الحكومة، وسوف يفتح عيادة في أرقى أحياء مصر، وسوف يدهش الناس من علمه، وسوف يشتري أرضاً في بلدهم ليعيش فيها والده مستريحاً... (٥).

(١) حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٥.

وأخيراً ننطلق معه إلى صفحة متقدّمة عندما ينطلق إلى الميدان، بعدما تعارك مع والدته، وكسر زجاجة الزيت، فيقول لنفسه في حديث على لسان الراوي يمثل رغبته الداخليّة: "لو استطاع إسماعيل لأمسك بذراع كل واحد منهم وهزّه هزّة عنيفة، وهو يقول: استيقظ، استيقظ من سباتك وأفق، وافتح عينيك، ما هذا الجدل في غير طائل، والشّقشقة والمهاترة في سفاسف، تعيشون في الخرافات، وتؤمنون بالأوثان، وتحجّون للقبور، وتلوزنون بأموات"^(١).

إنّها غاية البطل الكبرى بعد "جهاد فكريّ وروحيّ أوشك أن يعصف بحياته، أودى بعقله أو كاد، وشرّده بعيداً عن أسرته، وجعله يكفر بالوطن والدين والأهل والقوم"^(٢)، "ومات إسماعيل وهو يبشّر بالقبول والاتّصال والغرس بقوة لأقدامنا في الأرض الطيّبة"^(٣).

لقد صرّح يحيى حقّي بأنّه كتب القنديل فعلاً ومهدّ فيها للثورة، فخرجت من قلبه كالرصاص، بعدما مكث في روما أربع سنوات، والتقى بالحضارة الغربيّة^(٤)، فلعلّها بذلك فتحت الطّريق لزمن عربيّ جديد يستطيع فيه المتقف العربيّ أن يحاور الغرب ويتأمّل فيما يقدّمه من حضارة وعلم، ليأخذ ما ينفعه

(١) حقّي، يحيى، قنديل أم هاشم، ص ٤٤.

(٢) الراعي، علي، دراسات في الرواية المصريّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩١م، ص ١٥٣.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦١.

(٤) نوفل، يوسف، الفن القصصيّ بين جيل طه حسين ونجيب محفوظ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ص ١٦٤-١٦٥ بتصرّف.

دون أن يتخلّى عن تراثه وحضارته، حتى لا تطمس هويّة الأمة في سبيل التّقدّم الماديّ.

علاقة الزّمن بالشّخصيّات:

الزّمن قضية فلسفيّة شغلت الإنسان منذ العصور الأولى؛ ولذلك سعى الكتاب إلى التعبير عنها في سائر الفنون، من خلال نظرة تتراوح بين التّواصل والتّصادم، إذ إنّ تواصل الشّخصيّة مع الزّمن يحقّق نوعاً من التّآلف والانسجام مع ما حولها من الأشياء والكائنات وصولاً إلى تحقيق السّعادة.

أمّا بالنّسبة للبطل إسماعيل فقد كان الزّمن جزءاً مهماً جدّاً في علاج مشاكله، لقد استمتع منذ البداية بدراسته، ونجح فيها نجاحاً باهراً، مقارنة مع إخوته المحرومين منها، وأدخل الفرحة والسّرور على عائلته وأصدقائه ومعارفه، ولمّا تعطلّت مسيرته لبعض الوقت عندما لم يتمكّن من الحصول على معدل عالٍ يؤهّله لكلّيّة الطّبّ جاء من يقنع والده بإرساله لأوروبا، وهناك استمتع بإطاره الزّمنيّ من الثّانية إلى اليوم مروراً بالسّنة إلى سبع سنوات، ونجح وعاد طبيباً سعيداً يفتخر به كلّ من يعرفه، وتآلف مع الزّمن مجدّداً بعد مروره بصدمة جديدة في علاجه لفاطمة توقّف فيها قليلاً، ثمّ استجمع قواه وترك التّصادم وعاد إلى التّصالح مع الزّمن، وتآلف معه وحقّق المزيد من النّجاح، عالج عيني فاطمة، وتزوّجها، وأنسلها خمسة من البنين، وستّ بنات، وافتتح عيادة شعبيّة، أجرى فيها عمليّات شاقّة بوسائل بسيطة لو رآها أطباء أوروبا لشهقوا عجباً، لقد حقّق المزيد من النّجاح والسّعادة والسّرور.

يكشف الزمن عن جانبين متناقضين في شخصية إسماعيل في مرحلتين مختلفتين من حياته، الجانب الأول يتعلّق بالمظهر الخارجي، والثاني بالجانب النفسي الداخلي، إذ نجده في المرحلة الأولى في أوروبا شاباً نشيطاً رياضياً ذا صحة جيّدة، لكنّه يعاني من قلق داخليّ وصراع نفسيّ هائل بعدما فقد إيمانه وبقينه، بالمقابل نجده في المرحلة الثانية بعد زواجه مترهّل الجسم، كبير الكرش، نهماً للطعام والتّدخين، لكنّه يشعر بالسّعادة والراحة النفسيّة والاستقرار النفسي، يضحك باستمرار، تعبيراً عن توافق نفسيّ كبير، لا تدلّ عليه المظاهر الخارجيّة في كثير من الأحيان.

وإذا نظرنا إلى والده الحاجّ رجب فقد ظهرت آثار الزمن خطوطاً عميقة على وجهه، وشيباً أبيض على شعره ولحيته، وانحناء وتقوساً في ظهره، ومع ذلك لم يفقد سعادته الداخليّة وإيمانه العميق وتوكّله على الله، حتّى في أصعب الظروف التي مرّ بها إسماعيل وظنّ والده أنّه عاد كافراً بقي الأب متمسّكاً ببقينه الذي حفظ له سعادته وتوافقه النفسيّ مع أهله ومجتمعه.

وهكذا نجد صورة فاطمة التي كانت تسير نحو العمى ببطء، تتلمّس الأشياء لتري حولها، لكنّها لم تفقد إيمانها بإسماعيل، فاستسلمت كالعابد بين يديه، وكانت النتيجة التّآلف والانسجام التّامّ بينهما.

ومهما يكن من أمر فإنّ تآلف الشخصيّات قد أوحى لها بالسّعادة والقناعة والانسجام مع الزمن، ممّا حقّق لها نوعاً من التّصالح مع الذات؛ لأنّه زمن واقعيّ، تعاملت فيه الشخصيّة مع أحداث واقعيّة، وتعايشت مع شخصيّات

واقعية ذات سمات بشرية اجتماعية لا تتفكّ عن تراثها وتقاليدها وعاداتها التي تشرّبتها منذ زمن بعيد بسهولة.

وأخيراً فقد حاول الكاتب أن يعرض صورة حقيقية للمشهد الحضاري المتناقض بين الشرق والغرب، ونجح في تمثيل حالة الصراع بين زمنين، أو حضارتين، أو مجتمعين متناقضين من خلال شخصية إسماعيل العائد إلى وطنه، وهو يحمل الصراع في نفسيته ووعيه.

لقد طرح يحيى حقي فكرة التوفيق بين العلم والإيمان، وكانت النتيجة واضحة تماماً؛ إذ لم يتمكن إسماعيل بأفكاره من اختراق مجتمع عاش آلاف السنين على الإيمان فيغيّر بها بعلمه، إنّ -إسماعيل- اسم يذكّرنا بحضارتنا العربية؛ لأنّه اسم جدّ العرب الأوّل الذي عاش صراعاً حضارياً كبيراً حتّى وصل إلى تآلف وانسجام مع كثير من المتناقضات.

إنّ التناقض الحضاريّ هو الذي مهّد للثورة، فالشرق العربيّ يبحث باستمرار عن استقراره المفقود، ويحاول العيش داخل قيود وضوابط تحفظ له كرامته وحرّيته، لا يجد فيها الغرب إلّا سجنًا لحرّيته وكرامته.

الخاتمة:

أخذت هذه الرواية مكانتها المتميزة منذ ظهورها بمعالجتها لقضية من قضايا المجتمع الشرقي العربي بالغة الحساسية، وكانت في وقتها تمثل أزمة من أزمات الشباب العربي، إذ يبدو أن الصراع الحضاري والقيم المأزومة المتلاحقة قد عكست نزعة الأدباء العرب لمعالجة القضية وتأكيد حضورهم فيها رؤية وتشكيلاً من خلال أعمال فنية متعددة كان من أبرزها (قنديل أم هاشم).

الرواية، وجاء حضور الزمن دقيقاً منتظماً بأنواعه المختلفة: زمن الخلق، والزمن الداخلي، والزمن الخارجي، وبكل تفاصيله: اليوم، والأيام، واللييلة، والليالي، والصباح، والمساء، فلا يتم حدث في الرواية إلا من خلال الزمن، مما أوحى بالحركة المتصلة والدائمة في الرواية، وكأنها دعوة للجريان والتدفق والتجدد؛ فالوقوف -ولو لبرهة من الزمن- معناه الموت أو الضعف، أو التراجع.

وبذلك فقد كشف البحث عن تمكن الرواية من تنويع طرق إدراك الزمن مادياً ومعنوياً لدى المتلقي؛ لأنه يمثل جزءاً رئيساً من تفاصيل الحياة الإنسانية لا يمكن الاستغناء عنه، في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

أما التجربة الذاتية للبطل فقد ظهرت غنية بالتنوع في مكانها وزمانها؛ مما فتح المجال للبحث عن مظاهر الاغتراب في شخصيته، ووضع الزمن النفسي الداخلي للشباب العربي على طاولة البحث مكشوفاً تماماً لمناقشته ومحاورته بهدوء وروية وبصيرة، فيخرج من حالة الهوس بالغرب ثم الاستسلام له والسقوط في عتمته بعيداً عن حضارته وعاداته وتقاليده؛ بل

والتّلاشي أمامه؛ إلى حالة الانسجام مع تراثه وحضارته العربيّة، والعودة للإيمان بالجذور وتحريك الزّمن البطيء بل والقفز عنه بتقنيّات السّرد الزّمنيّة المتعدّدة: الاسترجاع، والتّنبؤ، والتّخيل، والتّغصن، والتّذكر، والحلم، وغيرها؛ وذلك لإزالة وهم العلاقة الجدليّة بين الزّمن والذّات وإنارة الجوانب المظلمة في النّفس، ثمّ المواجهة مع الآخر ومجاوبته والوقوف بقوة دون الوقوع في برائته.

ومن أهمّ النتائج أنّ الرّواية قد انتقلت بالزّمن النّفسي من المستوى الواقعيّ إلى المستوى الرّمزيّ وفقاً للأحداث الرّوحيّة التي يمرّ بها البطل فانعكست على ما يحيط به من أشخاص وأشياء، فأصبح البطل رمزاً لروح الأُمّة المتطلّعة للأخذ بأساليب الحضارة الحديثة دون التّخلّي عن حضارته العربيّة الإسلاميّة، فكان القنديل يمثّل شكل الإيمان، وزيتته يمثّل الرّوح أو العقيدة ممّا يؤكد أهميّة الإيمان للعلم، العلم المبصر الذي يخدم الإنسان ويعامله كجسد وروح وليس كآلة من الآلات، والإيمان البعيد عن الخرافة والجهل والطّلاسم، وهي الفكرة التي وضع الكاتب نقوشها منذ البداية، فوضع البطل في أزمت وامتحانات متلاحقة يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة حتّى قال في النّهاية: "لقد ظهر لي ما كان خافياً عليّ، لا علم بلا إيمان"، فكانت المصالحة مع النّفس دافعاً للمصالحة مع القنديل، ثمّ مع النّاس الذين بنّوا حضارتهم بعرقهم ودمائهم وصبرهم الطّويل، عندها يكون الشّفاء، ويكون الانسجام والتّوازن والتّمازج، ولا حلّ غيره للانفتاح على الثّقافة العالميّة في مشروع الأُمّة المستقبليّ نحو التّحرّر والنّهوض.

المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم، عبدالله، المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والروى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٢- آلن، روجر، الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية، ترجمة حصّة منيف، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٣- بهي، عصام، دراسات أدبية، الرحلة إلى الغرب في الرواية العربية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.
- ٤- التواتي، مصطفى، دراسة في روايات نجيب محفوظ، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٦م.
- ٥- حقي، يحيى، قنديل أم هاشم، طبعة خاصة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ٦- الراعي، علي، دراسات في الرواية المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.
- ٧- العاتي، إبراهيم، الزمان في الفكر الإسلامي، دار المنتخب العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٨- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٩- قاسم، سيزا، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ١٠- القواسمة، محمد عبدالله، البنية الروائية في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٨م.

- ١١- مبروك، مراد عبدالرحمن، بناء الزّمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ١٢- مرتاض، عبدالملك، بنية الخطاب الشعري، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.
- ١٣- مريدن، عزيزة، القصّة والرواية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.
- ١٤- المطليبي، مالك يوسف، الزّمن واللّغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ١٥- نجّار، وليد، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م.
- ١٦- نجم، محمد يوسف، فنّ القصّة، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- ١٧- نوفل، يوسف، الفنّ القصصيّ بين جيل طه حسين ونجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
- ١٨- وادي، طه، دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ١٩- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٢٠- العيد، يمنى، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.

الدوريات:

- ٢١- برّادة، محمد، "الرواية أفقاً للشكل والخطاب المتعددين"، مجلة فصول، مج١١، ع٤، ١٩٩٣م.

- ٢٢- حقّي، يحيى، "صحيفة الرّأي الأردنيّة، كتاب في جريدة، تقديم فؤاد دبّورة"، رقم ٣٨، ٦ ديسمبر/كانون الأوّل ٢٠٠٠م، بالتّعاون مع وزارة الثقافة والتّعليم العالي، بيروت، لبنان.
- ٢٣- رشيد، أمينة، "رواية الأرض وعلاقة الزّمان بالمكان"، مجلّة فصول، م ٥، ع ٤، ١٩٨٥م، ص ٢٠٣-٢١٠.
- ٢٤- الزّعبي، أحمد، "النّصّ الغائب، دراسة في جدليّة العلاقة بين النّصّ الحاضر والنّصّ الغائب"، مجلّة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللّغويّات، م ١٢، ع ١، ١٩٩٤م، ص ٢٢٣-٢٥١.

- Nofal, Yusuf, Al Fan Al Qasasi Bain Jil Taha Hussien Wa Najib Mahfouz, Al Hai'ah Al Misriyah Al Aamah Li Al Kuttab. d.t.
- Wadi, Taha, Dirasat Fi Naqd Al Riwayah, Al Hai'ah Al Misriyah Al Aamah Li Al Kuttab, Cairo, 1989.
- Yaqtin, Said, Tahlil Al Khitab Al Riwa'i, Al Markaz Al Thaqaifi, Floor 2, Beirut, 1993
- Al Eid, Yumna, Tiqniyat Al Sard Al Riwa'i Fi Daw' Al Manhaj Al Bunyaw, Dar Al Farabi, Floor 1, Beirut, 1990.
- Barradah, Mohammed, "Al Riwayah Ufuqan Li Al Shaki Wa Al Khitab Al Muta'adidain". Mijalat Fusul, complex 11, building 4, 1993.
- Haqi, Tahya, Sahifat Al Rai Al Urduniyah, Kitab Fi Jaridah, Taqdim Fu'ad Dabburah", no 38 6, December 2000, in co-operation with the ministry of culture and higher education, Beirut, Lebanon.
- Rasheed, Aminah, "Riwayat Al Ard Wa Alaqat Al Zaman Bi Al Makan", Mijalat Fusul, complex 5, building 4, 1985, p 203-210.
- Al Zu'bi, Ahmad, "Al Nas Al Gha'ib, Dirasah Fi Jadaliyat Al Alaqah Bain Al Nas Al Hadir Wa Al Gha'ib", Majalat Abhath Al Yarmouk, Silsilat Al Aadab Wa Al Lughawiyat, complex 12, building 1, 1994, p 223-251.

- Qasim, Siza, Bina' Al Riwayah, Al Hai'ah Al Misriyah Al Aamah Li Al Kuttab, Cairo, 1984.
- Al Qawasmeh, Mohammad Abdullah, Al Bunyah Al Riwa'iyah Fi Riwayat Mudun Al Milh Li.
- Abdelrahman Muneef, Dar Al Yanabi' Li Al Nashr Wa Al Tawzi', Amman, Jordan, 1998.
- Mabruk, Murad Abdelrahman, Bina' Al Zaman Fi Al Riwayah Al Mu'asirah, Al Hai'ah Al Misriyah Al Aamah Li Al Kuttab, Cairo, 1998.
- Murtad, Abdelmalik, Bunyat Al Khitab Al Shi'ri, Dar Al Hadathah Li Al Tiba'ah Wa Al Nashr Wa Al Tawzi', Floor 1, Lebanon, Beirut, 1986.
- Mridin, Azizah, Al Qisah Wa Al Riwayah, Dar Al Fikr, Damascus, 1980.
- Al Matlabi, Malik Yusuf, Al Zaman Wa Al Lughah, Al Hai'ah Al Misriyah Al Aamah Li Al Kuttab, Cairo, 1986.
- Najjar, Walid, Qadaya Al Sard 'ind Najib Mahfouz, Floor 1, Dar Al Kitab Al Lubnani, Beirut, 1985.
- Najm, Mohammad Yusuf, Fan Al Qisah, Dar Al Thaqafah, Beirut, d.t.

References

- Ibrahim, Abdullah, Al Mutakhayal Al Sardi, Muqarabat Naqdiyyah Fi Al Tanas Wa Al Roa'a Wa Al Dilahah, Al Markaz Al Thaqafi Al Araby, Floor 1, Beirut, 1990.
- Alan, Roger, Al Riwayah Al Arabiyah Muqadimah Tarikhiyah Wa Naqdiyyah, translated by Hissa Muneef, Floor 1, Al Mu'asasah Al Arabiyah Li Al Dirasat Wa Al Nashr, Beirut, 1986.
- Bahi, Isam, Dirasat Adabiyah, Al Rihlah Ela Al Gharb Fi Al Riwayah Al Arabiyah Al Hadithah, Al Hai'ah Al Misriyah Al Aamah Li Al Kuttab, 1991.
- Al Tawati, Mustafa, Dirasah Fi Riwayat Najib Mahfoz, Al Dar Al Tunisiyah Li Al Nashr Wa Al Tawzi', Tunisia, 1986.
- Haqi, Yahia, Qindeel Um Hashem, special edition, Dar Al Ma'arif, Cairo, 1989.
- Al Ra'ii, Ali, Dirasat Fi Al Riwayah Al Misriyah, Al Hai'ah Al Misriyah Al Aamah Li Al Kuttab, 1991.
- Al Aati, Ibrahim, Al Zaman Fi Al Fikr Al Islami, Dar Al Muntakhab Al Araby, Floor 1, Beirut, 1993.
- Abd Al Baqi, Mohammad Fu'ad, Al Mu'jam Al Mufahras Li Alfaz Al Quran Al Karim, Dar Al Firk Li Al Tiba'ah Wa Al Nashr, Beirut, 1987.

